

يَسُوعَ وَيَعْقُوبَ

يسوع ويعقوب
جواكيم ماريا ماشادو دى أسيس

سلسلة من كل بلد كتاب - رواية من البرازيل
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١

ISBN: 978 - 977 - 5185 - 78 - 6



وكالة سفنكس

٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد - القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناسر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه دون إذن كتابي من الناسر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

Sphinx Agency © 2014

يَسُوعُ وَيَعْقُوبُ

جواكيم ماریا ماشادو دی آسیس



وكالة سفنكس

المقدمة العامة

لسلسلة المراجعين

إن سلسلة مكتبة أمريكا اللاتينية تجعل ترجمة أعمال أبرز كتّاب القرن التاسع عشر متاحة، هؤلاء الكتّاب الذين أُهملت مؤلفاتهم في العالم المتحدث بالإنجليزية، اقترحت لجنة تحريرية عناوين تلك التراجم من اللغة الأسبانية إلى اللغة البرتغالية، وتضمنت تلك اللجنة جين فرانكو المحرر العام المسؤول عن الأعمال باللغة الإسبانية ريتشارد جراهام محرر السلسلة المسؤول عن الأعمال باللغة البرتغالية توليو هالبيرين دونغجامعة كاليفورنيا، بيركلي، إيفان جاكسيتش جامعة نوتردام، ناعومي ليندستروم جامعة تكساس بأوستن، فرانشين ماسيللوجامعة كاليفورنيا، بيركلواداردو لوزانومكتبة جامعة بيتسبيرج، كان الراحل أنتونيو كورنيو قطب جامعة كاليفورنيا، بيركلي أيضا من الأعضاء المؤسسين

للجنة، جُمعت التراجم بفضل كرم مؤسستي لامباديا وأندرو ديليو، ميلون.

أثناء فترة التشكيل الوطنى الممتدة بين عام 1810 والأعوام الأولى بالقرن العشرين، شكّلت الأمم الجديدة بأمريكا اللاتينية هوياتها وكتبت دساتيرها واشتركت فى صراع مرير حول المنطقة وناقشت أمور التعليم والحكومة والعرق والثقافة، كانت تلك فترة فريدة من نوعها على عكس عملية بناء الأمة فى أوروبا وفترة يجب أن تكون مالوفة أكثر مما هى عليه بالنسبة لطلاب السياسة المقارنة والتاريخ والأدب، تخيلت الفئات المثقفة صورة الأمة -وهى قلة فى الدول التى يهيمن عليها الفلاحون والعبيد المستيزو الأصليون السود أو السُمر الضاربون إلى الصفرة- على الرغم من وجود قوميات بديلة أيضا على مستوى القاعدة الشعبية، كانت الصفوة المثقفة بالغة التهذيب فى الفكر والآداب الأوروبية، ولكن كرجال دولة وصحفيين وشعراء وأكاديميين، واجهوا مشكلة المتغابرية العرقية واللغوية بالقارة، بالإضافة إلى صعوبات تحويل السكان إلى دولة أمة حديثة، لعب بعض من الكتاب الذين سترجم أعمالهم ضمن سلسلة مكتبة أمريكا اللاتينية أدوارا قيادية فى السياسة، واجه فراى سيرفاندو تيريزا دى ميير، الراهب الذى ترجم العقد الاجتماعى لروسو وكان أحد الشخصيات اللامعة أثناء فترة الاستقلال، السجن والطرده من المكسيك بسبب معتقداته الهرطقية؛ وعند عودته، بعد الاستقلال،

تمانتخابه في الكونجرس، كتب دومينجو فاوستينو سارمينتو، الذي تم نفيه من وطنه الأرجنتين في ظل رئاسة روساس، فاكوندوالحضارة البربرية؛ هجاء لاذعا لتلك الحكومة، عاد بعد الانقلاب على روساس وتم انتخابه رئيسا في عام 1868، وُلد أندريس بيللو في فينزويلا وعاش في لندن حيث نشر شعره أثناء فترة الاستقلال واستقر في شيلي حيث أسس الجامعة وألّف نحو اللغة الأسبانية كما كتب دستور الدولة».

لم تكن تلك النخبة المثقفة التي لمعت عقب فترة الاستقلال فقط قلاع حاملة في الهواء، ولكنها شاركت بنشاط بالغ في تأسيس الأمم وتشكيل الثقافة، ربما تؤدي بنا ميزة الإدراك المتأخر إلى الوعي بمشاكل لم يتوقعوها هم أنفسهم، ولكن يجب ألا يؤثر ذلك على تقييمنا لطاقتهم وإنجازاتهم المذهلة حقا، ومما لا يزال يبعث على الدهشة هو أن كتابات أندريس بيللو الذي قَدّم أعمالا أساسية في العديد من المجالات المختلفة لم تُترجم نهائيا إلى اللغة الإنجليزية، وعلى الرغم من وجود ترجمة حديثة لرائعة سارمينتو المشهورة فاكوندو، لا توجد ترجمة لمذكراتهذكريات قروية أن هيمنة المذكرات في سلسلة مكتبة أمريكا اللاتينية ليست مصادفة -فجزء كبير منها يعطى استبصارات في القارة الواسعة والمعقدة.

كما لم نتجاهل الرواية، فالسلسلة تتضمن تراجم جديدة لأعمال الكاتب البرازيلي البارز جواكيم ماريما ماشادو دي أسيس¹ بما في ذلك دوم كازمورومذكرات براس كوباس بعد الوفاة، لا يوجد سبب لعدم قراءة الروايات الأخرى وأعمال الكتّاب الآخرين غير

المشهورين خارج أمريكا اللاتينية - قصة الروائية كلوريندا ماتو دي تورنر الطيور بدون أعشاشها ورواية ناتانيل أجويرى خوان دي لا روزا، وإيراسيما لجوزيه دو أليнкаر وقصص مانويلا جوريتى القصيرة - باهتمام بالغ مقارنة بقصص أنت وني ترولوب السياسية.

ومع ذلك، لا يمكن قصر سلسلة تتناول أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر على الأنواع الأدبية مثل الرواية والقصيدة والقصة القصيرة، لقد كان الأدب في أمريكا اللاتينية المستقلة انتقائى ومتأثر بقوة بالصحافة الدورية المتحررة حديثا من الاستقصاء من قبل السلطات المستعمرة ومحاكم التفتيش، لقد كانت الصحف عبارة عن مزيج من الخيال والمقالات والقصائد والتراجم من كافة أشكال الكتابات الأوروبية، تضمنت الروايات المؤلفة في أوائل فترة الاستقلال المكسيكى بواسطة جوزيه جواكين فيرناندز دو ليزاردى أطروحات أكاديمية حول التعليم والقانون العلمانيين، واستنكرات لشورور اللعب والكسل، كانت أعمال أخرى مثل القصيدة المشهورة «قصيدة في الزراعة الاستوائية». لأندريس بيللو وروايات مثل أماليا لجوزيه مارمول موالية بشكل واضح، وبحلول نهاية القرن، بدأ الدارسون المثقفون في معالجة تاريخ دولهم، كما فعل جواو كايسترانو دي أبريو في روايته فصول التاريخ الاستعماري.

في أغلب الأحيان نجد في المذكرات مثل مذكرات فراى سيرفاندو دي ميير أو سارمينتو أن وصف الحياة اليومية في أوروبا قد تم دمجها في الرواية الواقعية، كان يُنظر لأدب أمريكا اللاتينية في ذلك الوقت بشكل كبير على أنه أداة تربوية، بديل «بسيط». للخطب والمواعظ

والدعايا الفلسفية -على الرغم من أنه في الحقيقة، وبصفة خاصة في الجزء الأول من القرن، كان جمهور قراء الروايات صغيرا للغاية بسبب معدل الأمية المرتفع، ومع ذلك، أصبحت ثقافة رعاة البقر والطبقات الدنيا المدنية المنقولة في الأغلب شفها المخزون اللغوي لبعض من كتّاء القرن التاسع عشر الأكثر إمتاعا -وكان أكثرهم شهرة هو جوزيه هيرنانديز مؤلف قصيدة «غاوتشسيك». «مارتن فييرو». والتي تمتعت بشهرة غير مسبوقة، ولكن لم تكن المهمة بالنسبة للعديد من الكتّاب هي تخصيص اللغة الشائعة ولكن تهذيبها، وكانت أعمالهم الأدبية متأثرة بقوة بالأسلوب الرفيع لفن الخطابة السياسية.

لم تحاول اللجنة التحريرية في قصر اختيارها على الكتّاب الأكثر شهرة مثل ماشادو دي أسيس؛ فلقد اختارت أيضا العديد من الأعمال التي لم تُترجم نهائيا أو كتّابا لم تُترجم أعمالهم مؤخرا، هذا السلسلة تجعل تلك الأعمال متاحة حاليا للعامة المتحدثين باللغة الإنجليزية.

وبسبب تفضيل المنظمات الممولة، تركّز السلسلة في البداية على الكتابات من البرازيل والمخروط الجنوبي ومنطقة الأنديز والمكسيك، كل طبعة من طباعاتنا ستضمن مقدمة تضع العمل في سياقه الصحيح كما تتضمن ملاحظات تفسيرية.

ندين بشكر خاص لروبيرت جلين من مؤسسة لامباديا والتي كانت مبادرته سببا في البداية السريعة للمشروع، كما نشكر ريتشارد إيكمان من مؤسسة أندرو ديليو، ميلون التي دعمت المشروع

بسّءاء؁ كما نشر مؤسسه روكيفيلر لتمويلها ندوة «الثقافة والأمة في إيبيروأمرىكا». واللى نظمتها اللبنة التحريرية لمكتبه أمرىكا اللاتينية؁ لقد تلقينا دعما مؤسسيا كبيرا وتشجيعا شخصا من مؤسسه دراسات أمرىكا اللاتينية بجامعه تكساس في أوسطن؁ كان دعم أءوارد بارى من صحافة جامعة أوكسفورد لا غنى عنه وكذلك نصيحة ومساعدة إيلين شودوش من صحافة جامعة أوكسفورد؁ نُشرت المجلدات الأولى للسلسله عقب وفاة ماريا سى؁ بول في غير أوانها في الثالث من يونيو عام 1997؛ كانت ماريا شريكة لمؤسسه لامباديا ودعمت الفكرة منذ بدايتها.

• جين فرانس

• ريتشارد جراهام

مقدمة

داين بورجيس

انتبه كيف ستدخل، وفيمن ستثق

لا تدع البوابة تخذعك بوسعها!

انفرنو، كانتو الخامس

عندما أَلَّف يسوع ويعقوب «1904» وقف جواكيم ماريا ماشادو دي أسيس على قمة مهنته، فعلى مدار العقدين الماضيين، نشر ثلاث روايات رائعة: مذكرات براس كوباس بعد الوفاة «1880» وكوينكا بوربا «1891» ودوم كازمورو «1899»؛ تلك الروايات الثلاث جعلته كاتب البرازيل الأول، لقد عاش أيضا في عزلة فكرية مفروضة ذاتيا في خضم هذا الاستحسان، لم يستطع أى من أصدقائه المقربين أو أكثر النقاد حدة، الذين تربّوا على قراءة الواقعية الطبيعية، التعرف على مواطن الغموض في كتاباته، كما لم يستطع أى قارئ برازيلي لروايته الأخيرة حل شفرة الألغاز

التي تقترح أن الراوى دوم كازمورو يمكن أن يكون قد أوهم نفسه بخيانة زوجته له، وعلى الرغم من أن ماشادو لم يعثر أبداً على هنرى جيمس ليقرأه وأنه يجب أن يكون قد شعر بإغواء تحرير جمهوره من الوهم، أحجم عن الكشف عن حيله للعامة.

فعلى العكس، فى يسوع ويعقوب، تبنى صوتاً متلهفاً، أنه حتى أكثر مكرماً بدلاً من الصوت المتغطرس غير الجدير بالثقة الذى استخدمه الرواة من قبل بشكل صريح، هذا الراوى - الذى يكون أحياناً «وأحياناً لا يكون» المستشار الدبلوماسى أيريس- يعرض أن يُسلى القراء المتعجلين بقصة حب رومانسية، قصة رمزية سياسية واضحة، وحكايات طريفة عن حياة المجتمع، وفى الوقت نفسه، يعد القراء المدققين أنه إذا تأملوا فى «رغباتهم الأربع فى عقولهم». وأعادوا قراءة النص بـ«النظارات». الخاصة التى يوقرها لهم، يمكنهم حل ألغازه والتعرف على معضلاته، فى يسوع ويعقوب، أكثر من أى من رواياته الخمس الناضجة/الراشدة، ابتكر ماشادو بتمعن شخصيات مصطنعة «كقطع الشطرنج». والتى دُبت فيها الروح فقط وعندما راوغت تحليلات الراوى الدقيقة لحركاتها.

لو كان ماشادو قد شعر بأنه محاصراً فى مجتمع ريو دى جانيرو غير المثقف، فلقد كان محاصراً بالقرب من القمة، وعندما وُلد عام 1839، كانت ريو العاصمة الخاملة لامبراطورية زراعية متخلفة

وهى روسيا الاستوائية، عمل تسلسلها الهرمى العرقى على نحو غير محكم لمنح الرجال الأحرار ممن ليسوا من ذوى البشرة البيضاء فرصا عشوائية فى الحياة، دخل قليل من الصبية الفقراء العصاميين من ذوى البشرة السمراء الضاربة إلى الصفرة مثل ماشادو، بالإضافة إلى الموهبة والعلاقات المحظوظة، طبقة ريو المتوسطة، بدأ كمنضد للحروف المطبعية، واقتحم مجال الصحافة والنقد المسرحى فى ستينات القرن التاسع عشر وحصل على كليركشيب حكومى منتظم من الأصدقاء السياسيين عام 1867، وتدرج ببطء تجاه أعلى رتبة خدمية مدنية فى وزارة الزراعة والأعمال العامة، وبحلول عام 1869، أصبح مستقرا بدرجة كافية تمكّنه من الزواج بكارولينا نوفائيس، شقيقة شاعر برتغالى تصادق معه، وتركها فى ريو لترعى شقيقها الذى يحتضر، وكشاب، كان يمكن لماشادو إمتاع الممثلات ويعيد رواية النكات لأسابيع بلا توقف بحماسة متجددة، ويفتن مغتربى ريو الفرنسيين كى يدعوهم يمارس لغته الفرنسية معهم، وطوال عام كامل، كان يحرر جريدة حزبية ليبرالية وحده فى حين يترجم المسرحيات الفرنسية ويكتب فى صحف أخرى تحت اسم مستعار، ودون أن يتعهد للحزب الليبرالى أو لأى منصب آخر بتهور، تصادق مع وزراء الإمبراطورية والمؤيدين الأساسيين لإبطال مبدأ الاسترقاق والجمهوريين وكذلك الملكيين، لقد جنى فقط حفنة من الأعداء الأدبيين فى وقت كان فيه الترويج الذاتى عن طريق المجادلات قاعدة، ومع ذلك، ابتعد عن طريقة ليهاجم أقوى اثنين من المنادين بالمذهب الطبيعى فى جيله وهما البرازيلى سيلفيو روميرو والبرتغالى إيسا دى كويروس، فى عام 1888، اختاره الإمبراطور بيدرو الثانى ضابطا للنظام فى روز «وهى رتبة تقع مباشرة أسفل

رتبة البارون الشرفى التى حصل عليها سانتوس فى الفصل العشرين، فى عام 1897، أسس ماشادو الأكاديمية البرازيلية للآداب على الطراز الفرنسى آملا أن تمجد المهنة الأدبية، ظل رئيسها حتى وفاته فى عام 1908، وعلى غرار أريس الذى تعلّم الاعتراض وعندما يظهر وكأنه موافق، تعلّم ماشادو كيف يتحرك داخل الدائرة الحاكمة بالبرازيل فى حين يشجها بطريقة وجدها أعضاؤها لاذعة ولكنهم اتفقوا على إنها فلسفية.

تمكّن ماشادو من هذا الأسلوب فقط فى منتصف حياته، عقب تأمين مهنته، أبعده حرب باراجواى الممتدة من عام 1865 حتى عام 1870 والتى كانت حربا بسماركية عدوانية غير مبررة، عن الإمبراطور بيدرو الثانى والنظام، ولكنه امتنع عن التعبير عن آرائه السياسية بشكل مباشر، فلم ينضم نهائيا إلى الحركة المؤيدة لإبطال الاسترقاق على الرغم من أنه يكره العبودية وكتب أعمدة باسم مستعار محللا «كرم». مالكى العبيد فيما يختص بإعطاء الحرية لعبيدهم، فعلى العكس، فى سبعينات القرن التاسع عشر، واصل كتابة أعمدة سطحية طريفة فى الصحف، ادخر أفكاره الأقوى للقصص القصيرة حيث رسم شخصيات أنوية كئيبة واستكشف المفارقات التجريدية، فى عام 1879، بعدما تسبب المرض فى إقصائه لعدة شهور، جمع فى النهاية سجلاته التافهة والوسطية لنتج الظهور الأول لرواياته الناضجة: براس كوباس المتغطرس الاستعراضى الوقح الذى سأم الحياة، يكتب من وراء القبر فى مذكرات ما بعد الوفاة، استكشفت روايات ماشادو اللاحقة، رواية القصص من خلال توافيق مختلفة من الراوى الجازم والفصول القصيرة الاستطردية، كل منها يفحص

التقاطعات بين الحياة الخاصة للطبقة الارستقراطية والحياة العامة لريو دي جانيرو، تمتد رواية يسوع ويعقوب لما وراء ريو دي جانيرو ذات العبيد الحفاة والعربات التي تجرها البغال في بلاط الإمبراطورية «1822 - 1889»، لتتجه نحو ريو ذات الترام الكهربى وشاطئ كوباكابانا، العاصمة الفيدرالية لأول جمهورية «1889 - 1930»، كما تحتوى رواية يسوع ويعقوب على أكثر الحكايات الرمزية السياسية وضوحا، واحدة تكاد تخفى أهدافها الأخلاقية.

كان الهدف من التعليق السياسى على رواية يسوع ويعقوب هو أن تبدو مالوفة بشكل مريح بالنسبة لقراء ماشادو البرازيليين، وأن تتحدث الشخصيات بنفسها عنها، تعيش عائلتى سانتوس وباتيستا من أجل طموحاتهم السياسية ويرون حياتهم متزامنة مع الأحداث القومية، تلد ناتيفيداد التوأم بيدرو وباولو عام 1870 فى نهاية حرب باراجواى، وهو وقت كانت تنقسم فيه النخبة السياسية البرازيلية بين المحافظين والمصلحين، حل المحافظون محل الحزب الليبرالى أثناء الحرب؛ وتم تأسيس الحزب الجمهورى عام 1870؛ وشعر الجميع ببداية جديدة، تذكرت دونا كلاوديا ولادة فلورا أثناء وزارة ريو برانكو التابعة لحزب المحافظين عام 1871 والتي أقرت قانون تحرر الأنساب الذى ينص على أن الأطفال الذين وُلدوا لأمهات من العبيد يصبحون أحرارا فى سن البلوغ، عقب التصويت على هذا الإجراء التحريرى خطوطا مقطعية وتقاطع مع خطوط حزب المحافظين والحزب الليبرالى، فهذا فى حد ذاته كان معتادا أثناء الإمبراطورية، كانت الأحزاب تهتم قليلا بالمصطلحات الأيدولوجية، وخاصة فى مسألة محتدمة كالرق، حتى الحزب الجمهورى رفض أن

يكون له موقفاً في إبطاله خشية تقسيم أساساته الداعمة الضعيفة، وهكذا، فإن قفزة باتيستا من حزب المحافظين إلى الحزب الليبرالي آلمه باعتباره نقلة في التعهدات أكثر منها نقلة في الأفكار؛ لقد وجد السياسة «عبارة عن شهوة أكثر منها رأى»، لقد تخيلت الإمبراطورية نفسها مملكة دستورية إنجليزية، ولكن تركزت سياساتها على تبادل المنافع بين ريو والرجال الأقوياء بالغابات غير المأهولة، يمثل باتيستا السياسيين ذوي المهن المختلفة والمعنيين بالتناوب لإدارة الأقاليم، الذين تلاعبوا بالانتخابات بالتواطؤ مع ملاك الأراضي وقضاة المقرات الانتخابية وقادة الشرطة ليتوسطوا في علاقاتهم مع ريو دي جانيرو، وهكذا، فإن الملكية والجمهورية هما عبارة عن ماسوشية أفلاطونية لصور وشعارات الأبطال، «أربطة عنق مختلفة الألوان». حتى حملات المؤيدين لإبطال الاسترقاق في ثمانينات القرن التاسع عشر.

أثناء ثمانينات القرن التاسع عشر، تهاوى النظام السياسي الإمبراطوري بسبب مسألة التحرر من العبودية والإصلاحات الأخرى، وأخذ معه مهن كثيرة كمهنة باتيستا، وعلى الرغم من أن الرق قد ألغى في معظم أنحاء البرازيل منذ أنت هاء تجارة الرق وزيادة أعداد البرازيليين الأحرار ممن ليسوا من ذوى البشرة البيضاء على أعداد العبيد بمقدار ثلاثة أضعاف على الأقل في عام 1870، تكثفت العبودية في مزارع البن الممتدة في ريو دي جانيرو وساو باولو، اعترف السياسيون المتعهدون للمزارعين بأن العبودية ينبغي أن تنتهى يوماً ما، دافعوا عن ذلك من خلال التكتيكات المماثلة الساخرة في البرلمان، اتجه المؤيدون لإبطال الرق إلى

العمل المباشر حوالى عام 1885، أعلنت الحكومة إلغاء الرق في الثالث عشر من مايو 1888 خشية أن يؤدي الهروب الجماعى وإضرابات المزارع والعصيان المدنى عام 1887 إلى الوصول إلى حرب أهلية، ذُكر هذا الصراع بشكل عابر فقط فى يسوع ويعقوب، وتم منع مناقشة هذا الإلغاء عام 1888، لذا فمن المحتمل أن يكون ماشادو قد وجد أنه من الصعب معالجة الإلغاء والجمهورية فى رواية واحدة، فى روايته الأخيرة مذكرات المستشار أيريس «1908»، استخدم «مذكرات أيريس». مرة أخرى واختار مداخل اليوميات لعامى 1888 و1889 التى تتبّع العلاقات بين الزواج الثانى لأرملة شابة وإلغاء الرق فى البرازيل دون توزيع للأراضى، فى يسوع ويعقوب، ركّز بدلا من ذلك على النتيجة السياسية غير المتوقعة لإلغاء الرق وانهيار الإمبراطورية وظهور الجمهورية، يؤيد كل من بيدرو وباولو إلغاء الرق؛ يراه باولو فجر التحرر القومى، ومع ذلك، على نحو شارد تصبح الحركة الجمهورية حركة ارتجاعية رجعية ضد إلغاء الرق، وفى خلال ثمانية عشر شهرا، انضم المزارعون المستأؤون إلى الحزب الجمهورى وأغضبوا ضباط الجيش بالإطاحة بالإمبراطور بيدرو الثانى، لم يقيم سياسى النظام بالكثير لوقف المؤامرة، فى الفصل الثامن والأربعين، حضرت فلورا وعائلتها والعديد من شخصيات الرواية حفلة الإمبراطور الراقصة لضباط شيلى البحرين وذلك فى ميناء ريو، أصبحت هذه الحفلة الراقصة، والتى كانت عشية انقلاب الخامس عشر من نوفمبر عام 1889، مشهورة كشعار لسوء حكم الإمبراطورية المعتدة بنفسها فيما يختص بظروفها الحقيقية. بالنسبة لأيريس ومذكراته عن الخدمة الدبلوماسية فى كاراكاس،

بدأت الثورة الجمهورية عام 1889 بنغمات توافقية لأوبرا هزلية لانقلاب في أمريكا الجنوبية واتفق العديد من المعلقين في ذلك الوقت معه في ذلك الرأي، فالإدارة الأولى بدأت سوقا تضاربية للأوراق المالية ووهما مصرفيا، الإنسيلهامينتو«1890-1891»، والذي بدا توزيعه الظالم للثروات سخيفا ومشؤوما، خلال الرواية، يرفع السمسار الدنيء نوبريجا فجأة إلى مستوى سانتوس صاحب البنك ومستوى أعلى من عائلة باتيستا، ولكن سرعان ما أصبح السياسيون الجمهوريون محبطين، فالديكتاتورية العسكرية لديدورو دا فونسيكا «1889 - 1891» وفلوريانو بيكسوتو «1891 - 1894» والاغتيالات والحرب الأهلية الدموية في البلاد الجنوبية «1892 - 1895» والحروب بين الجيش والقوات البحرية في ميناء ريو دي جانيرو «1893 - 1894» أصبحت أقرب لذكريات الثورة الفرنسية أكثر من كونها كارثة في كاراكاس، أن حالة الحصار المذكورة أثناء الجنازة في الفصل مائة وسبعة هي الحالة التي أمر بها فلوريانو بيكسوتو، وربما كانت تلك التي وقعت في العاشر من إبريل عام 1892، وأثناء فترات الرقابة على المطبوعات والقمع في ظل الحُكم الديكتاتوري لفلوريانو، لم يمَس ماشادو أي سوء، ولكن أصدقاءه المقربين من الأدباء أمثال جواكيم نابوكو وروى باربوسا تم نفيهم، يشبه حوار باتيستا مع فلوريانو في الفصل السادس والسبعين - حيث يتبين الديكتاتور إخلاصه الفاتر للمبادئ الجمهورية ويغادره بمصافحة منذرة بسوء - العديد من الحكايات التي تداولت «المارشال الحديدي». عديم الإحساس، في عام 1984، دفع الضغط الأجنبي بشكل كبير من رئيس الولايات المتحدة جروفر كليفلاند والاقتراب من الإفلاس أثناء الحرب الأهلية فلوريانو

لتسليم السلطة إلى مدنى من مدينة ساو باولو، ومع ذلك، بدلا من تأسيس الديمقراطية، توصل سياسى ساو باولو إلى تسوية بين مدينتين لتخليد الآليات السياسية المحتمة فى كل مدينة، جميع قرءاء ماشادو يجب أن يكونوا قد قرأوا بين السطور وسخروا من أن «المهن الرائعة». لباولو وبيدرو فى الكونجرس عقب 1894 تحقق تنبؤات كابوكلا بالعظمة ظاهريا فقط، ولكن فى الأصل تضع مثل تلك المؤهلات لرجل الدولة فى الكونجرس ديموقراطية جهيضة لاتفاقات خفية بين قادة الدولة وآليات دار القضاء.

جعل ماشادو السياسة المعاصرة أسهل المفاتيح فى الوصول إلى التفسير المجازى لحبكة الرواية، إذا كان التوأم هما الإمبراطورية والجمهورية، إذن فناتيفيداد هى البرازيل القديمة التى أعطتهم الحياة وفلورا هى الأمة الجديدة، ولكن ماهى بالضبط الأمة المستقبلية التى لا تستطيع الاختيار بينهما، أو التى لا تستطيع التفريق بينهما أو التى ترغب فى دمجهما معا، أو التى سوف تتركهما؟ فى الواقع، الاستعارة غامضة، لقد استنبط ماشادو أيضا بعض الألغاز التى يمكن أن تُحل بمعرفة الأحداث السياسية، فمثلا لن يختار فلورا بين التوأم، ومثلما يتردد باتيستا فى الاختيار بين حزب المحافظين والحزب الليبرالى، يتجنب الخباز المجاور كوستوديو الالتزام، فى اليوم الذى عقب الانقلاب الجمهورى، يطلب كوستوديو استشارة أيريس بشأن كيفية تفادى إساءة فهم جماهير الشارع للافتة القديمة لمقصفه، «كافيتريا الإمبراطورية»، وتحطيم نوافذه، يجب أن يغيره، ولكن إذا غيرّه إلى «كافيتريا الجمهورية»، فيمكن لجماهير البدائية المسيحية يوما ما أن يحطّموا نوافذ مقصفه،

وعقب نبذ العديد من البدائل مثل إضافة خط إلى الافةة كي تصبح «مقصف الإمبراطورية - القانون». يبدو كوستوديو وكأنه يقبل حل أيريس الدبلوماسية: أن يسميه على اسمه «مقصف كوستوديو»، ترمز لافةة كوستوديو إلى اللامبالاة السياسية لشعب ريو العامى بشأن تغير النظام الحاكم ويطابق الاستجابات الانتهازية والمذعورة المتساوية لصاحب البنك سانتوس والسياسى باتيستا، ومع الإدراك التاريخى المتأخر، يمكن للقارئ المتأمل عام 1904 أن يستنتج مزحة ماشادو الساخرة، أن اختيار كوستوديو الحيادى لاسمه سوف يؤدى إلى كارثة مفاجئة، وفى عام 1893 قاد الأيرال كوستوديو جوزيه دى ميلو ثورة القوات البحرية فى ميناء ريو وأصبح اسم «كوستوديو». لعنة بالنسبة للعامة الجمهورية، فهؤلاء الذين لن يقوموا باختيارات سياسية أو أخلاقية فى يسوع ويعقوب تنتظرهم عقوبات خاصة، تتمثل عذاباتهم فى يأس باتيستا الذى يمنعه من التحدث بصراحة فى الوقت الصحيح، قلق باولو حينما لا يستطيع التصادق مع الحشود الجمهورية، ندم أيريس أن التوأم ليسا ولديه وأرق فلورا بسبب الاختيار بين التوأم، فهم يختلفون عن أبطال دوستويفسكى المعذبين بزوجة الأيديولوجيات فى السياسة الروسية، أن شخصيات ماشادو غير البطولية تعاني على وجه التحديد لأن سياسات يو دى جانيرو المسالمة والعاجزة عن التعبير عن نفيها تدعم الطموحات أكثر من الأغراض».

إن اهتمامات يسوع ويعقوب الأخلاقية تظهر فى ضوء دلالاتها الأدبية، وأن خاتمة كارلوس فيليب مواسيس لهذا المجلد تناقش الصلات الغربية ليسوع ويعقوب فى الكتاب المقدس بهذه القصة،

وتقترح دلالات أخرى تفسيرات إضافية للحبكة الروائية، يصف الراوى أولا نوبريجا في الفصل الثالث حينما تترك ناتيفيداد وبيرييه له الصدقات من أجل الأرواح، لم يكن نوبريجا فقيرا أو غنيا: «لا يمتلك مثل هذه الثراء في الشرف ولا مثل هذه المهانة»، هذا الاقتباس غير المفسر وغير المنسوب يلخص مفتاحا آخر للعلاقات في يسوع ويعقوب، أنه الطريق الذى ترفض به جونيا إغواء نيرو في تراجيديا راسين بريتانيسوس، تتزامن بريتانيسوس مع اليوم الذى أطلق فيه الإمبراطور الشاب لأول مرة العنان لطبيعته الوحشية، ضلته والدته أجريينا والمعلم الشرير نارسيوس، قتل أخيه غير الشقيق بريتانيسوس بالسم كى يستولى على جونيا التى هجرته عذراء راهبة، بالتأكيد يمكن لهذا أن يعنى أن رفض فلورا لطلب زواج نوبريجا منها هو صدى لرفض جونيا لنيرو، وأن نوبريجا يقع عليه اللوم بالنسبة لمصير فلورا، أن المليونيرات هم الشكل الحديث لنيرو فى البرازيل، أو هذا قد يعنى أن صراع باولو وبيدرو على فلورا يجب أن يذكرنا بالمغتصب نيرو وأخيه غير الشقيق بريتانيسوس «بالضبط كما لو أنهما عبارة عن انعكاسات معتمة ليوسع ويعقوب، بطرس وبول، وكاستور وبولوكس»، أو أن هذا قد يعنى أيضا أن ناتيفيداد الطموحة هى أم غير طبيعية مثل أجريينا وأن المستشار أيريس - الذى يوافق على لعب دور «نوع من المرئى أو المعلم». لأبنائها - مسؤول جزئيا عن أفعالهما، تظهر دلائل وألغاز أخرى لو أننا أعدنا النظر فى أحداث رواية يسوع ويعقوب فى ضوء النصوص الأخرى التى استشهد ماشادو بها: فاوست لجويث وماكبث لشكسبير والصريح لفولتير والكوميديا المقدسة لدانتى».

يحذرنا الراوى مبكرا أننا يجب أن نتدارس دانتي، وأن العبارة المقتبسة «أقول، أنه وعندما وُلدت روح الشر»، تعمل كمنظرة يمكن للقارئ بها أن يخترق ماهو أقل وضوحا أو ماهو معتم تماما، ينبغى أن نستمتع للراوى هنا حيث أن كل رواية لماشادو تستخدم الكوميديا المقدسة، من إذن «الروح غير الشرعية». لهذا السطر؟ في يوميات أيرس «الفصل السابع»، هى الضيوف فى حفل الغذاء والذين ولدوا تافهين بشكل يبعث على اليأس، فى الفصل الخامس من انفيرنو لكانتو، هى كل روح ملعونة تظهر قبل أن يقوم القاض مينوس فى الدائرة الخارجية للجحيم «بالاعتراف بكل شيء». ووضعت فى مكانها المقدّر فى القبر الكبير، فى العبارة المقتبسة فى يسوع ويعقوب، وعنوانها البديل «الروح غير الشرعية». هناك إشارة للتوأم حديث الولادة والذى أصبح مصيرهما مقدسا من خلال كابوكلا، هل هما فقط من وُلدا ملعونين؟ أن الرواية مليئة بالأرواح والأشخاص وجامعى الصدقات من أجل تطهير النفوس والوسطاء الروحانيين المشعوذين، كل شخصية هى روح مذنبه بطريقة ما يقوم أيريس بمحاكمتها، وكل فرد عن قصد أو عن غير قصد يعترف بأسراره إليه - أو إلى أى عين حاكمة، ومع ذلك، فجميعنا مدفوعين ب«تلك الرغبة شديدة الإغواء فى معرفة شؤون الآخرين»؛ الأسرار نفسها تود أن تُعرف، حيث أن «هناك قوة تسحب كل شيء يحاول الناس إخفاءه».

إن أيريس هو نوع خاص من القضاة، يحب العزلة ولكنه يحب

الآخرين أيضا، «يسمع منهم، يشتمهم، يتذوقهم، يلمسهم، ويطبق جميع حواسه على عالم يمكنه أن يقتل الوقت، الوقت الخالد». يستخدم الراوى وجهة نظر أيريس لأنه وحده يمتلك البصيرة الكشفية اللازمة لإعادة تشكيل واقعة زيارة ناتيفيداد وبيريتوا لكابوكلا، بعد عشرين عاما من «القصص القديمة والغامضة التي تذكرها وسطرها وحل شفرتها»، أو ليتخيل ماالذي يحلم به التوأم أثناء الليل، يمكن للقارئ أن يستخدمه أيضا ولكن يجب أن يكون حذرا، إذا كانت يسوع ويعقوب رواية ذات ألغاز أخلاقية «على سبيل المثال: من الذى قضى على مستقبل البرازيل؟» وأن أيريس هو المتحرى عنهما، إذن فهو لا يقدم لنا كل الحلول ويجب أن يكون دائما موطنا للشك، ورغم ذلك، تكمن موهبة أيريس فى جمعه التعمُّل والخيال مع الذاكرة، فالتعمُّل يمكن أن يخدعنا؛ يسىء نوبريجا فهم كل شخص يقابله، يغرى الخيال أيريس لقراءة حوار عن الحرية والعبودية فى العينين المصابتين لعمار»، عين رجل تعمل كصورة للمجهول، المذكرات - التى تثيرها محبرة وكتاب وصيحة أو مكان - غالبا ماتغمره، ويحصد تلك الأفكار الخيالية جزئيا بأمل يائس أن قد يتمكن من «قتل تنين الوقت». أما ماشادو - الذى كان فى الستينات ويواجه موت زوجته حينما كتب الرواية - فمن المؤكد أنه كان واعيا للغاية للجوء لتلك الخدع وهو يتقدم فى العمر، ومع اعتبار ألغاز الحياة والموت التى يعالجها ماشادو من خلال هذه الرواية، يكون أيريس بعيدا عن كونه مراقب لامبال».

إن لغز أيريس الكبير هو فلورا، تقترب وتبتعد الأشياء والشخصيات عن بؤرة الاهتمام فى هذه الرواية، وفى أوقات تبدو فلورا شخصية

مجازية ثابتة في كاريكاتور «الأمة»، وفي أوقات أخرى تبدو فقط مقبولة مألوفة للغموض النسائي في القرن التاسع عشر، ولكنها تُستكمل بحب في سلسلة من التحقيقات غير الكاملة، يسوغ أيريس فرضية ليفسر شخصيتها ولكنها تدحضها؛ يعمق تحليله ثانية ولكنه لم يصل أبدا إلى القاع، كل الأرواح تمتلك «هاوية». ولكن فلورا «يتعذر تفسيرها»، يمكن بالكاد تفسير أصولها من خلال النظريات الوراثية الواقعية التي ستقنعنا بأن التوأم هما النتاج المحتم لطموح ناتفيداد المقترب بطمع سانتوس، أو أن نوبريجا هو سارق الموالييد، لم يكن ينبغي أن يكون لدى دونا كلاوديا وباتيسا القدرة على إنجاب ابنة أثيرية، فأفعال فلورا تشير إلى أمل أيريس بينما تتجاوز خلال الموسيقى الحقايرة والأناية والزييف والذين يدينون كافة العلاقات الاجتماعية وكافة السياسات، ولكنها تتجاوزهم كفتاة حقيقية تخفى لوحاتها وتطلب طلبات صبيانية وهى تخطو أولى خطواتها في عالم الكبار، يرضى مصيرها شخصيات أخرى كإشارة للتصالح الذى لا يمكن لأيريس - لفخره - قبوله، على غرار جوزيف كونراد مع مارلو وكيرتز في قلب الظلام، أو على غرار ناتسوم سوسيكى مع الطالب وسينسى في كوكورو، استخدم ماشادو دى أسيس الشخصية غير الكاملة ونصف المفهومة لمقاومة إزالة الصفات البشرية من الأشخاص الضمنيين في المعرفة غير المحدودة لسيكولوجيات القرن العشرين والطبيعية الأدبية، يكشف أيريس فلورا على إنها صورة وصفية أدبية يجب على القارئ إكمالها بصبر بالتخيل والعقل والحب

ملاحظة للقارئ

حينما توفي المستشار أيريس، تم العثور على سبعة مفكرات بخط يده في مكتبه مربوطين بإحكام في ورق كرتوني، كل مفكرة في الستة مفكرات الأولى كانت مرقمة بالترتيب بالأرقام الرومانية I,II,III,IV,V,VI والمكتوبة بالحر الأحمر، كانت السابعة تحمل هذا العنوان: «الأخيرة».

كان سبب هذه التسمية الخاصة غير معروف آنذاك ولا يزال غير معروف الآن، وبالتأكيد كانت هذه هي آخر المفكرات السبعة مع فارق إنها كانت أكثرهم سُمكا، ولكنها لم تكن جزءا من المذكرات، يوميات الذكريات التي ظل المستشار يدونها لسنوات طويلة والتي شكّلت موضوع الستة مفكرات التي سبقتها، لم تحمل نفس ترتيب التواريخ الذي يحتوى على الساعة والدقيقة في المفكرات السابقة، لقد كانت قصة منفردة؛ وعلى الرغم من أن شخصية أيريس لعبت دورا بارزا فيها، باسمه ولقبه المستشار، كما احتوت بالإيحاء على بعض من مغامراته، لم تنتم إلى الستة السابقين، لم..«..».. بالتأكيد هي الأخيرة؟

إن فرضية أن رغبة المتوفي هي نشر هذه المفكرة عقب الأخريات هي فرضية طبيعية ألا إذا كان يأمل أن يجبر القارئ على قراءة الستة السابقة والتي كتب فيهن عن نفسه قبل أن يلتقى بتلك القصة الأخرى المكتوبة من منظور المونولوج الداخلى الفريد خلال صفحاتها المختلفة، وفي هذه الحالة، أنه غرور الرجل الذي يتحدث، ولكن الغرور لم يكن واحدة من إخفاقاته، وإذا كانت تلك هي

نيتته، هل يكون من المجدى تكريم ذلك؟ فهو لم يلعب دورا هاما في هذا العالم؛ لقد مارس مهنة دبلوماسية ثم تقاعد، وفي أوقات فراغه كتب المذكرات، والتي إذا فصلت منها الصفحات المفلسة أو القائمة، ستكفى فقط «أو ربما لا تزال تفى بغرض لقتل الوقت في الطريق إلى بتروبوليس».

هذا هو سبب نشر هذه القصة فقط، أما بالنسبة للعنوان، اقترحت عنوانين عدة من شأنها أن تلخص الموضوع، الروح غير الشرعية، على سبيل المثال، على الرغم من اللغة اللاتينية؛ ومع ذلك، ماساد هي فكرة تسميتها باسمين اقتبسهما أيريس بنفسه ذات مرة.

يسوع ويعقوب،

- أقول، أنه وعندما وُلدت روح الشر

- دانتي

١- الأمور المستقبلية!

كان تلك هى المرة الأولى التى يذهب فيها الاثنان إلى تل مورو كاستيلو، بدأ الصعود من شارع كارمو، كان هناك الكثير من الأشخاص بمدينة ريو دى جانيرو الذين لم يذهبوا إلى هناك، ففى الواقع سيموت العديدون وسيولد ويموت غيرهم الكثيرون الذين لن تطأ أقدامهم ذلك المكان، لا يستطيع الجميع أن يدعوا معرفتهم بمدينة كاملة، فلقد عهد إلى رجل إنجليزى عجوز - الذى جاب العالم فى الواقع - منذ سنوات عديدة فى لندن، أنه بالنسبة للندن، فهو يعرف ناديه فقط جيدا، وكان ذلك كافيا بالنسبة له - العاصمة والعالم».

كانت ناتيفيداد وبيرييتيوا مطّلعين على أجزاء أخرى من المدينة إلى جانب بوتافوجو، ولكن بالنسبة لتل مورو كاستيلو، فكل ماسمعه عنه وعن كابوكلا وهى عرّافة هندية هجينة والتى حكمت هناك عام 1871، كان غريبا وبعيدا بالنسبة لهما مثل نادى الرجل الإنجليزى العجوز، ألم الميل الحاد والطريق غير المستو وغير الممهّد

جيذا أقدام السيدتين المسكينتين، ومع ذلك، استمرا في الصعود كما لو كان الأمر تكفيرا عن ذنب ما، ببطء، وجوههم لأسفل والأوشحة مدلاة، جلب الصباح معه نشاط معين، النساء والرجال والأطفال الذين جابوا التل صعودا وهبوطا، الغسّلات والجنود، موظف أو آخر، صاحب متجر، كاهن، نظر الجميع إليهما ببعض الاندهاش؛ بينما كانا يرتديان ملابس بسيطة ونم سلوكهما عن تربية معينة لا يكن من الممكن إخفاؤها، والتي برزت عند تلك المرتفعات، أن طريقة سيرهما البطيئة للغاية مقارنة بسرعة الآخرين أخفت حقيقة أن تلك هي المرة الأولى التي تغامران فيها بالذهاب إلى هناك، وأبدت سيدة سوداء البشرة إلى رقيب قائلة: «سترى أنهما في طريقهما إلى كابوكلا». ووقف الاثنان ليراقبا المشهد، ولقد استحوذت عليهما الرغبة شديدة الإغواء لمعرفة شؤون الآخرين، والتي تكون في بعض الأحيان مجموع كافة الاحتياجات الإنسانية.

في الواقع، بحثت السيدتان بتروى عن رقم منزل العرافة حتى وجدته، كان المسكن يشبه المساكن الأخرى، مُقاما على جانب التل، وكان يمكن الوصول إليه من خلال سلام صغيرة، ضيقة، مظلمة، مناسبة للمغامرة، أرادت الدخول بسرعة ولكنهما اصطدمتا برجلين ظهرا عند المدخل وتوانا هناك، سألهما أحدهما بطريقة مالوفة إذا كانتا في طريقهما للتشاور مع الكابوكلا». خلص أحدهما بعصية: "أنتما تضيعان وقتكما، فسوف تسمعان الكثير من الهراء". ضحك الآخر وقال: «إنه يكذب، فالكابوكلا تعرف ماتفعل».

ترددت المرأتان قليلا، ولكن سرعان ما أدركتا أن كلمات الشخص الأول بمثابة علامة معينة من علم الغيب وصراحة العرافة، فلن يكون للجميع نفس الحظ السعيد، فرمما يكون مستقبل أبناء ناتيفيداد تعيسا، وبالتالي»، وبينما تفكران في هذه الأمور مر ساعى يريد بجانبهما وحثهما على الإسراع، للهرب من المزيد من العيون، كان لديهما إيمان، لكنهما كانتا أيضا تشعران بالحرج مما يمكن أن يفكر الآخرين فيه، مثل الشخص المتدين الذى يصلب نفسه في الخفاء».

قاد رجل هندى هجين عجوز - وهو والد العرافة - السيدتان إلى الردهة، كانت غرفة بسيطة ذات جدران عارية / خالية، ولم يكن هناك مايشير إلى الغموض أو مايسبب الخوف، لا يوجد أوثان، حيوانات محنطة، هياكل عظمية أو رسومات بغيضة، فى أسوأ الأحوال، تثير صورة للعذراء ملصقة على الحائط لغزا؛ كانت مهترئة وممزقة، لكنها لا تبعث الخوف، وعلى مقعد، كان هناك جيتار».

قال الرجل العجوز: «ابنتى ستكون هنا حالا، ماذا تدعيان يا سيداتاي؟»

صرحت ناتيفيداد باسمها المسيحى فقط وهو ماريا، كما لو كان حجابا أغمق من ذلك الذى ارتدته على وجهها، وأعطيت بطاقة لأنه لن يتم السماح لها ألا باستشارة واحدة فقط مع الرقم I، 012، لا تفزع من الرقم، فالزبائن كثيرون، وكان الأمر يشبه عدة أشهر من المشاورات، ناهيك عن كونها عادة قديمة، بل عتيقة، أعد قراءة أسخيلوس يا صديقى: أعد قراءة الإيمينيدس، وهناك سترى

بيتثيا ينادى على هؤلاء الذين جاءوا للحصول على استشارتها: «إذا كان هناك أى إغريق هنا، دعهم يجرون القرعة، لذا أدخل، كما جرت العادة، نبوءتى كما يرشدنى إليها الإله». بالقرعة إذن، وهى الترقيم الآن، يُجرى كل شىء فتتلائم الحقيقة مع الأولوية ولا يخسر أحد دوره للحصول على الاستشارة، احتفظت ناتفيداد بالبطاقة، وذهبت السيدتان تجاه النافذة».

ولكى نتوخى الدقة، أخفت كل منهما مخاوفها القليلة، وكانت مخاوف بيربيتيوا أقل من ناتفيداد، بدت المغامرة جريئة، وكانت بعض المخاطر ممكنة، لن أصف هيئتهما هنا، تخيل أنهما كانتا منفعلتين وينتابهما القليل من الارتباك، لم تتحدثا، اعترفت ناتفيداد فيما بعد إنها كانت تعاني من ورم فى حلقها، ولحسن الحظ لم تستغرق الكابوكلا وقتا طويلا؛ فبعد ثلاث أو أربع دقائق، أحضرها والدها ممسكا بيدها بعد مرفع الستار فى آخر الغرفة».

”تفضلى يا باربارا“

دخلت باربارا، فى حين التقط والدها الجيتار وخرج من الباب الواقع على يسار منبسط الدرج الحجرى، كانت باربارا كائنة خفيفة ونحيلة، تتزين بالتنانير وخفا صغيرا فى قدميها، لا يمكن للمرء إنكار صورتها الجميلة، فشعرها مرفوع لهامة رأسها ومربوط بقطعة من الشريط المتسخ مما منحها قبعة طبيعية مزينة بشراية من غصن نبات السذاب المر، كان سلوكها يشبه الكهنة، كان الغموض يكمن فى عينيها، كانتا معتمتين، ولكن ليس إلى تلك الدرجة فلم تكونا أيضا لامعتين وحادتين، وفى هذا الصدد كانت عيناها أيضا كبيرتين،

كثيرين جدا وحادتين للغاية لدرجة أنهما تستطيعان اختراقك، النفاذ إلى قلبك، والرجوع، فقط لكي تخترقانك وتوخذك ثانية، لا أكذب وعندما أقول أن السيدتين كانتا إلى حد مامفتونتان، بدأت باربارا بسؤالهما، صرّحت ناتيفيداد بطلبها وأطلعتها على صور نجليها وخصل شعريهما، والتي نُصحت بأنهما سيفيان بالعرض».

أكدت باربارا ذلك قائلة «هذا يكفي، هل الولدان هما أبناؤك؟»
«إنهما كذلك».

”أى منهما صورة طبق الأصل للآخر».

”إنهم توأم، وُلدا منذ مايزيد قليلا عن عام».

”سيداتاي، تفضلا بالجلوس».

همست ناتيفيداد لرفيقها أن «الكابوكلا لطيفة جدا»، قالتها بهدوء بالغ لدرجة أن العرافة لم تتمكن من سماعها؛ ولكنها يمكن أن تكون خائفة من نبوءتها، وهو بالضبط ماترغبه الأم، ضمان مصير جيدة لنجليها، توجهت الكابوكلا إلى الطاولة المستديرة في منتصف الغرفة وجلست في مواجهة الاثنتين، وضعت الصور وخصلات الشعر أمامها، نقلت بصرها بالتناوب بين الصور والأم، وسألت عميلتها بعض الأسئلة، ثم حدقت في الصور وخصلات الشعر وفمها مفتوح قليلا وجفونها مُدلاة، أتردد أن أقول لكم إنها أشعلت سيجارة، ولكن سأفعل ذلك لأنه حدث بالفعل، والسيجارة تناسب الموقف، كان الوالد بالخارج يداعب أوتار الجيتار، ويغنى بهدوء أغنية

فتاة بتنانير بيضاء

تخطو من صخرة إلى صخرة عند مجرى النهر

وبينما يتموج دخان السيجارة لأعلى، تغير تعبير وجه العرافة، لامع أم معتم، ساخر الآن، مسيطر الآن، انحنى باربارا تجاه الصور وقبضت بإحكام على خصلة الشعر في كل يد، وداعبتهما، وتشممتها، واستمعت إليهما، دون التظاهر بأنك يمكن أن تصدق ماتنقله هذه السطور! فسيكون من الصعب سرد هذه الإشارات مصادفة، لم تحوّل ناتيفيداد عينيها عن العرافة كما لو كانت تود قراءة ما بداخلها، ولم يكن الأمر ليخلو من صدمة ماوذلك وعندما سمعتها تسألها ما إذا كان الصبيان قد تشاجرا قبل مولدهما».

«تشاجرا؟»

«نعم يا سيدتي، تشاجرا»..

«قبل مولدهما؟»

«نعم يا سيدتي، أسألك هل لم يتشاجرا في رحم والدتهما، ألا يمكنك التذكر؟»

أجابت ناتيفيداد، التي لم يكن حملها سهلا، إنها كانت في واقع الأمر تشعر بحركات متكررة غير عادية، آلام، أرق...، ولكن، وماذا بعد، ما كان ذلك؟ لما تشاجرا؟ لم تجيب الكابوكلا، نهضت بعد ذلك بوقت قصير وسارت حول الطاولة، ببطء، مثل السائر في نومه، عيناها مفتوحتان ومحدقتان، ثم أخذت تنقل نظراتها مرة أخرى بين الأم والأبناء، أصبحت الآن أكثر انفعالا، تتنفس بصعوبة، كان كيانها كله، الوجه والذراعين، الكتفين والساقين، جسدها كله قليل حتى يقاسي آلام من القدر، وفي النهاية، توقفت وجلست مرهقة، ثم نهضت واقتربت من الاثنتين، مشرقة للغاية، عيناها لامعتان ودافتان للغاية لدرجة أن تعبيرات وجه الأم أصبحت كاللوحه الثابتة ولم تستطع منع نفسها من القبض على يدي المرأة وسؤالها بقلق، «حسنا، أخبريني، يمكنني سماع كل شيء».

تنهدت باربارا المليئة بالحيوية والمرح بارتياح، بدت الكلمة الأولى على طرف شفيتها، لكنها تراجعت إلى مكمنها، عذراء شفيتها وآذان الآخرين، أصرت ناتيفيداد على الحصول على إجابة، فصرحت لها بكل شيء، بكل تأكيد.

غمغمت الكابوكلا في النهاية «الأمور المستقبلية!»

«ولكن هل هي أمور سيئة؟».

«أوه، كلا، كلا! أمور جيدة، الأمور المستقبلية!»

«لكن هذا لا يكفي؛ أخبريني بالبقية، هذه المرأة هي شقيقتي
ويمكن العهود إليها بالأسرار، ولكن إذا كان هناك حاجة لرحيلها،
سترحل؛ سأبقى ويمكنك أن تخبريني وحدنا».. هل سيكونان
سعيدين؟»

«نعم».

”هل سيصبحان عظيمين؟“.

”سيصبحان عظيمين، أوه عظيمين جدا! سيمنحهما الله الكثير
من البركات، سيعلو شأنهما، سيعلو، سيعلو».. لقد تشاجرا في
رحم والدتهما، ماذا في ذلك؟ الناس يتشاجرون هنا أيضا، سيصبح
نجلاتي عظيمين، وهذا كل ماسأقوله لك، وبالنسبة لطبيعة المجد،
أمور مستقبلية!“

من الداخل، واصل صوت الرجل العجوز مرة أخرى أغنية المناطق
النائية:

تتسلق شجرة جوز الهند تلك

ترمي جوز الهند لأسفل

والابنة، بعد أن لم يعد لديها المزيد لتقوله، ولا تعرف ماذا تفسر،
تحركت فخذها مع اللحن الذي كان يكرره الرجل العجوز من
وراء الباب:

فتاة بتنانير بيضاء

تخطو من صخرة إلى صخرة عند مجرى النهر

تتسلق شجرة جوز الهند تلك

ترمي جوز الهند لأسفل».

انكسرت الثمرات، يا فتاة،

في بستان جوز الهند،

إذا ماسقط على رأسك،

ستفتح رأسك بالتأكيد»

سأضحك بصوت عال

سأحب حليب جوز الهند هذا».

كوكو، لالا، نانا»

2- النزول للأسفل أفضل من الصعود لأعلى

تحدث كافة النبوءات بلسان متشعب، ولكن لا يمكن فهمها، فهمت ناتيفيداد الكابوكلا في نهاية المطاف، على الرغم من إنها لم تسمع منها أكثر مما قالتها، كان يكفى أن تعلم أن الأمور المستقبلية ستكون جيدة وأن نجليها سيكونا عظيمان ومجيدان، لتشعر بالسعادة وتخرج خمسين ألف ريليز من حقيبتها، كان ذلك خمسة أضعاف السعر المعتاد، وكان الأمر يستحق ذلك أو أكثر من هدايا كرويسوس الغنية لبيثيا، أعادت الصور وخصلات الشعر بعناية إلى حقيبتها، وغادر الثنائى بينما عادت الكابوكلا إلى الغرف الخلفية لمسكنه لانتظار العملاء التاليين، كان هناك بعض العملاء بالفعل عند الباب، مع أرقامهم، ونزلت السيدتان على عجل إلى أسفل الدرج، وهما يضعان الحجاب على وجهيهما».

شاركت بيريتيوا شقيقتها الفرحة، وكذلك الحجارة تحت أقدامهما، والسور المواجه للبحر، والقمصان التى تتدلى من على حافة الشباك، وقشر الموز فى الممر، بدا حذاء جامع الصدقات الذى كان على وشك دخول الزاوية آتيا من شارع ميزيريكورديا متجها إلى شارع ساو جوزيه وكأنها تصدر صوتا ينم عن فرحتها، فى حين أنه يئن حقا».. يئن من العناء، كانت ناتيفيداد مبتهجة للغاية لدرجة إنها وعندما سمعت صيحته «لقداس جميع البشر!». أخرجت من

حقيبتها ألقى ريلز، جديدة، ووضعتها في صندوق الصدقات،
نبهتها شقيقتها للخطأ الذي وقعت فيه، لكنه لم يكن خطأ - لقد
كان من أجل الأرواح في المطهر».

تحركتا بخفة وبسرعة نحو العربة التي تنتظرهما، والتي وقفت في
الفضاء بين كنيسة ساو جوزيه ومجلس النواب، لم تكونا ترغبان
في أن تقلهما مركبتهما إلى سفح التل حتى لا يشك سائق العربة
والخادم في أمرهما، كان الجميع في المدينة يتحدثون عن الكابوكلا
في تل مورو كاستيلو، لقد كان ذلك حديث المدينة، لقد نسبوا إليها
قوى بلا حدود وسلسلة من المعجزات وثرورات مفاجئة والعتور
على أشياء مفقودة وزيجات، وإذا علم الناس بذهابهما إلى هناك،
فسيدهبان في خبر كان، على الرغم من ذهاب العديد من أهل
الخير إلى هناك، وبمجرد أن رأهما وهما يعطيان المال إلى جامع
الصدقات، قفز الخادم على درجة العربة وجذب سائق العربة
للجام لتستعد الخيول للحركة؛ وجاءت العربة لإحضارهما وعادت
إلى بوتافوجو».

٣- صدقات السعادة

«أسال الرب أن يضاعف بركاتك يا سيدتى المتدينة!». هكذا دعا جامع الصدقات وعندما شاهد سقوط الأوراق النقدية فوق قطعتين نقدتين بمقدار خمسة تيستون وبعض قطع الفينتم النقدية القديمة».

«أسال الرب أن يعطيك كل السعادة من السماء والأرض، وتسال نفوس المطهر من الأم العذراء المقدسة أن توصى بك لابنها الربانى!»

عندما يتسم الحظ، تبتسم الطبيعة أيضا، ويبتهج القلب مع جميع ما يحوطه، هذا هو التفسير الذى ذكره جامع الصدقات عن الألفى ورقة نقدية بلغة أقل تنبؤية، لم يساوره الشك قط فى أن تكون تلك الأموال مزيفة، لقد كانت تلك مجرد لحظية، لقد فهم أن السيدتين كانتا سعيدتان، وحيث أنه اعتاد على التفكير بصوت عال، قال وهو يغمز بعينه وهما يصعدان عربتهما: «هاتان الاثنتان شهدتا طائر السعادة، بالتأكيد».

توصل مباشرة إلى استنتاج مفاده أن هاتين السيدتين كانتا عائدتين من مغامرة عاطفية، واستخلص من ذلك ثلاث حقائق، والتي أجد نفسى مضطرا لذكرها هنا حتى لا نترك هذا الرجل عرضة للشك فى تشهير غير مبرر، الحقيقة الأولى هى سعادتهما، والثانية هى قيمة التبرع، والثالثة هى العربة التى تنتظرهما فى زقاق، كما لو كانتا ترغبان فى إخفاء مكان لقاء الأحبة من سائق العربة، والآن، لا يتبادر إلى ذهنك أنه كان سائقا فى يوم من الأيام، يقود الشابات جيئة وذهابا قبل القيام بمهنة خدمة النفوس، ولا تظن أيضا أنه كان ثريا وزناوى، وسخى فى قول الوداع لصديقاته السيدات، «لا يمتلك مثل هذه الثراء فى الشرف ولا مثل هذه المهانة». لقد كان مجرد شيطانا فقيرا كما لم يكن يملك مهنة أخرى سوى كونه متدينا، وعلاوة على ذلك، لم يكن لديه الوقت الكافى، فهو يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما فقط».

لوح للسيدتين وعندما عبرت عربتهما، نقلها تمريرها، وبعد ذلك حدّق فى الورقة النقدية، ورقة مهلهلة جدا، قيّمة جدا، ورقة لن

تدعها النفوس تمر من بين يديه، استمر في سيره في شارع ساو جوزيه، لم يعد يقوى على التسول، فالورقة النقدية تتحول إلى ذهب وعادت فكرة كونها مزيفة تراوده من جديد الآن بشكل أكبر، حتى استولت عليه الفكرة لبضع دقائق، إذا كانت مزيفة. «قداس الموتى!». نوح عند باب متجر البقالة وأعطوه فينتم، عملة قذرة وكثيبة للغاية، واستقرت عند أقدام الورقة النقدية الحديثة جدا والتي تبدو وكأنها صادرة للتو من المطبعة، كان مدخل بيت في المدينة هو المحطة التالية، فدخل وصعد الدرج وتوسّل وأعطوه فينتمتين، ضعف العملة الأخرى في القيمة والصدأ.

ولازالت الورقة النقدية نظيفة، ورقة بقيمة ألفى ريبيلز والتي بدت وكأنها عشرين ألف ريبيلز، كلا، لم تكن مزيفة، أخرجها في الرواق ونظر إليها عن كثب، لقد كانت حقيقية، وفجأة سمع صوت الباب يُفتح وصوت خطى سريعة، طوى الورقة بأسرع من الخطوات وحشرها في جيب سرواله، وظلت هناك فقط العملات الكثيبة الصدأ، عملات الأرملة، غادر المبنى وذهب إلى ورشة العمل التالية، المتجر التالي، المدخل التالي، يتسول بصوت عال وبشكل حزينقداس الموتى!

في الكنيسة، بعد أن خلع عباءته وعقب تسليم صندوق الصدقات لحافظ غرفة المقدسات، سمع صوتا ضعيفا كصوت روح تائهة يطلب منه الورقة النقدية ذات الألفى ريبيلز، الألفى ريبيلز، قالها صوت صوت آخر أقل وهنا، والذي كان بالطبع صوته، فهو أولا لديه روحا أيضا وثانيا فهو لم يتلق أبدا مثل هذه الهبة الكبيرة،

أيا كان من يريد أن يتبرع بمثل هذا المبلغ الكبير يأتي إلى الكنيسة أو يشتري شمعة، فهم لا يضعون ورقة نقدية من هذا القبيل في صندوق الصدقات».

إذا كنتُ أكذب، فهذا ليس متعمدا، في الواقع، لا تخرج الكلمات بمثل هذا الوضوح والجلء، وينطبق ذلك أيضا على الكلمات الأضعف أو الأقل ضعفا، يتردد صداها جميعا في أذني ضميره، لقد قمتُ بترجمتهما إلى لغة منطوقة حتى يمكن لقارئ أن يفهمهما، لا أعلم كيف يمكن للمرء أن يدون على الورق دويا أصم ودويا أقل صمما، واحدا تلو الآخر وهما مختلطين معا، حتى بقى الصوت الثاني فقط: «إنه لم يأخذ الورقة النقدية من أحد»، وضعتها السيدة في الصندوق بيدها»، فهو أيضا روح».. وعلى باب غرفة المقدسات والتي تقود إلى الشارع، وبمجرد أن أسدل الستار الثقيل الأزرق ذا الحواف الذهبية، لم يسمع شيئا آخر، رأى متسولا يحمل قبعته المشحمة الرثة، وضع يده بعناية في جيب صدريته، الرثة أيضا، وغامر بإخراج العملتين النحاسيتين ووضعهما في قبعة المتسول، على عجب، وفي الخفاء، كما يحدث للإنجيل، لقد كانتا قطعيتين من الفينتم، وبقي لديه ألف وتسعمائة وستون فينتما، وبعد أن غادر بسرعة، ردد المتسول خلفه كلمات الشكر، والمشابهة لكلماته: «أسأل الرب أن يضاعف بركاتك يا سيدي العزيز، وأن يعطيك».

٤- قداس العربة

ظلت ناتيفيداد تفكر في الكابوكلا التي تقطن على تل كاستيلو، تفكر في نبوءة العظمة وملاحظة الشجار، بدأت، في الواقع، تتذكر أن حملها لم يكن سهلا، ولكن مابقى في وعيها هو حسن حظ المجد والعظمة، تلاشى الشجار من وعيها، كما لو أنه لم يحدث على الإطلاق، المستقبل، نعم، هذا هو أهم شيء، كل شيء في الواقع، لم تقل شيئا والعربة تسير على شاطئ سانتا لوزيا، في لارجو دا لوبا سألت شقيقتها عن رأيها في العرافة، فأجابت بيريتيوا أن لديها انطبعا جيدا، إنها تصدقها، واتفقتا على إنها تبدو إنها تتحدث عن نجليها، كان هذا هو سبب حماسها، ومع ذلك، وبّخت بيريتيوا شقيقتها عن الخمسين ألف ريبيلز التي دفعتهم؛ كان يكفى عشرون ألفا فقط».

”لا يهم، الأمور المستقبلية!“.

”ماذا ستكون طبيعتها؟“

»لا أعرف، أمور مستقبلية«.

غرقا في الصمت مرة أخرى، وحينما دخلت العربة إلى كاتيت، تذكرت ناتفيداد الصباح الذي أمضته في نفس ذلك المكان بداخل نفس العربة، وأفضت لزوجتها بما كانت تتوقعه، لقد كانا عائدين من قداس تذكاري في إيجريا ساو دومينجوس».

”هناك قداس اليوم في إيجريا ساو دومينجوس لروح جواو دي ميلو، المتوفي في ماريتشا»، هكذا أنت شر الإعلان الذي يمكن للمرء أن يقرأه اليوم في بعض صحف عام 1869، يغيب اليوم عن ذاكرتي، ولكن الشهر كان أغسطس، الإعلان صحيح، كان كذلك بالتحديد، فلم تكن هناك معلومات إضافية، فلا يوجد حتى اسم الشخص أو الأشخاص الذين أمروا بتنظيم القداس كما لم يُذكر الوقت أو الدعوة، لم يذكر الإعلان حتى أن الراحل كان كاتباً في المحكمة، وهو منصب تخلى عنه فقط عند وفاته، في الواقع، يبدو أنهم أسقطوا اسماً من اسمه، فاسمه، إذا ما كان ما أُبلغت به صحيحاً، هو جواو دي ميلو دي باروس».

وحيث أن أحداً لم يعلم من الذي أمر بتنظيم القداس، لم يذهب أحد، حتى الكنيسة التي تم اختيارها لم تهتم كثيراً بالأمر، لم يكن القداس مهيباً ولم يحضره العديدون، ولكنه كان حقيراً نوعاً ما، دون أبهة أو جماهير، مختبئاً في زاوية ساحة صغيرة مناسبة لقداس غامض بلا مسمى».

في الساعة الثامنة توقفت عربة عند باب الكنيسة، قفز الخادم وفتح باب العربة وخلع قبعته ووقف مُنتبهاً، خرج رجل مهذب من السيارة والذي مد يده للسيدة؛ ظهرت السيدة وأمسكت

بذراع الرجل، عبرا الساحة الصغيرة ودخلا الكنيسة، بداخل غرفة المقدسات كان الكل متأهبا، الروح التي ستجذب إلى هذا المكان عربة فخمة تجرها خيول أصيلة وشخصان أنيقان لن يشبها الأشخاص الاخرين الذين ينتهى بهم المقام إلى هنا، سُمع القداس دون تعازى أو دموع، وعندما أنت هى، اتجه الرجل المهذب إلى غرفة المقدسات لتقديم هبته، ظن حافظ الغرفة - الذى يطوى في ردائه الورقة النقدية والتي تبلغ قيمتها عشرة آلاف ريليز التي أعطيت له - أن هذا يثبت سمو المتوفى، ولكن من هذا المتوفى؟ سيحدث المثل بالنسبة لصندوق الصدقات، لو كان يستطيع التفكير، حينما أسقطت يد السيدة المكسوة بقفاز قطعة فضية تبلغ قيمتها خمسمائة ريليز، كان من تجمّع بالفعل في الكنيسة نصف دزينة من الأطفال ذوى الثياب الرثة، وأصبح الناس الآن على الأبواب وفي الساحة، ينتظرون، وعندما وصل الرجل المهذب إلى الباب، دار بعينه ببطء في المشهد ورأى أنه وزوجته موضعي فضول، أبقت السيدة عينيها مخفوضتين، ودخل الاثنان إلى العربة وعلى وجهيهما نفس التعبير، أغلق الخادم الباب وانطلقا».

لم يقل القوم المحليون المزيد بهذا الشأن في ذلك اليوم والأيام التالية، تذكر حافظ غرفة المقدسات والجيران العربة بفخر، لقد كان قداس العربة، أتت جماهير أخرى وذهبت، الكل كانوا يسرون على أقدامهم، بعضهم بأحذية ممزقة، وعادة حفاة، ملابس قديمة، كتان ممزق، جماهير ترتدى قماش الكاليكو في أيام الآحاد، جماهير عاققة، عاد كل شيء إلى طبيعته، ولكن عاش قداس العربة في ذاكرتهم لعدة شهور، وأخيرا لم يعدوا يتحدثون عنه - نُسى كحفلة

تذكيرية».

حسنا، تلك كانت نفس العربية، أمر ذلك الرجل المهذب المدعو سانتوس بتنظيم القداس، وكان المتوفي قريبه، حتى ولو كان قريبا فقيرا، هو أيضا كان فقيرا، لقد وُلد أيضا في ماريتشا، وعند وصوله إلى ريو دي جانيرو، بمناسبة حمى البورصة «1855»، يقولون أنه كشف عن قدرة غير عادية على كسب المال بسرعة، كسب الكثير من المال بسرعة، وجعل الآخرون يخسرونه، تزوج ناتيفيداد عام 1859 والتي كانت في العشرين من عمرها آنذاك ولم تكن تمتلك مالا، ولكنها كانت جميلة وأحبته للغاية، أنعم عليهما الرب بالثراء، وبعد سنوات كان لديهما منزلا فاخرا وعربات وخيول وعلاقات اجتماعية جديدة، ومن أقارب ناتيفيداد الفقراء، توفي والدها عام 1866، وتبقت شقيقتها فقط، كان سانتوس لديه أسرة في ماريتشا والتي لم يرسل لها مالا أبدا، سواء من باب البخل أو الذكاء، أو الشُّح، لا أعتقد ذلك، فهو ينفق بسخاء ويعطى صدقات كثيرة، فليكن الذكاء، لقد قضى على رغبتهم في التطلع للمزيد».

هذا لم يفلح مع جواو دي ميلو، الذي ظهر ذات يوم لطلب وظيفة، أراد أن يكون- مثل سانتوس- مديرا لبنك، أوجد سانتوس له بسرعة وظيفة كاتب المحكمة في ماريتشا وودعه بأفضل نصيحة في العالم».

غادر جواو دي ميلو مع وظيفة الاستكتاب وبشغف كبير أيضا، كما يقولون، كانت ناتيفيداد أجمل امرأة في ذلك الوقت، وحتى في نهاية المطاف، مع شعرها الرمادي الستيني، عاشت أهلا لسمعتها، أصبح جواو دي ميلو مفتونا بها وعندما رآها، أدركت ذلك وتصرف

بشكل صحيح، لم تبد أية ملامح غاضبة، صحيح، ولقد كانت أقرب للججمال منها إلى الغضب بهذه الطريقة، كما لم تغلق عينيها أمامه، والتي كانت سوداء ودافئة، لقد أغلقت قلبها فقط، قلب يجب ألا يحب شخصا آخر وكان هذا هو الاستنتاج الذي توصل إليه جواو دى ميلو حينما رآها عرية الكتف في حفلة راقصة، كانت لديه الرغبة في امتلاكها، أن ينام معها، أن يطير، أن يُجرف بعيدا».

وبدلا من ذلك، استكتاب في المحكمة، لقد كانت هاوية، سقط فيها وبعد ثلاثة أيام غادر ريو دى جانيرو، إلى غير رجعة، في البداية، كتب العديد من الرسائل إلى قريته، على أمل إنها سوف تقرأها وتفهم أن بعض الكلمات موجهة إليها، لم يجب سانتوس هذه الرسائل، وحوّل الوقت والغياب جواو دى ميلو إلى كاتب ممتاز، وتوفي بسبب التهاب رئوى».

كان الدافع وراء قطعة ناتيفيداد الفضية الصغيرة والتي ألقته في صندوق الصدقات هو تعويض افتتان المتوفي بها، لن أقول نعم أو لا، تعوزني التفاصيل، ولكن يمكن أن يكون الأمر كذلك، لأن هذه السيدة لا يقل امتنانها عن عفتها، أما بالنسبة لعطاء زوجها، لا تنس أن هذا القريب قد توفي، ورجل متوفي يعنى قريبا بدرجة أقل».

٥- هناك تناقضات لا يمكن تفسيرها

لا تطلب منى تفسير سبب مثل هذا التواضع في الإعلان والقداس وكل تلك العلانية مع العربة والخدام والخيل، هناك تناقضات لا يمكن تفسيرها! سيقوم مؤلف جيد، الذى أَلّف قصته أو صب أهمية على منطق الأحداث الواضح، بنقل آل سانتوس سيرا على الأقدام أو بواسطة سيارة نقل عام أو مركبة مستأجرة؛ ولكن أنا، يا صديقى، أعلم كيف جرت الأحداث، وأروها تماما مثلما وقعت، على الأكثر، أشرحها، مع شرط أن مثل هذا العرف لن يصبح عادة، التفسيرات تستنفذ الوقت والورق، تعرقل العمل وتنتهى بالملل، من الأفضل القراءة بانتباه».

وبالنسبة للتناقض الذى ناقشه هنا، فمن الواضح أنه فى مثل هذه الساحة الصغيرة المتواضعة والبعيدة، لن يصطدم بهم أحد يعرفوه، فى حين إنها سيستمتعون بإعجاب الجماهير المحلية، هكذا كان سانتوس يفكر، إذا كان يمكن لأحد أن يُطلق مثل هذا الاسم على

عملية داخلية تدفع المرء إلى القيام بشيء معين بدلا من آخر، ويتبقى القداس، فالقداس نفسه فقط يحتاج أن يكون معروفا في السماء وماريتشا، كان الزوجان يرتديان ملابس تناسب مقابلة في السماء، خففت رفاهية الزوجين من فقر المصلين؛ لقد كانت نوعا من التقدير إلى المتوفى، وإذا كانت روح جواو دي ميلو قد شهدتهم من أعلى، لكان قد أصبح سعيدا بالملابس الأنيقة التي ارتدوها حينما ذهبوا للصلاة على روح كاتب فقير، لستُ أنا من أقول ذلك، فسانتوس هو الذى يعتقد ذلك».

٦- الأمومة

في البداية ركبتا في صمت، تحدثت ناتيفيداد فقط لتشكو من الكنيسة القذرة التي لطخت رداؤها.

واصلت حديثها قائلة: ملابسى تملؤها البراغيث، لما لم نذهب إلى كنيسة القديس فرانسيس دي باولا أو جلوريا، الأقرب والأكثر نظافة؟

غير سانتوس الموضوع وتحدثت عن الطرق الممهدة على نحو سيئ، الأمر الذى جعل العربدة ترتج، بالتأكيد، سيحطم ذلك الزنبركات.

لم تُجب ناتيفيداد، غرقت في صمت، كما كان الحال في ذلك الفصل الآخر، عشرون عاما لاحقة، وعندما عادت من تل مورو كاستيلو مع شقيقتها، لم تلمع عينيها باندهاش مثلما فعلت ذلك اليوم، لقد كانت عينيها ثابتتين وحزینتين، كما كانت في الصباح واللييلة السابقة، وعندما لاحظ ذلك، سألتها سانتوس ما الأمر، لا أعرف ما إذا كانت قد أجابته بالكلمات، إذا قالت شيئا، فكان مختصرا وبصوت خفيض للغاية لدرجة أنه لم يفهم شيئا على الإطلاق، وربما لم يتعد الجواب نظرة خاطفة، أنه أو شيء من هذا القبيل، أيا كان، وعندما وصلت العربدة إلى منتصف كاتيت، كان الاثنان يمسان بيد بعضهما البعض وكان الابتهاج يعلو وجهيهما، لم يبالا بأى فرد آخر في الشوارع، وربما ولا حتى بنفسيهما».

سیدی القارئ، بالتأكيد خمنت سبب ذلك التعبير على وجهيهما

وتلك الأصابع الملتفة، لقد ذُكر ذلك آنفا بالفعل، وعندما كان من الأفضل أن ندعك تخمّن، ولكن من المحتمل إنك لم تخمن ذلك، ليس لأنك يعوزك الذكاء أو بُعد النظر، ولكن لأن كل رجل يختلف عن غيره، وربما علا وجهك نفس التعبير، ببساطة وعندما تعلم إنك ستذهب إلى حفلة راقصة يوم السبت، سانتوس لم يرقص، فهو يفضل لعبة الهويست على سبيل التسلية، لقد كان السبب عفيفا، كما تعلم، فناتيفيداد كانت مع الطفل وأخبرت زوجها للتو. لا يعتبر بلوغ سن الثلاثين أمرا مبكرا جدا أو متأخرا جدا، فهو أمر غير متوقع، شعر سانتوس بسعادة الحياة الجديدة أكثر من زوجته، وتحقق هنا في النهاية حلم راوده لمدة عشر سنوات، وهو كائن ماخوذ من فخذ أبراهان، كما يقول اليهود الصالحون، والذين اجتزناهم في وقت لاحق والذين يقرضون الآن أموالهم بسخاء للشركات والأمم، يحصلون على فائدة للقروض، ولكن الأمثال العبرية تُقال في أي وقت، وهذا واحد منهم، سانتوس، الذي لديه دراية بجزء بسيط فقط عن القروض، أدرك المثل بلا وعى وسُر به، عقدت العاطفة لسانه، كانت عينيه، التي داعبت زوجته واحتضنتها، عيني بطريك، صبت ابتسامته نورا على محبوبته، مباركة وجميلة بين الجميلات.

لم ينتاب ناتيفيداد مثل هذا الشعور بالضبط في بادئ الأمر، ولكن شيئا فشيئا تغلّب عليها، واعتلى وجهها بالفعل تعبيرا بالأمل والأمومة، في الأيام الأولى، أقلقت تلك الأعراض صديقنا، من الصعب قول ذلك، ولكنها الحقيقة، ذهبنا إلى حفلات الرقص والسهرات حيث الحرية والترفيه، اختلطت ناتيفيداد مع أعلى

الجماعات في ذلك الوقت، وأصبحت مجرد جزء من المجتمع، بذلك الفن الذي جعلها تبدو وكأنها ولدت هناك، تبادلت الرسائل مع سيدات عظيمات، وتآلفت مع العديد من الناس، واستخدمت مع البعض ضمير «أنت». الودى، لم تكن تمتلك فقط المنزل الكائن في بوتافوجو، ولكن أيضا منزلا آخر في بتروبوليس، وليست سيارة واحدة فقط، ولكن أيضا مقصورة في المسرح الغنائى، ناهيك عن الحفلات الراقصة في كازينو فلومينينس، الخاصة بها وبصديقاتها، خلاصة القول، كل مايخص الحياة الأنيقة، كُتب عنها في الصحف، وأصبحت من ضمن دزينة أسماء الكوكبية التى تلمع وسط النجوم العامية، كان زوجها رأسمالى ومدير أحد البنوك.

في خضم كل هذا، لماذا ينبغي أن يأتي طفل والذي سيمسحها لعدة أشهر ويجبرها على الانسحاب من المجتمع ويحرمها من النوم ويعانى من مشاكل التسنين ومشاكل أخرى؟ كان هذا أول شعور لدى الأم، وكانت أول نتيجة هى سحق البذور، أصبحت غاضبة من زوجها، الشعور الثانى كان أفضل، الأمومة، التى وصلت فى منتصف النهار، كانت كفجر جديد منعش، رأت ناتيفيداد صورة نجلها أو نجلتها تلعب فى عشب منزلهم الريفى أو فى أحضان مربيته، ثلاث سنوات، ويتحقق هذا المشهد وعندما تكون فى الرابعة والثلاثين من عمرها، ويعطيها مظهر مجرد فتاة تبلغ من العمر بضعا وعشرين عاما.

هذا هو ماجعلها تتصالح مع زوجها، لا بأبالغ، فلا أكره السيدة، سيكون البعض خائفين، وسيشعر المعظم بالحب، والنتيجة هى

أنه من خلال مدخل أو آخر، الحب أو الغرور، ما يريده الجنين هو دخول الحياة، سواءً كان قيصرًا أو جواو فرنانديز، فكل ما يريده هو الحفاظ على الحياة، ضمان السلالة وترك العالم في أقصى وقت متأخر ممكن.

كان الزوجان صامتين، وعند الوصول إلى شاطئ بوتافوجو، بعث فيهما منظر الخليج السرور المعتاد، بدا المنزل من بعيد، رائعا، سر سانتوس وعندما رآه، فقد رأى نفسه فيه، لقد كبر معه وارتقى بداخله، ابتسم تمثال نرسيوس في منتصف الحديقة عند دخولهما، أصبحت الرمال مرجة خضراء، حط طائران من طيور السنونو على رأسيهما، أجنحتهما الخفاقة تعرب عن سعادة الزوجين، تكرر نفس الاحتفال وهما ينزلان، توقّف سانتوس للحظات كي يرى العربة وهي تعود وتغادر وتتجه نحو الملحق، ثم تبع زوجته إلى البهو.

٧- مرحلة الحمل

في الطابق العلوى، كانت بيريتيووا تنتظرهما، وهى شقيقة ناتيفيداد التى رافقتها إلى تل مورو كاستيلو وظلت فى العربة، حيث تركتهما لأروى أصول الأولاد.

«حسنا، هل كان هناك الكثير من الناس؟»

«كلا، لا أحد، البراغيث».

لم تفهم بيريتيووا أيضا اختيار الكنيسة، أما بالنسبة لمن سيحضرون القداس، بدا الأمر بالنسبة لها أنه سيكون هناك عدد قليل أو لن يكون هناك أشخاص على الإطلاق، ولكن دخل صهرها الغرفة، فلم تنطق بالمزید، لقد كانت شخصية حذرة والتى لا تسمح لكلمة

متهورة أو تعبير أن يفلت منها، ومع ذلك، كان من المستحيل إسكات اندهاشها حينما رأت صهرها يدخل ويحتضن زوجته بحنان لفترة طويلة ويقبلها.

تسائلت مندهشة «ما هذا؟»

ودون أن يلاحظ حرج زوجته، احتضن سانتوس أخت زوجته، وكان على وشك تقبيلها أيضا لو لم ترتد بقوة وعلى الفور.»

”ولكن ماهذا، هل ربحت في اليانصيب الإسبانية؟“

«كلا، شيء أفضل من ذلك- أشخاص جُدد قادمون.»

احتفظ سانتوس ببعض السلوكيات وطرق الخطاب من سنواته الأولى، والتي من المحتمل ألا يألّفها القارئ تماما، ولكنك لن تحتاج إلى ذلك على الإطلاق، ابتسمت بربيتوا، التي كانت معتادة عليهما، وهنأت الزوجين، ثم تركتهما ناتيفيداد لتغيير ملابسها، أصبح سانتوس، الذي أربكه إفراطه قليلا، جادا وتحدث عن القداس والكنيسة، فوافق على أنه سيئا وفي مكان رديء، لكنه ادّعى أسبابا روحية، الصلاة هي دائما الصلاة، بغض النظر عن مكان اتصال الروح مع الرب، وأن القداس، بالمعنى الدقيق للكلمة، لا يحتاج حتى إلى مذبح، فمجموعة الطقوس والكاهن تكفى للقربان، ربما لم يكن هذا الاستنتاج خاصا به تماما، ولكن سمعه من شخص ما وحفظه بهمة وكرره باقتناع، أومأت شقيقة زوجته رأسها متفقة معه، ثم تحدثا عن قريب المتوفى واتفقا بورع أنه كان أحمقا، لم يستخدمنا هذه الكلمة، ولكن يمكن تلخيص مجمل تقديرهم بهذه الطريقة.

فكانا صادقين، صادقين في قول الحقيقة.

خلص سانتوس قائلاً: «لقد كان لؤلؤة».

وكان هذا النعي الأخير؛ السلام للمتوفى، ومن هناك بدأ العهد الجديد للطفل القادم، لم تتغير عاداتهم في البداية، واستمرت الزيارات والحفلات الراقصة كما كانت من قبل، حتى تراجعت ناتيفيداد شيئاً فشيئاً إلى المنزل، جاءت صديقاتها السيدات لرؤيتها، كما جاء أصدقاءهم النبلاء لزيارتهم أو لعب الهويست مع زوجها.

كانت ناتيفيداد تتمنى صبياً، وسانتوس يتمنى ابنة، وصنع كل منهما حُجة لخياره مع أسباب وجيهة بحيث أنت هي الأمر بتبادل الأماكن، احتفظت هي بالابنة، وألبستها أفضل شريط زينة وقماش قطنى، في حين ألبس هو المحامى الصغير رداء القضاء وأعطاه مقعداً في البرلمان، وآخر في وزارة، كما علّمه كيف يصبح ثرياً بسرعة وقال أنه سيساعده، بادئاً بحساب في قسم الادخارات والقروض، من يوم ولادته حتى يصبح عمره واحد وعشرين عاماً، أحياناً في الليل، إذا كانا بمفردهما، يتناول سانتوس قلماً رصاص ويرسم ابنه، بشارب، أو يرسم فتاة صغيرة رقيقة.

قالت له زوجته ذات ليلة «توقّف يا أوجوستين، ستظل دائماً طفلاً».

وبعد ذلك بفترة قصيرة، بدأت ترسم بالكلمات صورة ابنها أو ابنتها، وكلاهما اختار لون العينين والشعر والجبين والقامة، أتعلم، كانت هي الأخرى لا تزال طفلة، فالأمومة بها هذه التناقضات والأفراح، وأخيراً الأمل، وهي طفولة الإنسانية.

سيكون الكمال للصبي والفتاة اللذين سيولدان، وبالتالي سُتلبى رغبات كل من الأم والأب، فكر سانتوس في عمل جلسة روحانية بشأن هذه المسألة، كان في باكورة الدخول في هذا الدين، وكان لديه الإيمان الراسخ بالرهينة المبتدئة، ولكن زوجته عارضت ذلك، وإذا كان يجب عليهما التشاور مع شخص ما، فسيكون هذا الشخص في المقام الأول هو الكابوكلا الشهيرة القاطنة في تل مورو كاستيلو، والتي كانت تعلم ماذا فُقد وتتنبأ بالمستقبل، ومع ذلك، رفض ذلك أيضا، باعتبار أنه غير ضروري، فلما التشاور في شيء سيتضح في غضون أشهر قليلة؟ وفيما يتعلق بالكابوكلا، ظن سانتوس أن ذلك سيكون تقليدا لسذاجة الجهلاء، ولكن أخت زوجته عارضته، واستشهدت بقضية حديثة لشخص مميز، قاض محلي والتي أعلنت الكابوكلا تنصيبه».

قال سانتوس مفسرا: «ربما يُعجب وزير العدل بالكابوكلا».

ضحك الاثنان على هذا الخاطر، وبالتالي أُغلق فصل العرافة، على أن يُفتح في وقت لاحق، أما الآن دع الجنين يتطور، والطفل يدور ويلتوى، نافذى الصبر على مولده، في الواقع عانت الأم كثيرا خلال فترة الحمل، وخاصة في الأسابيع الأخيرة، فظنت إنها تحمل جنرا لا يبدأ حملته في الحياة، لم يكونا حبيين يتهاويان من فرط الحب قبل أن تبدأ حياتهما.

-

٨- لا صبي ولا فتاة، ولا حتى جنرال

في السابع من إبريل 1870، جاء ولدان توأم إلى حيز الوجود، متطابقين للغاية بحيث يبدو كل منهما وكأنه ظل للآخر، لو لم يكن الأمر ببساطة الخداع البصرى للعين التى ترى رؤية مزدوجة.

كانوا على استعداد لأى شىء آخر عدا التوأم، ولم يكن حبهم

يقول عن دهشتهم الكبيرة، هذا يُسهل فهمه دون الحاجة منى إلى الإصرار، تماما كما يفهم المرء أن الأم من شأنها أن تعطى ابنها رغيغ الشاعر الكامل والمقسّم، أود أن أضيف أن الوالد فعل الشئ نفسه، فقضى الأيام الأولى يتأمل الولدين ويقارنهما ويقيسهما ويزنهما، كانا نفس الوزن، وكبرا بنفس الطول، حدثت التغييرات بسرعة فى الاثنين، الوجه الطويل والشعر البنى الداكن والأصابع الطويلة الرفيعة بحيث، أنه وعندما تتقاطع أصابع اليد اليمنى لإحدهما مع أصابع اليد اليسرى للآخر، فمن المستحيل أن قول أنهما شخصين منفصلين، يمكن أن يمتلكا طباعا مختلفة فى المستقبل، ولكن الآن، فهما نفس الكائنين الصغيرين الحذرين، بدأ يتسمان فى نفس اليوم، كما تم تعميدهما فى يوم واحد.

وقبل الولادة، كانا قد اتفقا على إطلاق اسم الأب أو الأم اعتمادا على جنس الطفل، وحيث أن هناك زوج من الأولادولا يوجد صيغة مذكر من اسم الأم، ولم يُرد الأب أن يستخدم فقط اسمه، شرعا فى البحث عن أسماء أخرى، اقترحت الأم أسماء فرنسية أو إنجليزية، اعتمادا على الروايات التى كانت تقرأها، اقترحت بعض الروايات الروسية المشهورة أسماء سلافية، قبل الوالد بعضها، ولكن استشار أطراف ثالثة، ولم يصل إلى آراء حاسمة، وبشكل عام من تمت استشارتهم اقترحوا اسما آخر والذى لم يُقبل فى المنزل، كما اقترحوا أسماء أعلام برتغالية قديمة، بدون حظ أفضل، وذات يوم وعندما كانت بيربيتيوا فى القداس، تلت أسس العقيدة ولفقت عبارة «الرسل المقدسة القديس بطرس والقديس بولس». أنت باهها، وأمكنها بالكاد أن تنهى الصلاة، لقد وجدت الأسماء؛ كانت

أسماء بسيطة ومزدوجة، وافقها الوالدان، وأنت هي النزاع.

كانت فرحة بيريتيوا تقريبا كبيرة كفرحة الأب والأم، أن لم تكن أكبر، ولكنها كانت كبيرة أيضا حتى وأن كانت قصيرة الأجل، كانت تسمية الأولاد لا تقل أهمية عن ولادتهما، أرملة، بدون أطفال، لم تحكم على نفسها بعجزها عن امتلاكهم، فكانت تسميتهم أمرا ذا شأن، لقد كانت تكبر شقيقتها بحوالي خمس أو ست سنوات، تزوجت ملازما من سلاح المدفعية والذي توفي برتبة نقيب في حرب باراجواي، كانت قصيرة إلى حد ما وبدينة، على عكس ناتيفيداد التي دون أن تكون نحيلة، لا تحمل نفس كمية من اللحم، فكانت طويلة القامة وتقف منتصبة، وكان كلاهما يتمتعان بالصحة.

قالت بيريتيوا لأختها وصهرها: بيدرو باولو، وعندما نطقت هذين الاسمين في الصلاة، شعرت بشيء مافى قلبي.

قالت شقيقتها: ستكونين أما بالعماد لواحد منهما.

تلقى الصغيران- اللذان يميزهما عن بعضهما البعض شريط ملون- ميداليات الذهبية، واحدة منها بها صورة للقديس بطرس والأخرى صورة القديس بولس، لم يزول الارتباك على الفور، ولكن في وقت لاحق، ببطء وليس تماما، فاستمر مثل هذا الشبه حتى أن أولئك الذين يعرفونهما كانوا يخطئون في التعرف عليهما في معظم الأوقات أو طوال الوقت، لم تكن الأم بحاجة لعلامات خارجية كبيرة لتعرف من هما تلك القطعتين المنبثقتين منها، أصبحت المرصعتان - على الرغم من التفريق بينهما - متنافستين بسبب تشابه مهامهما،

فلقد أصرت كل منهما أن مهمتها أكثر براعة، واتفقت ناتيفيداد مع كل منهما.

بيدرو سيكون طبيبا، وباولو محاميا، كان هذا أول اختيار للمهن، ولكن سرعان ماستتغير، لقد فكّرا أيضا في إدخال إحداهما في مجال الهندسة، وأغرى سلاح البحرية الأم، وذلك بسبب التمييز الخاص لمدرسته، العقبة الوحيدة هي أول رحلة بعيدة، ولكن ناتيفيداد ظنت إنها يمكنها التحدّث بانفراد مع وزير البحرية، تحدثت سانتوس عن أن يصبح أحدهما أو كلاهما صاحب بنك، وهكذا مرّت ساعات الفراغ، ودخل أخدان الأسرة في الحسابات، فحاول البعض أن يجعلوهما وزراء، قضاة، أساقفة، كرادلة.

قال الوالد: لا أطمح في كل ذلك.

لم تقل ناتيفيداد شيئا أمام الغرباء، فقد ابتسمت فقط، كما لو كانت لعبة في عيد القديس يوحنا، رمية نرد والقراءة في كتاب المصائر المربّع المقابل للرقم، لا يهم، فبداخها تاقت لمصير رائع لأبنائها، آمنت، أنت ظرت، صلت، دعت السماء أن تجعلهما رجلين عظيمين.

سألت إحدى الممرضات، ويبدو إنها كانت ممرضة بيدرو، والتي تعلم هذه الأشواق والمحادثات، ناتيفيداد لما لم تتشاور مع الكابوكلا في مورو كاستيلو، وادعت أن المرأة كانت قادرة على التنبؤ بكل شيء، ماذا كان وماذا سيكون، كانت تعلم أعداد اليانصيب الكبيرة، فهي فقط لم تذكر ماهي ولم تشتت تذاكر اليانصيب حتى لا تسرقها

مما اختاره ربنا، فتبدو وكأنها أرسلت من قبل الله.

أكدت المرضعة الأخرى هذه الشائعة، وأضافت أخريات، فهي تعرف الأشخاص الذين فقدوا ووجدوا كل من المجوهرات والعبيد، فرجال الشرطة أنفسهم، وعندما لا يتمكنون من العثور على مجرم، يذهبون إلى التل للتحدث مع الكابوكلا ويعودون بالمعلومات التي يحتاجون إليها، لهذا السبب لم يتم طردها، كما كان الحساد سيفعلون، فلم يسافر الكثيرون دون القيام أولاً برحلة إلى أعلى التل، شرحت الكابوكلا الأحلام والأفكار، وتعالج السحر.

عند الغذاء، كررت ناتيفيداد لزوجها اقتراح المرضعات، هز سانتوس كتفيه، ثم ضحك بسبب علم الكابوكلا المزعوم بالغيب- وخاصة أن مسألة اليانصيب أمر لا يمكن تصديقه لأنه أن كانت تعرف الرقم، إذن فلما لم تشر تذكرة؟ رأت ناتيفيداد أن هذا هو أصعب ما يمكن تفسيره، لكنه يمكن أن يكون تلفيقاً من الناس، وأضافت ضاحكة: إنها غير مستعدة ألا للأغنياء»، كرر زوجها، الذي كان يتناول عشاءه في الليلة السابقة مع قاض، كلماته بأنه». حتى تسيطر الشرطة على الوضع»، ولم يكمل القاضى جملته، واختتم سانتوس بتعبير غامض.

علقت زوجته قائل: لكنك محضّر أرواح.

أجاب برزانة: عفوا، دعينا لا نخلط بين الأمرين.

نعم، فقد يوافق على التشاور مع محضّر أرواح، لقد فكر في ذلك بالفعل، فيمكن أن يخبره محضّر ما الحقيقة بدلا من عرافة كاذبة، دافعت ناتيفيداد عن الكابوكلا، تحدثت الناس في المجتمع عنها

بجدية تامة، لم تكن ترغب في الاعتراف إنها تؤمن بالمرأة، ولكنها فعلت في الحقيقة، إذا كانت قد امتنعت عن السعى إليها من قبل، فكان ذلك بالطبع بسبب عدم وجود الدافع وهو ماقيدها، مألهمية معرفة جنس طفلها؟ أن معرفة مصير الاثني كان أمرا أكثر إلحاحا وإفادة، المفاهيم القديمة التي ترسخت فيها وهي طفلة تركت دماغها الآن ونزلت إلى قلبها، تصورت ذهابها مع الصغيرين إلى مورو كاستيلو بحجة النزهة، لماذا؟ لتأكيد المل التي تؤمن به بأنهما سيكونان رجلين عظيمين، وقد يكون هناك تنبوءا مضادا لم يتبادر إلى ذهنها، ربما لو كانت القارئة في نفس الموقف، لكنت أنت ظرت القدر فقط، ولكن القارئة إلى جانب عدم الإيمان - ليس كل يؤمن - قد لا تبلغ من العمر أكثر من عشرين أو اثنين وعشرين عاما، وسيكون لديها الصبر لتنتظر، أما ناتيفيداد، من جانبها، فقد اعترفت بأنها تبلغ من العمر واحد وثلاثين عاما، وتخشى ألا تشهد عظمة أبنائها، قد تشهدها، لأن المرء يمكن أن يموت كبيرا، وأحيانا في عمر الشيخوخة، ولكن هل سيكون للأمر نفس المذاق؟

بعد العشاء، كان موضوع الحديث هو الكابوكلا القاطنة في التل، والذي بدأه سانتوس الذي كرر آراء الليلة السابقة والغذاء، ذكر بعض الزوار ماسمعوه عنها، لم يغمض لناتيفيداد جفن في تلك الليلة قبل أن تحصلت على إذن من زوجها لزيارة الكابوكلا مع شقيقتها، فلن يوجد ماتخسره، سيكفى أخذ صور الغلامين وخصلات شعريهما، ولن تعلم المرضعات شيئا عن المغامرة.

وفي اليوم المحدد ركبت الاثنتان العربة، ما بين الساعة السابعة

والثامنة، بحجة النزهة، وذهبتا إلى شارع ميزيريكورديا، أنتتعلم بالفعل أنهما نزلا هناك، بين كنيسة القديس يوحنا ومجلس النواب، وأنهما سارا من هناك إلى شارع كارمو، حيث اتخذتا الممشى أعلى تل كاستيلو، وعندما كانتا على وشك الصعود، ترددتا، ولكن الأم هي الأم، والآن يتبقى القليل لسماع صوت المصير وهو يتحدث، لقد رأيتهما وهما تصعدان، وتنزلان، وتعطيان الورقة النقدية بقيمة ألفى ريبيلز لجامع الصدقات، وتصعدان العربة، وتعودان إلى بوتافوجو.

٩- نظرة على القصر

في كاتيت عبرت عربتهما وسيارة مكشوفة وتوقفتا لبعض الوقت، قفز رجل من السيارة المكشوفة واتجه إلى العربة، لقد كان زوج ناتيفيداد، الذي كان في طريقة الآن إلى المكتب، متأخرا قليلا عن المعتاد، لأنه كان ينتظر عودة زوجته، كان يفكر بها وبالعمل، بالأولاد وبقانون ريو برانكو الذي كانت تُجرى مناقشته آنذاك في مجلس النواب، أقرض مصرفه المال إلى المزارعين، ثم فكر أيضا بكاستيلو دو مورو وما يمكن أن تكون الكابوكلا قد قالته لزوجته».

مرورا بقصر نوبا فريبورجو، ثبتت بصره عليه بالطمع المعتاد وشوق لامتلاكه، دون توقُّع المصير الرفيع للقصر في تاريخ الجمهورية، ولكن من آنذاك يتوقع أي شيء؟ من يمكنه التنبؤ بأي شيء على الإطلاق؟ بالنسبة لسانتوس، كان مايشغله فقط هو امتلاك القصر، إقامة حفلات كبيرة وفريدة هناك، وهو ماسيُنشر في الصحافة ويُناقش في المدينة بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء، بإعجاب كامل، غضب، أو حسد، لم يفكر في الذكريات الجميلة التي ستنقلها أمهات المستقبل إلى حفيداتهم، ناهيك عن كتب التاريخ المكتوبة والمطبوعة في هذا القرن القادم، لم يكن لدى سانتوس الخيال

للتفكير في الأجيال القادمة، فقد كان يرى الحاضر وعجائبه فقط.

لم يكن يكفى ما كان عليه بالفعل، فالمنزل في بوتافوجو، في حين أنه كان جميلا، لم يكن قصرا، وبالتالي فهو غير مرئى كما هو الحال هنا في كاتيت، طريق عام يجب على الجميع اجتيازه، سينظر الجميع إلى النوافذ الكبيرة والأبواب العظيمة والنسور الضخمة التي تزين زوايا القصر وأجنحتها الكبيرة المنتشرة، أيا كان من يراه من على شاطئ البحر سيرى الجزء الخلفى من القصر وحدائقه وبركه، أوه سعادة مطلقة! تصوّر سانتوس البرونز والرخام والأضواء والزهور والرقصات والعربات والموسيقى والغداء»، فكّر في كل ذلك بسرعة، لأن السيارة المكشوفة، على الرغم من إنها لم تكن مسرعة تم كبح الخيول لإبطاء سرعتهم، لا تزال لا تتحرك ببطء كاف بالنسبة لسانتوس كي ينتهى من حلم يقظته، وبالتالي قبل أن تصل إلى شاطئ جلوريا، ملحت السيارة المكشوفة عربة العائلة، وتوقفت العربتان على مقربة من بعضهما البعض، كما ذكر آنفا.

١٠ - القسم

قيل أيضا أن الزوج خرج من سيارته المكشوفة واتجه نحو العربة المقفلة، حيث تنتظره زوجته وشقيقتها، وتتوقعان أسئلته، ابتسمتا.

قالت بيريتتوفا ناصحة: لا تخبريه أى شىء.

ظهرت رأس سانتوس بسوالفها القصيرة وشعره القصير للغاية والشارب المهذب، كان رجلا جذابا، وعندما توقّف، لم يكن سيئا على الإطلاق، فالإثارة التى اقترب بها واتكائه على العربة وطريقة كلامه سلبت جاذبية سلوكه فى السيارة المكشوفة، فكانت يداه تستندان على المقبض الذهبى لعصاه المسنودة بين ركبتيه.

تساءل: هل كل شىء على مايرام؟ هل كل شىء على مايرام؟

«سأخبرك في وقت لاحق».

”ولكن ماذا حدث؟“.

”في وقت لاحق“.

”جيد أو سيء؟ فقط أخبريني إذا كان الأمر جيدا“.

”جيد، الأمور المستقبلية“.

”هل هي شخصية جادة؟“.

”إنها جادة، سأراك لاحقا“. هكذا كررت ناتيفيداد وهي تمد أصابعها“.

ولكن لم يمكن للزوج الابتعاد عن العربة، فأراد أن يعرف كل شيء على الفور، الأسئلة والإجابات، الناس الذين كانوا ينتظرون، إذا كان المصير واحدا لكليهما، أو إذا كان كلُّ له مصير مختلف، لا يوجد شيء من هذا كما أكتبه هنا، ببطء، بحيث لا تؤثر الكتابة اليدوية السيئة للمؤلف على نثره، كلا يا سيدي، تعثرت كلمات سانتوس في عجلة بالغة، سقطت فوق بعضها البعض، اختلطت مع بعضها البعض، بدون بداية ونهاية، الزوجة المحبوبة لديها أذنيها بالفعل، مضبوطة تماما مع كلمات زوجها، وخاصة في أوقات العاطفة أو الفضول، فتفهم كل شيء، وتظل تقول كلاً، أكدت رأسها وإصبعها السلبية، لم يكن لدى سانتوس أي خيار، وقال إلى اللقاء.

وفي الطريق، أدرك أنه لو لم يصدق الكابوكلا، فمن العبث الإصرار

على معرفة نبوءتها، لقد كان الأمر أكثر من ذلك، لقد كان الاعتراف بأن زوجته كانت على حق، لقد أخذ على نفسه عهداً بالأل يسأل ثانية وعندما يعود، لم يعد بأن ينسى، وبالتالي فهناك الإصرار الذى يربطه بالنبوءة فى أغلب الأحيان، وفى النهاية، سيخبرونه بكل شىء دون أن يسأل عن أى شىء، وهذا بالتأكيد جعل الأمور تسير على مايرام فى هذا اليوم.

لا تستنتج من هذا أن عملاء البنك تكبدوا أى خسارة فى الخدمات نتيجة اضطرابه، فسارت الأمور بشكل جيد، كما لو لم يكن لديه زوجة أو أبناء، أو كما لو لم يوجد كاستيلو أو الكابوكلا، لم تكن يديه فقط هى التى تقوم بعملها وهو توقيع الأوراق، ففمه ظل يتحدث ويعطى الأوامر وينادى ويضحك، إذا لزم الأمر، ومع ذلك، استمر القلق وظلت الصور تتنقل ذهاباً وإياباً فى مخيلته، وفى فاصل زمنى بين اختيارين، قرر سانتوس طريقاً أو آخر، أن لم يكن الاثنى فى نفس الوقت، وعندما دخل العربة فى فترة مابعد الظهر، ترك لعقله عنان التفكير فى النبوءة، أراح يده على عصاه التى استقرت بين ركبتيه، كما كان الأمر فى الصباح، لكنه كان يفكر بمصير أولاده.

عندما وصل إلى المنزل، رأى ناتيفيداد تتأمل الولدين وكل منهما فى سريره، ومرضعاتهما عند أقدامهما، ويعتريهما قليل من الدهول من إصرار قصد والدتهما لهما فى ذلك اليوم منذ الصباح الباكر، فالأمر لم يكن مجرد إلقاء نظرة عليهما، أو التحديق فى المكان والزمان، كانت تقبلهما وتضمهما إلى صدرها، نسيت أن أقول إنه فى الصباح، بدلت بيربتيوا ملابسها قبل شقيقتها ووجدتها تقف عند نهاية

سريرى الطفلىن؁ وكانت ترتدى نفس الملابس التى كانت ترديها
وهى عائدة من التل.

قالت: أرى إنك جئت لرؤية الرجال العظماء.

”نعم؁ ولكننى لا أعلم الطريقة التى سىصبحون بها عظماء.“

”أيا كانت الطريقة؁ دعينا نتناول الغداء.“

وعند الغداء وطوال اليوم؁ تحدثا كثيرا عن الكابوكلا ونبوئتها؁ الآن؁
وعندمارأت زوجها آتيا؁ شاهدت ناتيفيداد اللامبالاة المتصنعة
فى عينيه؁ أرادت أن تبقى هادئة وأنت ظرت؁ لكنها كانت تتوق
للغاية لإخباره بكل شىء؁ وكان ذلك جيدا جدا لدرجة إنها غيرت
رأيها؁ فما عدا ذلك؁ لم يكن لديها الوقت للقيام بذلك؁ حتى قبل
أن تبدأ؁ كان قد سألها بالفعل ماذا حدث؁ فروت ناتيفيداد صعود
التل والتشاور والإجابة وبقية الأمور؛ وصفت الكابوكلا ووالدها.

”وبعد؁ مصائر عظيمة؟“

كررت «الأمور المستقبلية».

”بالتأكيد مستقبلية؁ فمسألة الشجار فقط هى التى لا أفهمها؁ لما
الشجار؟ وكيف تشاجرا؟ وهل تشاجرا حقا؟“

تذكرت ناتيفيداد معاناتها خلال فترة الحمل؁ واعترفت أنه لم تشكو
حتى لا تقلقه؁ وبطبيعة الحال هذا هو مافسرته العرافة بالشجار».

«ولكن لما يتشاجران؟»

«هذا لا أعرف سببه، ولا أعتقد أنه كان شيئًا خطيرًا».

«سأستشير».

«تستشير من؟».

«شخص ما».

«أعلم، صديقك بلاسيدو».

«إذا كان مجرد صديق، فلن أستشير، ولكنه مستشاري الروحي وناصحي، لديه رؤية واضحة وواسعة للأشياء، هدية من السماء، سأستشير كما لو كان أمر افتراضيا، لن أذكر أسماءنا».

«كلا. كلا. كلا!»

«فقط كحالة افتراضية».

«كلا يا أوجستين، لا تخبره، لا تسأل أى شخص نيابة عني، هل تسمع؟ اذهب الآن، عدنى بأنك لن تتحدث عن هذا الأمر مع أى شخص، سواء كانوا محضرى أرواح أو أصدقاء، الأفضل أن نبقى الأمر سرا، يكفي أن نعلم بأن مصيرهما سيكون عظيما، رجلان عظيمان، أمور مستقبلية، أقسم يا أوجستين».

”ولكن ألم تذهبي شخصيا لرؤية الكابوكلا؟“.

”إنها لا تعرفني ولا تعلم حتى اسمي؛ لقد رأتنى مرة واحدة فقط، ولن ترانى مرة أخرى، من فضلك أقسم!“.

”أنت شخصية غريبة، أخبرك الآن، أعدك، وماذا يهم إذا تحدثت عن هذا الأمر؟“.

”ببساطة لا أريدك أن تفعل ذلك، أقسم إنك لن تفعل!“!

”هل هذا أمرا يستحق القسم؟“.

قالت وهى تبتسم «إن لم تقسم، لن أثق بك».

”أقسم“.

”أقسم بالله ربنا“.

”أقسم بالله ربنا“.

١١ - حالة فريدة!

كان سانتوس يؤمن بقداسة القسم، ولهذا السبب، قاوم، ولكن في النهاية وعد، ومع ذلك، لم تغيب فكرة شجار الولدين داخل رحم أمهما أبدا عن باله، أراد نسيانها، قام بلعب الهويست في تلك الليلة، كما جرت العادة، وفي الليلة التالية ذهب إلى المدفأة، وفي الليلة اللاحقة قام بزيارة، ثم عاد إلى لعبته المعتادة بورق اللعب- الهويست- في حين ظلت فكرة الشجار تصاحبه، لقد كانت لغزا، ربما كانت حالة فريدة.

فريدة! حالة فريدة! فتفردتها جعله يتشبه بعناد أكثر بالفكرة، أو تشبثت الفكرة به، ليس لدى تفسير أفضل لهذه الظاهرة الوثيقة، والتي تحدث في وقت لا يمكن لعين بشرية اختراقها، ولا يكفى فيه استبطان أو حدس، وحتى مع ذلك، لم يستغرق ذلك وقتا طويلا جدا، في أول يوم أحد، خرج سانتوس وذهب لمنزل «الدكتور». بلاسيدو في شارع سينادور فيرجويرو، كان منزلا منخفضا بثلاثة نوافذ وقطعة أرض كبيرة تطل على البحر، لا أعتقد أنه موجود الآن، فهو يعود إلى الوقت الذي كان الشارع فيه يُسمى كامينهو فيلهو، كي يتم تمييزه عن شارع كامينهو نوفو.

اغفر لي عزيزي القارئ هذه التفصيلات قليلة الأهمية، فيمكن المضي قدما بدونها، ولكنني أريدك أن تعرف ماهية هذا المنزل، وفي أي شارع يقع، وما هو أكثر من ذلك، سأخبرك أنه كان نوعا من نادى، معبد، أو مكان روحانى للعبادة، كان بلاسيدو كاهنا ومديرا عاما، كان رجلا عجوزا ذا لحية كثيفة وعينين زرقاوتين ثاقبتين ويكسوه رداء كبيرا من الحرير، ضع عصا السحر في يده، وسيكون ساحرا، ولكن بصدق، لم تكن اللحية والرداء منهوكتين لإبراز هذا التأثير، وعلى عكس سانتوس، الذى كان ليغيّر هيئته

عشر مرات لولا معارضة زوجته، كانت لحية بلاسيديو كاملة منذ
باكورة الرجولة والرداء منذ عشر سنوات.

قال «تعال.. تعال.. تعال».. لتساعدني في هداية صديقنا الصالح
أيريس، أحاول منذ نصف الساعة الأخير غرس الحقائق الأبدية
فيه، ولكن يقاوم.»

تحدث رجل في حوالى الأربعين من عمره وهو يمد يده للزائر
الجديد «كلا.. كلا.. كلا.. أنا لا أقاوم.»

12- هذا المدعو أيريس

هذا المدعو أيريس الذى ظهر للتو لا يزال يحتفظ ببعض فضائل الأوقات ولا يعرف الرذائل تقريبا، لا تنسب تلك الصفات إلى أى دافع، كما لا ينبغى أن تعتقد أن الاحترام مقصود لتواضع هذا الشخص، كلا يا سيدى، إنها الحقيقة الخالصة وسمة طبيعية، وعلى الرغم من سنواته الأربعين، أو الاثنتين والأربعين، وربما بسبب ذلك، فهو نموذج جيد لرجل، مهنته دبلوماسى، ووصل لتوه قبل أيام قليلة من المحيط الهادئ، فى إجازة لمدة ستة أشهر.

لن أستغرق وقتا طويلا لوصفه، تخيل فقط أنه يرتدى علامات مهنته، الابتسامة الموافقة، الخطاب اللين الحذر، التعبيرات دقيقة

التوقيت، التحويل المناسب للعبارة، كل موزع بشكل جيد لدرجة أنه من دواعى سرورك أن تسمعه وتلتقى به، ربما كانت بشرة وجهه الحليق على وشك إخفاء العلامات الأولى للعمر، وحتى مع ذلك، فإن شاربه، الذى كان شبابى فى لونه وفى قوته التى جعلته مبروما على شكل حواف رفيعة صلبة، سيعطى جوا من النضارة لوجهه وعندما مضى نصف قرن من حياته، وسيقوم شعره بالدور نفسه، فيصبح رماديا بشكل غامض، مفروق من الوسط، وعلى الجزء العلوى من رأسه كانت هناك بداية لبقعة صلعاء، وفى عروة سترته كانت هناك زهرة أبدية.

كان هناك وقت، كانت هناك مناسبة إجازته السابقة، وعندما كان مجرد سكرتير ثان، كان هناك وقت وعندما كان مغرما أيضا بناتيفيداد، لم يكن مايشعر به نحوها عاطفة على وجه التحديد، فهو ليس رجلا من ذلك الطراز، كان معجبا بها، بنفس الطريقة التى يقدر بها المجوهرات والأشياء النادرة، ولكن بمجرد أن رأى أن ذلك شعور غير متبادل، غير الموضوع، لم يكن الأمر ضعفا أو برودا من جانبه، فهو يحب النساء بما يكفى وأكثر من ذلك إذا كن جميلات، فالأمر أنه لا يريدهن بالقوة كما أنه لم يرغب فى أن يكون مضطرا لإقناعهم، فهو لم يكن جنرالا فى الهجمات الأمامية أو القيام بحصارات طويلة، لقد كان قانعا بالمناورات العسكرية البسيطة، سواء كانت طويلة أو قصيرة، اعتمادا على ما إذا كان الطقس صافيا أو غائما، وخلاصة القول، حساس للغاية.

صدفة مثيرة للاهتمام فى هذا الوقت تقريبا كان سانتوس يفكر

في تزويجه شقيقة زوجته التي ترمّلت مؤخرًا، بدت راغبة، ولكن ناتيفيداد عارضت؛ ولم يعلم أحد أبدا السبب، فلم تكن الغيرة، ولا أعتقد أنه الحسد، الرغبة البسيطة في عدم دخوله الأسرة من خلال الباب الجانبي هو مجرد تخمين والذي ربما يكون جيدا مثل الافتراضين الأولين المرفوضين، فلا يمكن أن يكون استياء التنازل عنه لأخرى، أو أن تجعلهما سعيدين تحت قدميها، على الرغم من أن القلب هو هاوية الهاويات، دعونا نفترض أنه نوع من معاقبته على محبتها.

على أي حال، قد يكون الأمر أن أكبر عقبة ستأتي منه، فعلى الرغم من أن أيريس كان أرملًا، فهو لم يكن بالضبط متزوجًا، لم يهتم بالزواج، تزوج لأن مهنته ترقبت ذلك، لقد فهم أنه من الأفضل أن يكون دبلوماسيا متزوجا بدلا من دبلوماسي أعزب، وطلب من أول امرأة شابة بدت مناسبة أن تشاركه مصيره، كان مخطئا، فاختلاف الطباع والروح كان كبيرا لدرجة أنه على الرغم من حياته مع المرأة، كان الأمر وكأنه يعيش بمفرده، لم يعان من الخسارة، كانت لديه موهبة العزوبية.

كان حساسا، أكررها، على الرغم من أن هذه الكلمة لا تعبر بالضبط عما أود أن أقول، كان قلبه على استعداد لقبول كل شيء، ليس لأنه كان يميل إلى الوثام، ولكن بسبب بغض الشجار، ولتقدير ذلك النفور، كان يمكن أن تكفى رؤيته وهو يدخل إلى منزل سانتوس على سبيل الزيارة، كان الضيوف والعائلة تتحدث عن الكابوكلا في التل.

قالت بيريتيوا: لقد أتيت في الوقت المناسب أيها المستشار، مارأيك في الكابوكلا بتل كاستيلو؟.

لم يكن لأيريس رأيا في ذلك الشأن، لكنه لاحظ أن الآخرين لديهم، فرسم على وجهه تعبيرا مترددا، ولأن الجميع أصروا، لم يختار أي من الرأيين، ولكنه وجد رأيا آخر، حلا وسطا، أرضى كلا الجانبين، وهو أمر نادر بالنسبة لتسوية، هل تعلم أن مصير التسوية هو الإزدراء، ولكن كون أن أيريس، جوزيه دا كوستا ماركوندز أيرس، يتبنى في المناظرات رأيا متشككا أو موقفا يمكن أن يكون عاملا مداويا، كحبة الدواء، وابتكر طريقته بحيث أن المريض، إذا لم يشف، فعلى الأقل لا يموت، وهو أقصى ماتفعله حبوب الدواء، لا تسىء الظن به بسبب ذلك، الدواء المر يتم ابتلاعه مع السكر، عبّر أيريس عن رأيه ببطء ودقة وإطناب، ماسحا نظارته المفردة بمنديل حريري، تقطر كلماته الخطير والغامض، ويدور بعينيه لأعلى كشخص يبحث عن ذكرى، ويجدها، وبالتالي عبّر عن رأيه، وافقه أحد المستمعين فورا، واختلف معه آخر قليلا وأنت هي الأمر بالإجماع، ثم الثالث، والرابع، ثم جميع من في الغرفة.

لا تظن بأنه لم يكن صادقا؛ لقد كان كذلك، وعندما لم يمتلك نفس الرأي، وكان من المجدى تسجيل رأيه، دونه، كان معتادا على الاحتفاظ بمذكرات عن اكتشافاته وملاحظاته واستبطاناته وأنت قاداته، وحكاياته، ويحفظ لهذا الغرض مجموعة من المفكرات التي أعطاها اسم مذكرات، وفي ذلك المساء كتب هذه السطور:

« سهرة في منزل سانتوس، بدون لعبة الهويست، كان الحديث عن

الكابوكلا في تل مورو كاستيلو، ينتابنى الشك في أن ناتيفيداد أو شقيقتها تريد أن تتشاور معها، لن يكون ذلك على حسابي».

”كانت ناتيفيدادى وبادرى جوديس، وهو رجل نبيل عجوز بدين، هما فقط الشخصان المهتمان بالموضوع هناك، أما الباقون، فكانوا غير متشوقين، ولكن غير المتشوقين من الضرورة ليسوا قادرين على أن يكونوا أى شىء سوى غير متشوقين، وعندما تركنى بادرى وناتيفيداد في برائن الأشخاص غير المتشوقين الآخرين، حاولت الهروب إلى ذكرياتي، استدعاء الأحاسيس، إحياء المشاهد والرحلات والأشخاص، هكذا أفكر في كابونى التى لمحتها من الخلف اليوم في شارع كويتاندا، التقيت بها هنا في فندق دوم بيدرو القديم، منذ سنوات، مسكينة كابونى! كانت تمشى، وانزلقت قدمها اليسرى من حذائها، فكان ظهور كعبها من جوربها من نقطة ضعف صغيرة للحنين».

”ذهبت أخيرا إلى لامبالاة الغير، لا أستطيع أن أفهم كيف تمكنت هذه السيدة، التى هى في الواقع رقيقة جدا، من تنظيم أمسيات كهذه، وهذا لا يعنى أن الآخرين لم يحاولوا أن يكونوا متشوقين، ولكن إذا كانت النوايا كافية، فلن يكفيها أى كتاب، ولكنها ليست كذلك، مهما حاولت، حسنا، هاهم، دعنا نأمل أن تجلب الليالى الأخرى مجموعة أفضل بلا أى جهد مايمنحه المهدي، ويأخذ القبر فقط، كما تنص أحد الأقوال المأثورة القديمة، أستطيع، بعد استقطاع بيتا من أشعار شاعرى دانتى، أن أكتب عن هؤلاء غير المتشوقين أقول: أنه وعندما وُلدت روح الشر.»

١٣ - اقتباس

حسنا، هذا بالضبط ماهو مقتبس من الكتاب، إذا أردت أن أكتب واحدا لهذا الكتاب ولم يتبادر إلى ذهني شيء آخر، فهو ليس فقط طريقة لاستكمال الشخصيات في رواية مع الأفكار التي تثيرها، ولكنه أيضا بمثابة زوج من النظارات تمكّن القارئ من أن يخترق ماهو أقل وضوحا أو غموضا.

ومن ناحية أخرى، هناك ميزة في تعاون شخصياتي في القصة، مما يساعد المؤلف، من خلال فعل «التضامن»، وهو نوع من تبادل الخدمات بين لاعب الشطرنج والقطع التابعة له.

إذا قبلت المقارنة، ستميز بين الملك والملكة، الأسقف والفارس، مع العلم أن الفارس لا يمكن أن يحل محل الرخ كما لا يمكن للرخ

أن يصبح بيدقا، كما أن هناك اختلافا في اللون، الأبيض والأسود، ولكن هذا لا يقيد تحركات أى قطعة، وفي النهاية يمكن لأى منهما الفوز فى المباراة، وهذا مسار العالم ربما تكون فكرة جيدة، من أن لآخر، إدخال رسم بمواقع جميلة أو صعبة، تماما كما يفعلون فى قواعد الشطرنج، ومع عدم وجود رقعة الشطرنج، فهذا يعنى أن متابعة التحركات هو مساعدة كبيرة، ولكن يمكن أن يكون لديك رؤية كافية لاستخدام الذاكرة لإنتاج تحركات مختلفة، أعتقد ذلك، فلتذهب الرسوم! سيحدث كل شىء كما لو كنت حقا تشاهد لعبة بين لاعبين، أو على نحو أكثر وضوحا، بين الرب والشيطان.

١٤- درس الطالب

«ابق، من فضلك ابق أيها المستشار». قالها سانتوس وهو يقبض على يد الدبلوماسي. «تعلم الحقائق الأبدية.»

قال الأخير متأملا وهو ينظر في ساعته «الحقائق الأبدية تتطلب ساعات مغلدة.»

هذا المدعو أيريس لم يكن يسهل إقناعه، تحدث بلاسيديو معه عن القوانين العلمية لتجنب أى وصمة طائفية، وحذا سانتوس حذوه، وبزغت كل المصطلحات الروحانية، وكذلك الحالات والظواهر والأسرار والبراهين والشهادات الخطية والشفهية بقسم، قدم سانتوس مثلا، روحين قد يعودان معا لهذا العالم، ماذا إذا تشاجرا قبل ولادتهما؟

أجاب أيريس وهو يلطف تأكيده بنغمة متسائلة «الأطفال لا يتشاجرون قبل ولادتهم.»

«إذن أنتتنكر أن روحين، هذا هو سؤالى أيها المستشار! إذن ماذا يمنع روحين...؟».

رأى أيريس هاوية الجدل وحمى نفسه من السقوط باعتراف، قائلا: يسوع ويعقوب تشاجرا فى رحم أمهما، وهذا صحيح، وسبب الشجار معروف، وبالنسبة للآخرين، إذا تشاجرا أيضا، فكل شىء

يكمُن في معرفة سبب الشجار وعدم معرفته، لأن العناية الإلهية تخفيه من الوعى البشرى، إذا كان سببا روحانيا، على سبيل المثال.
”على سبيل المثال؟“.

”على سبيل المثال، إذا أراد الطفلين أن يركعا في نفس الوقت لعبادة الخالق، ستكون هناك حالة من الشجار، ولكن شجار روحى تراوغ عملياته الرزانة البشرية، يمكن أن يكون هناك أيضا دافعا زمنيا، دعونا نفترض الحاجة إلى دفع بعضهما البعض لضبط وضعهما في الرحم، أنه افتراض يسمح به العلم، فالأمر كذلك، لا أعلم، لا تزال هناك حالة تنافس كل منهما ليكون السلف.“

تساءل بلاسيديو «لماذا؟».

”في حين أن تلك الميزة تقتصر اليوم على العائلات المالكة ومجلس اللوردات ولا أعلم ماذا أيضا، فلا تزال لها قيمة رمزية، فالمتعة البسيطة في الولادة أولا، دون أى ميزة اجتماعية أو سياسية أخرى، يمكن أن تكون غريزية، وخصوصا إذا كان مُقدرا للأطفال تسلق مرتفعات هذا العالم.“

أنصت سانتوس أذنه إلى هذه النقطة، متذكرا «الأمر المستقبلية»، قال أيريس بضع كلمات أخرى جميلة، وأضاف أخرى قبيحة، تسمح بأن يكون ذلك الشجار تحذير مسبق لأخطار جسيمة على الأرض، لكنه خفف بسرعة هذه النظرية بأخرى، لا يهم؛ دعونا لا ننسى أحد الأقوال المأثورة، بأن «الحرب هى أم كل الأشياء»، في رأى أن أمبيدوكلز، وعندما أشار إلى الحرب، لم يفعل ذلك فقط

بالمعنى التقنى، فالحب، الذى هو فن السلام الأول، يمكن رؤيته على أنه مبارزة، ليس الموت ولكن الحياة»، وهكذا خلص أيريس وهو يبتسم ابتسامة شاحبة وهو يتحدث بهدوء، واستأذن.

15- إجراء تجارب ديفيد نائب الرئيس سيبيلا

قال سانتوس: وهكذا والآن، ألم يعلمنا المستشار شيئا أو اثنين بدلا من التعلّم؟ أعتقد أنه قال بعض الحجج الجيدة.

أضاف الأستاذ بلاسيدو: على أقل تقدير، فهي جديرة ظاهريا بالتصديق.

تابع سانتوس: من المؤسف أنه اضطر للمغادرة، ولكن لحسن الحظ فأنا في حاجة إليك يا سيدى، لقد جئت لأستشيرك، وبصيرتك هى الأصدق فى العالم.

شكره بلاسيديو وهو يبتسم، فالثناء لم يكن شيئا جديدا، على العكس، ولكن كان معتادا بشكل كبير على سماع ذلك لدرجة أن الابتسامه أصبحت عادة، لم يستطع منع نفسه من مكافأة مريديه فى هذا الشأن.

«الأمر يدور حول».

”الأمر يدور حول هذا الموضوع، تلك الفرضية التى ابتكرتها هى حالة حقيقية، حدثت لأبنائى».

”ماذا؟».

”هذا ما يبدو لى، وهو بالضبط ماجئت إلى هنا لأفسره، لم أخبرك أبدا به خشية أن تظنه لامعقولا، ولكننى فكرت فى الأمر، وأظن أن تلك المشاجرة وقعت، وأنها حالة استثنائية».

عرض سانتوس بعد ذلك قضيته، برزانة، وبطريقة معينة جحظ فيها عينيه ليؤكد تفاصيلها الفريدة، لم ينس أو يُخف أى شىء؛ روى زيارة زوجته إلى تل مورو كاستيلو، بازدراء، وهذا حقيقى، ولكن بلاسيديو استمع بانتباه لحظة بلحظة، وطرح الأسئلة، وكرر الكلمات، ثم استغرق فى التأمل لبضع لحظات، ثم أعلن أخيرا إلى أن تلك الظاهرة، التى وقعت، نادرة، أن لم تكن فريدة، ولكن ممكنة، كما أن حقيقة أن أسماءهم هى بيدرو وباولو تنبئ ببعض المنافسة

لأن هذين الرسولين تقاتلا أيضا بسبب اختلافاتهم.

«عفوا، ولكن التعميد».

”لقد كان بعد ذلك، وأنا أعلم، ولكن يمكن أن تكون الأسماء مقدرة، وربما يتخطى الأمر ذلك لأن اختيار أسماء جاء، كما أخبرتنى، من خلال إلهام لخالة الأولاد.»

«بالضبط».

”دونا بيربيتو متدينة للغاية».

”لله غاية».

”أعتقد أن روحى القديس بطرس والقديس بولس قد اختارت تلك السيدة لإلهامها بالأسماء الموجودة فى أسس العقيدة المسيحية، والاعتراف بأن تقوم بالصلاة فى كثير من الأحيان، ولكن فى تلك المناسبة أن أوحيت الأسماء إليها».

”بالضبط، بالضبط!»!

اتجه الطبيب إلى رف الكتب والتقط النسخة الجلدية للكتاب المقدس المربوط بمشابك معدنية كبيرة، فتحه على رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية، وقرأ المقطع فى الفصل الثانى، الآية الثانية التى يروى فيها الرسول أن الذهاب إلى أنطاكية حيث القديس بطرس كان أمرا «عارضه فيه فى وجهه».

قرأ سانتوس الفقرة ثم أنت ابته فكرة، فالأفكار ترغب في أن تكون مشهورة، حينما تكون جميلة، ومدروسة، وعندما تكون جديدة، فكرته كانت جديدة وجميلة على حد سواء، وبينما كان مبهورا، رفع يده ولطم الصفحة ونهق كالحمار، قائلا: بدون إضافة أن هذا العدد 2 للآية يتكوّن من رقمين متطابقين، واحد وواحد، هو رقم مزدوج، أليس كذلك؟.

”بالطبع، وأكثر من ذلك فهو الفصل الثاني، أي اثنين، وهو عدد التوأّم».

ألغاز تجرّ ألغازا، هناك أكثر من علاقة وثيقة، جوهرية وخفية، تربط كل شيء، شجار، بطرس وبولس، شقيقان توأم، رقمان مزدوجان، وكل هذا هو عبارة عن امياه المبهمة التي نميا فيها، يسبحان ويخفقان برأسيهما قسرا، ذهب سانتوس بفكره أعمق من هذا، ألا يكون الصبيان روحى القديسين بطرس وبولس، واللذين ولدا من جديد الآن، ومن ثم يعتبر هو، والد الرسولين؟ تبدّل الإيمان؛ أصبحت لدى سانتوس نظرة دينية عنه، صعد بداخله، وبدت عيناه، واللتين هما غالبا خاليتان من أى تعبيرات، وكأنهما تحملان شعلة الحياة، والد الرسولين، كان بلاسيديو أيضا على وشك تصديق ذلك، لقد وجد نفسه في بحر مظلم عكر، حيث ضاعت أصوات اللانهاية، ولكن سرعان ماتبادر إلى ذهنه أن روحى القديسين بطرس وبولس قد وصلت إلى الكمال، ولن تعودا إلى هنا، لا يهم، يجب أن تكون روحين آخرتين، روحين عظيمتين ونبيلتين، يمكن أن يكون مصيرهما رائعا؛ الكابوكلا كانت على حق، على الرغم

من إنها لا تعرف ما الذى تتحدث عنه».

وخلص قائلاً: دع السيدتين لمعتقداتهما الصيانية، إذا كانتا تؤمنان بتلك المرأة على التل، وتعتقدان إنها ناقلة الحقيقة، لا تشيهما فى الوقت الراهن، قل لهما أنى اتفق معهما فى نبؤتهما، ناقص».

39

«سأخبرهما، سأخبرهما! اكتب الآية».

اتجه بلاسيديو إلى المكتب وكتب الآية، وأعطاه الورقة، ولكن تبين لسانتوس بعد ذلك أن تقديمها لزوجته سيكون بمثابة اعترافاً بالتشاور مع محضر الأرواح، وبالتالى حنثه بالقسم، أخبر صديقه بوساوس ناتيفيداد وطلب منه الاحتفاظ بهذا السر».

«عندما تراها، لا تخبرها بما حدث بيننا».

غادر على الفور بعد ذلك، وهو نادم على طيشه، ولكن مذهول بهذا الإلهام، ذهب وهو ملىء بالأعداد الإنجيلية، ببطرس وبولس، بيسوع ويعقوب، لم يبدد هواء الشارع غبار اللغز؛ على العكس، أحاطت به السماء الزرقاء والبحر الهادئ والجبال الخضراء وغطته بحجاب أكثر شفافية ولا نهائية، كان شجار الصبيين، وهى حقيقة نادرة أو فريدة، عبارة عن تمييز إلهى، وعلى عكس زوجته التى تهتم فقط بالتمييز المستقبلى لأبنائها، كان سانتوس يفكر فى الصراع الماضى».

دخل منزله وهرع إلى الصغيرين وداعبهما بأسلوب غريب لدرجة

أن الأم أنت ابها الشك وأرادت أن تعرف ماذا حدث.

أجاب ضاحكا «لا شيء».

”هناك شيء، هيا، أخبرني».

”ماذا عساه أن يكون؟».

”أيا كانت ماهيته يا أجوستين، أخبرني».

طلب منها سانتوس ألا تغضب وأخبرها بكل شيء، المصير، الشجار، الكتاب المقدس، الرسل، الرمز، اختلط كل هذا ببعضه لدرجة إنها تمكنت بالكاد من الفهم، لكنها فهمت في النهاية وأجاب بحسم:
أوه، أنت، أنت !

« أستسمحك عذرا يا صديقتي الصغيرة؛ كنت حريصا للغاية على معرفة الحقيقة، ولاحظ من فضلك أنني أصدق الكابوكلا في كما يصدقها الطبيب أيضا، لقد كتب حتى هذه الآية من أجلى باللغة اللاتينية». وخلص بأن أخرج قصاصة الورق وقرأها».

الأبوية

بعض فترة قصيرة، التقط سانتوس يد زوجته التي سمحت له بالتقاطها، على نحو منهك، دون أن تعيد قبضته، حدق كلاهما في الصبيان، ونسيا غضبهما وتذكرا فقط كونهما أبا وأما.

لم يعد هناك استحضارا للأرواح، أو أي دين آخر جديد، كان أقدم الأديان للجميع، والذي أسسه آدم وحواء، وهو ما يمكن أن تسميه، إذا كنت ترغب في ذلك، الأبوية، تليا الصلوات، بدون كلام، صلبا نفسيهما دون استخدام الأصابع، نوع من الاحتفال اللطيف الصامت، والذي احتضن الماضي والمستقبل، من كان الكاهن ومن كان حافظ غرفة المقدسات، لا أعرف، كما لم يكن التحديد ضروريا، لقد كان القداس نفسه والإنجيل بدأ كما في القديس يوحنا، مصحح: «في البداية كان هناك حب، والحب أصبح جسدا، ولكن دعونا نذهب لتوأمينا.

17- كل ما أترك

التوأم، حيث لم يكن لديهما شيء آخر يقومان به، يرضعان، هذه الوظيفة يؤديانها دون منافسة، ألا وعندما تكون المرضعتان على علاقة طيبة مع بعضهما البعض، وتقومان بالإرضاع جنباً إلى جنب، تبدو كل منهما وكأنها تريد أن تثبت للآخرى إنها ترضع أكثر وبشكل أفضل، تجريان أصابعهما على الثدي الحميم ويرضع من كل قلبه وروحه، ومن جانبهما، استمتعت المرضعتان، بمجد صدورهن وشرعتا في مقارنتهما، وعندما يشبع الصغيران، يتركان في النهاية الحلمات ويضحكان في وجهيهما.

لو لم تكن هناك ضرورة وقوف هذين الصبيين على أقدامهما وأن يصبحا شايبين بالغين، كنتُ سأوسع هذا الفصل، فالمشهد، على الرغم من كونه مشتركاً، كان رائعاً، الوعدان الصغيران كانا يطعمان نفسيهما بشكل مختلف عن والديهما، بدون فنون الطاهى، وبدون مرأى الأطعمة والمشروبات الموضوعة في أوان بلورية وخزفية لتغيير أو تلوين الطعام الذى سيتم تناوله، فهما لم يريا حتى طعامهما، أفواههما المتصلة بالثدى لم تسمح حتى للحليب أن يظهر، أظهرت الطبيعة رضاها من خلال ضحكهما ونومهما، حينما ينامان، تحمل كل مرضعة طفلها إلى مهد ثم تغادر لترعى أشياء أخرى، يمكن أن تملأ المقارنة ثلاث أو أربع صفحات عن آخرها.

صفحة واحدة ستكفى للخشخشيات التى كان تؤدى دورها في إمتاع الصغيرين، كما لو كانت موسيقى السماء، فكانا يضحكان،

يمدان أيديهما، ويغضبان في بعض الأحيان وعندما تكون بعيدة المنال، ثم يهدآن وعندما تُسَلِّمَ لهما الأشياء، حتى ولم يكونا يرغبان في اللعب بها، وفيما يتعلق بالخشخشيات، يمكن للمرء قول أن هذه الأدوات لا تترك ذكريات خاصة بها، فأيا كان من يرى إحداهن في يد طفل، إذا كانوا يعتقدون إنها تذكرهم بأنفسهم، فهو يخدع نفسه وسرعان ما يدرك أن الذاكرة يجب أن تكون أكثر حداثة، بعض الخبرات في العام الماضي، أو جلاجل الليلة الماضية.

يمكن سرد عملية الفطام في نصف سطر، ولكن أسف المرضعتين والوداع والأقراط الذهبية الصغيرة التي أعطتها الأم لكل منهما كهدية نهائية، كل هذا يتطلب صفحة أو أكثر، بضعة أسطر تكفي للراعتين الجافتين، ولذلك لن أسهب في الحديث عما إذا كانتا طويلتي القامة أو قصيرتين، قبيحتين أم جميلتين، كانتا لطيفتين ومتحمستين لعملهما وصديقتين للصغيرين ولبعضهما البعض، خيول الأطفال الخشبية والأعلام الصغيرة ودمى المسرح والجنود المصنوعة من القصدير والطبول، كل دمي الطفولة يمكن أن تحتل مساحة أكبر بكثير من أسمائها.

كل هذا أتركه، حتى لا يضح القارئ اللطيف الذي ينتابه الفضول ليرى ولداى وهما رجلان بالغان، سرعان ما ستراهما يا عزيزى، في غضون وقت قصير سيصبحان بالغين وقويين، ثم سأتركهما لأجهزتهما الخاصة، دعهما يفتحان مداخلهما الخاصة للحياة وللعلم، سواء كان ذلك بأسلحة أو بكلمات، أو ببساطة بالدفع بالمرافق.

18- كيف نشأ

وهاهما هنا، يكبران، كان التشابه بينهما لا يزال كبيراً، على الرغم من أن القابلية إلى الخلط بينهما أصبحت الآن أقل تواتراً، فنفس العيون الشاحبة المنتبهة، نفس الابتسامة الممتعة، الأيدي الناعمة وحمرة الوجه في الخدين التي جعلتهما يبدوان وكأنهما مرسومان بالدماء، كانا يتمتعان بصحة جيدة، وباستثناء أزماتهما التسينية، لم يكن لديهما أمراض أخرى، لأننى لن أتحدث عن عسر الهضم الحينى من جراء الحلوى التي يعطيها إياهما والديهما أو التي يسرقانها، كان لديهما غراما بالحلويات، ويبدرو أكثر من باولو في

هذا الشأن وبأولو أكثر من أى شخص آخر.

عندما بلغا سن السابعة، أصبحتين تحفتين رائعتين، أو بالأحرى تحفة في حجمين، كما تشاء، في الحقيقة، على طول واجهة الشاطئ الممتدة، وفي فلاننجو وجلوريا وكاجو ومجاورات أخرى، لم يكن هناك طفل - ناهيك عن اثنين - رائعين مثلهما، لاحظ أيضا أنهما قويان، فييدرو يستطيع إسقاط باولو بلطمة واحدة، وعلى سبيل الرد، يركل باولو بيدرو ويوقعه أرضا، كانا يتسابقان في كثيرا في الفناء، وفي بعض الأحيان يرغبان في تسلق الأشجار، ولكن والدتهما منعت ذلك، لم يكن ذلك صحيحا، فكانا يسعدان أنفسهما بتحديق النظر في الفاكهة من الأسفل.

كان باولو أمثر عدوانية؛ أما بيدرو فكان أكثر خبثا، وحيث أن المطاف أنت هي بالاثنتين بتناول الفاكهة من الأشجار، فكان صبي أسود صغير هو من يتسلق الأشجار لي جلب لهما الفاكهة، أما بلكمة في الرأس من أحدهما أو برشوة من الآخر، ولم يتم توصيل الرشوة أبدا، أما الضربة، فحيث إنها تُدفع مقدما، فكان يتم توصيلها دائما، وأحيانا تُكرر بعد أنت هاء المهمة، لا أعنى التلميح بأن أيا من التوأم لم يعرف أيضا كيف يصبح عدوانيا أو مراوغا، الفارق هو أن كل منهما لديه طريقته المفضلة، وهو شيء واضح ولا يستحق الكتابة عنه.

أطاعا والديهما دون جهد كبير، على الرغم من أنهما كانا عنيدين،

لم يكذبان تقريبا مثل الصبية الاخرين في المدينة، ومع ذلك، فكذبة تكون أحيانا نصف فضيلة، وبالتالي فحينما يقولان أنهما لم يريا أحدا سرق ساعة والدتهما وهى هدية خطبة من والدهما، فهما يكذبان بإدراك، لأنهما قبضا على الخادمة التى سرقتهما على أنه فعل سرقة، ولكنها كانت صديقة مقربة إليهما! توّسّلت عليهما بدموع ألا يخبرا أحدا، فأنكر التوأم تماما أنهما قد رأيا أى شىء، كانا فى السابعة من عمرهما، وعندما أصبحا فى التاسعة، وعندما كانت الفتاة قد غادرت المنزل منذ فترة طويلة، كشفا القصة القديمة، لا أعرف لماذا، أرادت والتهما أن تعرف لما صمتا آنذاك، لم يعرفا كيف يشرحان الأمر، ولكن من الواضح أن صمت عام 1878 كان فعلا من أفعال الحذر والشفقة وبالتالي نصف الفضيلة، لأن مقابلة الحب بالحب أمر ذو شأن، وبالنسبة لكشف السر عام 1880، يمكن تفسير ذلك فقط على أنه مرور فترة من الوقت، فميكولينا الطيبة لم تعد موجودة، ربما تكون توفيت بالفعل، فظهر الأمر بمنتهى السهولة.

أصرت والدتهما قائلة: ولكن لما لم تخبرانى حتى الآن؟.

وحيث إنهما لا يعرفان ما يمكن قوله، قرر أحدهما، وهو بيدرو على ماأعتقد، أن يتهم شقيقه.

”إنه خطأه يا أمى!“.

ولكى ينتقم باولو، قال: أنا؟ أنه هو يا أمى، أنه من لا يعترف بشىء.

”أكان خطأك؟“.

”خطأك!“.

”إنه خطأك، لا تكذب!“.

”إنه كاذب!“.

واجهها بعضهما البعض، وتدخلت ناتيفيداد بسرعة، ولكن ليس قبل أن يتبادلا ضرباتهما الأولى، أمسكت بأذرعهما في الوقت المناسب لتتجنب ضربات أخرى، وبدلا من معاقبتهما أو تهديدهما، قبلتتهما بحنان بحيث أنهما لم يجدا لحظة أفضل لكي يطلبها منها الحلوى، حصلا على الحلوى، كما حصلا على نزهة في بعد ظهر ذلك اليوم، في عربة والدهما.

وفي طريق العودة، أصبحت صديقتين أو تصالحا، أخبرا والدتهما عن الرحلة والناس في الشارع والأطفال الآخرين الذين نظروا إليهما بحسد والذي وضع أحدهما إصبعه في فمه، والآخر الذي وضعه في أنفه والفتيات بالنوافذ، واللاقي أعتقدا أن بعضهن فانتات، وعند تلك النقطة الأخيرة اختلفا، وذلك لأن كل منهما حصد كامل شرف الإعجاب، ولكن والدتهما تدخلت: لقد كان الإعجاب بكليكما على حد سواء، أنت ماتتشابهان بشدة، فيمكن أن يكون هذا الإعجاب لكليكما، هل تعرفان لما أعجبت الفتيات الصغيرات بكما؟ لقد رأين كم تحبان بعضكما البعض وكيف تجلسان بجوار بعضكما البعض بجمال، أيها الصبيان الوسيمان لا تتشاجرا، أيها الشقيقان الصغيران،

أريد أن أراكما صديقين لطيفين، تلعبان معا دون شجار، هل تفهم؟.

أجاب بيدرو بنعم؛ أنت ظر باولو أن تعيد والدته السؤال ومن ثم يعطى نفس الإجابة، وفي النهاية، لنها أصرت، عانقا بعضهما البعض، ولكنه كان عناقا بدون إخلاص، بدون قوة، بدون أذرع تقريبا، اتكأا على بعضهما البعض ولمست أيديهما ظهور بعضهما البعض، ثم خفضاها.

في تلك الليلة، في غرفة نومهما، خلص كل منهما على حدة أنه يدين بهدايا فترة مابعد الظهر، الحلويات والقبلات والعربة، حتى الشجار، وهذا الشجار الآخر كان يمكن أن يؤدي إلى عواقب أخرى، وبدون كلام، كتخيل لحن للبيانو، مهاجمة بعضهما البعض في أول فرصة، ماكان ينبغي أن يكون علاقة مربوطى بحنان والدتهما أدخل إلى قلب كل منهما شعور معين، هذا الشعور ليس المواساة والانتقام بسبب الضربة التي تلقاها كل منهما في بعد ظهر ذلك اليوم، ولكن أيضا الرضا برغبة حميمة، عميقة وضرورية، وبدون كراهية، قالا بضع كلمات لبعضهما البعض وكل منهما في سريره، وضحكا بسبب ذكرى أو أخرى لما رأياه في الشارع، حتى دخل النوم بقدمه الثقيلة وهيمنته الشديدة وساد الغرفة.

19- اثنين فقط -أربعون عاما -سبب ثالث

إن أحد نواياي في هذا الكتاب هي عدم إثارة دموعك، ومع ذلك، لا أستطيع أن أظل صامتا حيال الدمعتين اللتين تدفقتا من عيني ناتيفيداد بعد شجار الصغيرين، دمعتين فقط، ولفظا أنفاسهما عند زوايا فمها، ابتلعتهما بمجرد أن خرجا، وكررت على مضض وبصوت هامس نهاية تلك القصص الطفولية: جاء من باب، وخرج من الآخر،

الملك يأمر، ليخبرنا بأخر. قام الطفل الثاني بسرد القصة الثانية، وأخبرنا الثالث بقصة ثالثة، والرابع برابعة، حتى شعروا بالضجر أو الخمول، الناس الذين يؤرخون من الوقت التي تم سرد تلك القصص فيه يؤكدون أن الأطفال لا يضعون أى نية ملكية في هذه الصيغة، سواء كانت مُطلقة أو دستورية، لقد كانت وسيلة لربط مجموعة أساطير ديكامرون الخاصة بهم، والموروثة من المملكة البرتغالية القديمة وعندما أمر الملوك بكل ما رغبوا فيه وقالت الأمة فليكن ماأمروا.

ابتلعت الدمعتان، وضحكت ناتيفيداد من ضعفها، لم تنعت نفسها بالغبية، لأن تلك الإهانات نادرا ما تُستخدم، حتى بين المرء ونفسه، ولكن في أعماق قلبها، في الأعماق، حيث لا يمكن لعين المرء اختراقها، أعتقد إنها شعرت بشيء من هذا القبيل، ولعدم وجود أى دليل واضح، أقتصر على الدفاع عن سيدتنا.

بصدق، كانت أى أم أخرى لتعيش في خوف من مصير أبنائها منذ أن وقع الشجار السابق الداخلى، أصبحت المعارك الآن أكثر تواترا، والأيدى على استعداد أكثر من أى وقت مضى، وكل ذلك جعل الأم تخشى من أن ينتهى بهما الأمر إلى قتل كل منهما للآخر، ولكن بعد ذلك طفت فكرة العظمة والازدهار - الأمور المستقبلية! - وكان هذا المل كمنديل جفف عيني السيدة الجميلة، فالنبوءات لم تذكر الشر فقط، أو الأنبياء فقط، ولكن الخير أيضا وهذا الأخير في المقام الأول.

جففت عينيها بذلك المنديل الأخضر، وسيكون هناك مناديل أخرى

إذا تمزق هذا المنديل أو تكمّش، واحدا، على سبيل المثال، ليس أخضرا كما هو مرجو ولكن أزرق، كروحها، لم أخبرك بعد أن روح ناتيفيداد زرقاء، هناك سأتركه، سماء زرقاء ومشرقة وشفافة، تغيّم أحيانا، نادرا ماتهاجمها عاصفة، ولا يظلمها الليل أبدا.

كلا عزيزى القارئ، لم أنس سن صديقتنا، أتذكره كما لو كان اليوم، وهكذا وصلت إلى عيد ميلادها الأربعين، لم يمثل هذا فرقا، أصبحت السماء أقدم ولم يتغير لونها، طالما لا تنسب أى مغزى رومانسى إلى زرقه روحها، فكل شىء على مايرام، وعلى أقصى تقدير، فى اليوم الذى وصلت فيه إلى ذلك السن، شعرت سيدتنا برجفة، ماذا يحدث؟ لا شىء، يوما أكثر مما قبله، مجرد ساعات قليلة، فكل شىء هو عبارة عن مسألة أرقام، أقل أرقام، اسم الرقم، كلمة أربعين، هذا هو الشر الوحيد، وهكذا كان الحزن الذى غلّف صوتها وهى تقول لزوجها، وهى تشكره على تذكّره لعيد ميلادها: لقد كبرت يا أوجستين!. حاول سانتوس خنقها بمرح.

حسنا، كان سيخطئ لو قام بخنقها، فلا تزال ناتيفيداد تحتفظ بمظهرها قبل حملها، نفس الليونة، نفس الجمال الصغير المفعم بالحيوية، كانت تحتفظ بمظهر سيدة فى الثلاثين من عمرها، أكد تطريز ملابسها كافة الصفات المتبقية لمظهرها بل وأعطاها المزيد من خلال صندوقها الخاص بالخياطة، أبى خصرها أن يفقد رشاقته وكان وركاها وفخذاها يحتفظان بشكلهما بقوة كما كانوا من قبل.

هناك مناطق فى العالم يختلط فيها الصيف مع الخريف، كما فى أرضنا، حيث يختلف الموسمان فقط فى درجة الحرارة، ولا حتى

في درجات الحرارة، فشهد مايو لديه حرارة شهر يناير، فهي في الأربعين من عمرها، كانت نفس السيدة الفاتنة، وتتمتع بنفس الروح الزرقاء.

اكتسبت ذلك اللون من والدها وجدها، ولكن والدها توفي صغيراً، قبل جدها، الذي عاش حتى سن الرابعة والثمانين، وكان يعتقد في ذلك السن بإخلاص أن كل مسرات هذا العالم، بدءاً من القهوة الصباحية حتى النوم بسلام، قد ابتُكرت من أجله فقط، أفضل طاهى على وجه الأرض وُلد في الصين، وكان هدفه الوحيد هو ترك الأسرة والبلد واللغة والدين، كل شيء، لطهى شرائحه وعمل الشاي الخاص به، أعطت النجوم روعة ليليائه، وضوء القمر أيضاً، والمطر أن أمطرت، كان ذلك يعنى الراحة من الشمس بالنسبة له، وها هو الآن في مقبرة القديس فرانسيس زافيهيه، إذا أمكن لأى شخص أن يسمع صوت الموتى، في القبر، سيسمع صوته، وهو يقول أن الوقت قد حان لإغلاق بوابة المقبرة وعدم السماح لأى شخص آخر بدخولها، حيث أنه يرقد هناك لينعم بالراحة إلى الأبد، مات بلونه الأزرق، ولو كان قد عاش حتى سن المائة، فلم يكن لونه ليتغير.

حسناً، إذا رغبت الطبيعة في تجنيب هذه السيدة، فستمد الوفرة يدها للطبيعة ومن يد وأخرى سيخرج أجمل لون يمكن للروح امتلاكه، سيتجمّع كل شيء لتجفيف دموعها بسرعة، كما رأينا من قبل، إذا كانت قد احتست تلك الدمعتين المفردتين، فكان يمكنها احتساء دموع أخرى بسبب السنوات الآتية، وهذا برهان آخر أيضاً على ذلك الطيف الروحاني، وهكذا ستُظهر إنها لديها القليل من

الدموع، وسوف تبتلعها لإدخالها.

ولكن لا يزال هناك سبب ثالث لامتلاك هذه السيدة روحا زرقاء، سبب خاص جدا يستوجب أفراد فصل خاص به، ولكنه لن يكون من أجل الاقتصاد، السبب هو حصانتها، لقد عبرت خلال الحياة وظلت سليمة ونقية، لقد تغيّر اسم رأس الرجاء الصالح، ولكنها تمكّنت من التغلّب على عقديها الأول والثاني من الشباب، دون أن تقلب الرياح سفينتها أو تبتلعها الأمواج، لا يمكن للمرء أن ينكر أن عاصفة شديدة قد تجرف شراعها الأمامي، كما في حالة جواو دى ميلو أو ماهو أسوأ، مثل آيريس، لكنهما كانا تُغرات آدماستور، أصلحت شراعها بسرعة، وأُهمل العملاق مع ثيتيس، في حين واصلت هي طريقها إلى الهند، تذكرت الآن الرحلة الآمنة، احترمتها الرياح اليائسة غير المجدية، جلبت ذكراها طعم مخاطر ماضية، وبالتالي الأراضى المجهولة، ولديها، اللذين وُلدا ونشأا محبوبين من القدر.

20- الجوهرة

لم يصيبها عيد ميلادها الحادى والأربعين برجفة، فكانت قد اعتادت بالفعل على كونها فى الأربعينات، لقد مرّت بصدمة كبيرة، استيقظت من النوم ولم تر الهدية المعتادة، «مفاجأة». زوجها عند نهاية الفراش، لم تكن على منضدة الزينة، فتحت الأدراج وتطلعت حولها، ولكن لم تجد شيئاً، خلصت أن زوجها قد نسى اليوم وأنت ابها الحزن، لقد كانت المرة الأولى! أول مرة! نزلت إلى أسفل الدرج وهى تنظر حولها، لا شىء، كان زوجها فى غرفة المكتب، هادئاً، مستغرقاً فى قراءة الصحف، وحيّاه بالكاد، وعلى الرغم من كونه يوم الأحد، كان الصبيان يدرسان فى زاوية، جاء ليعطيها والدتهما

القبلة المعتادة وعادا إلى كتبهما، ظلت الأم تجوب الغرفة بعينيهما، لترى ما إذا كان هناك بعض التذكارات، صورة، ثوب، دون جدوى، أسفل إحدى الصحف على المقعد أمام زوجها، هل تكون هناك، لا شيء، جلست وقالت لنفسها وهي تفتح الصحيفة «أمن الممكن أنه لا يتذكر في أي يوم نحن؟ أمن الممكن؟. بدأت تتصفح الصحيفة بشرود، وعيناها تقفز ذهابا وإيابا على الصفحة.

لاحظ الزوج زوجته، الجالس أمامها، إنها لا تولى أى اهتمام لما تتظاهر بقراءته، مرت بضع دقائق، وفجأة رأى سانتوس تعبيراً جديداً على وجه ناتيفيداد، بدت عيناها أكبر من حجمها الطبيعي وفتحت فمها قليلاً وارتفعت رأسها ورأسه أيضاً، تركا مقعديهما وسارا خطوتين وعانقا بعضهما البعض، كعاشقين يائسين، واحد، اثنان، ثلاثة، قبلات كثيرة، وقف بيدرو وباولو في زاويتيها، مذهولان، وعندما تمكّن من التحدث، قال والدهما إليهما «تعالا وقبلاً يد البارونة سانتوس».

لم يفهما على الفور، ولم تعرف ناتيفيداد ماتفعل، مدت يدها لأبنائهما ولزوجها، ثم عادت إلى الصحيفة لتقرأ وتعيد قراءة ذلك في الرسالة الملكية في الليلة السابقة، السيد أوجستين جوزيه دوس سانتوس مُنح لقب البارون دي سانتوس، فهمت كل شيء، كانت تلك هديتها، هذه المرة صائغ الذهب هو الإمبراطور.

قال الأب لأبنائه «اذهبا، اذهبا، يمكنكما الآن الذهاب للعب.

ركض الصبيان لينشرا الأخبار في جميع أنحاء المنزل، كان الخدم

سعداء بالتغيير الذى حصل عليه سيدهم، فبدا العبيد وكأنهم
وصلوا على مقدار ضئيل من الحرية وزيّنوا أنفسهم بها، هتفوا
وهم يقفزون بفرح «سيدتى البارونة!». جذب جواو ماريا نحوه وهو
يطلق بأصابعه: «أيها الناس، من هذه الفتاة السوداء؟». «أنا
خادمة سيدتى البارونة!».

ولكن الإمبراطور لم يكن فقط صائح الذهب، أخرج سانتوس من
جيبه صندوقا صغيرا به دبوسا مزخرفا يتلأأ عليه التتويج الجديد
يقطع من الماس، شكرته ناتيفيداد على الجوهرة وكانت سعيدة
بارتدائه حتى يراه زوجها، شعر سانتوس بأنه مصمم الجوهرة،
مبتكر الشكل والأحجار، لكنه سمح لها بخلعه ووضعها في مكانه،
والتقط الصحف ليربها أن جميع الصحف نشرت القصة، بعضها
بصفة «المحترم». وفي أخرى «المبجل»، إلى آخره..

عندما دخلت بيربيتويا غرفة المكتب وجدتهما يجوبان الغرفة،
يدا بيد، يتحدثان بهدوء، وينظران إلى أقدامهما، أعطت وتلقت
العناقات أيضا.

كان المنزل كله سعيدا، بدت الأشجار في الحديقة أكثر خضرة من
ذى قبل، وملأت الزهور المتبرعمة الأوراق، وغطت الشمس الأرض
بصفاء مُطلق، ولكي تتناغم مع الآخرين، ظلت السماء زرقاء طوال
اليوم، وسرعان ماوصلت بطاقات ورسائل التهئة، وفي وقت لاحق،
الزوّار، رجال القضاء، رجال الأعمال، رجال المجتمع، العديد من
السيدات، بعض من ذوى الألقاب أيضا، جاءوا أو أرسلوا التحيات،
ظهر المدينون لسانتوس على الفور بينما فضّل البعض الآخر أن

يبقوا طى النسيان، كانت هناك أسماء يمكنهم تمييزها فقط عند الحاجة والاستخدام المكثف لحكومة المديرين.

21- عندما تظهر لحيتك

في ليلةٍ من ليالى شهر أغسطس هذا العام قام أحد الضيوف المتواجدين في منزل بوتافوجولا أعرف ماإذا كان رجلاً أو امرأة بسؤال التوءمان عن سنهما.

أجاب باولو: «لقد ولدت في اليوم الذى سقط فيه بيدرو عن العرش».

وردّ بيدرو: «لقد ولدت في اليوم الذى جلس فيه جلالته على العرش».

لم تكن الاجابات متتالية ولكن كانت في نفس الوقت لدرجة أن من سألهم طلب منهم أن يتحدث كل منهم على حدة، فقالت أمهم موضحةً: «لقد ولدا في السابع من أبريل لعام 1870».

فأجاب بيدرو ببطء: «لقد ولدت في اليوم الذى جلس فيه جلالته على العرش».

وتبعه باولو: «لقد ولدت في اليوم الذى سقط فيه بيدرو عن العرش».

وبخت ناتيفيداد باولوعلى رده المشاغب فدافع باولو عن نفسه وناقشهم بيدرو حول التفسير وطرح تفسيراً آخر وتحولت الغرفة إلى نادى للنقاش لدرجة أن أمهم لم تعد تستوعب حديثهم فقالت: «إن هذا لا يصدر إلا من أطفال في مدرسة، أنت م لم

تبلغو من العمر مايكفى لكي تتحدثا عن السياسة أنت ظرا حتى تظهر لحييتكما». لن تنمو اللحية قبل أوانها حتى إذا ماسحبوها بأصابعهم، بينما تتشكل الآراء السياسية وتزدهر، إنها لم تكن آراء بالمعنى المتعارف عليه لأنها لم يكن لها أصول كبيرة أو صغيرة، لا يوجد لديهما أى سبب للغيرة منذ أن حصلنا على نفس الدرجة الجيدة فى الامتحان وإذا كان الطموح سيفرق بينهما يوما ما، فإن هذه الغيرة ليست نسرا أو عقابا أو حتى كتكوتا فى ذلك الوقت ولكنها على الأكثر مجرد بيضة.

كان الجميع يحبونهما بما يكفى مدرسة دوم بيدرو الثانى، ولحيتهما لا تريد أن تظهر، ماذا يجب أن يفعل المرء حال عدم ظهور لحيته؟ ينتظر حتى تظهر وتنمو ثم تتحول إلى اللون الرمادى كما هى العادة باستثناء هؤلاء الذين لا تتعرض لحاهم للمشيب أو تتعرض له بشكل جزئى أو مؤقت كل هذا معروف ولكنه يعطى فرصة للحديث عن لحيتين من النوع الأقدم الذى كان مشهورا وقتها ومنسيا تماما الآن، وبما أنه لا يوجد أى مجال آخر للتحدث عن تلك اللحي فسأتوقف هنا لبعض السطور مذكرا بلحيتين لشخصين متوفيين بدون أن نفهمهما الآن فهم أكثر لحي العالم غموضا وللقارئ أن يُعرض عن هذا الفصل إذا رغب فى استكمال أحداث القصة، أما اللحية الأولى وهى لصديق بيدرو الراهب الكبوشى الإيطالى فريرى*، يمكننى كتابة اسمه فلن يستطيع أحد أن يتعرف عليه، ولكنى أفضل هذه العلامة الثلاثية، لقد كان راهبا، لم يكن بيدرو يعرفه وعندما كانت لحيته سوداء ولكن وعندما عرفه كانت لحيته قد أصبحت بيضاء وطويلة وكثيفة تزين هذ الوجه الرجولى

الوسيم، كان فمه مبتسماً وعيونه براقاً حينما يضحك بهاتين العينين وهذا الشجر يجذب الناس إليه بتلقائية بالغة كما كان لديه صدرًا واسعاً وكتفين قويين تظهر قدماه العاريتان في الحذاء كما لو كانت تحمل جسد هرقل، بالإضافة إلى كل هذا كان لطيفاً مثل صفحة من الكتاب المقدس كان إيمانه حياً ووجدانه مصون وصبره بلا حدود.

وفي يوم ماودع فريرا*بيدرو لأن الأول سيذهب في رحلة داخلية إلى ولايات ميناسجيرائيس وريو دى جانيرو وساو باولو وأعتقد إلى بارانا أيضاً، هذه الرحلة الروحانية التي تشبه تلك التي قام بها التوءمان أيضاً، كان سيمكث فيها نصف عام أو أكثر، وعندما عاد جلب للجميع سعادة بالغة ودهشة عظيمة، لا أعلم ما إذا كانت قد ظلت لحيته كما هي أو زادت قليلاً ولكنها كانت سوداء جداً ولامعة للغاية، أنه لم يوضح الاختلاف ولم يسأله أحد عنه، يمكن أن يكون معجزة أو تغييراً للطبيعة أو ربما كان تزييناً من صنعه ألا أن هذا التخمين الأخير أكثر صعوبة في تصديقه منسابقه، وقد استمر هذا اللون لمدة تسعة أشهر، وعندما سافر للمرة الثانية لمدة ثلاثين يوماً ظهرت لحيته باللون الأبيض الذي يشبه إلى حد كبير الفضة والتلج أيهما يبدو لك أكثر بياضاً.

أما بالنسبة للحية الثانية فكان أكثر ما يصدرك في اختياري لها إنها

ليست لكاهن، وإنما منتشرد تم عامه الخمسين بلا عمل ولا أموال
ولا أصدقاء.

كانت ملابسه رثة وحذائه ليس أحسن حالا، ومع ذلك لم تكن
لحيته تبدو كلحية من تعدى الخمسين عاما، كانت مصبوغة باللون
الأسود بشكل رديء ربما لأنها لم تكن صبغة جيدة أو لأنه لم يكن
لديه مرآة، كان وحيدا، وكان دائم المشى في نفس الشارع ذهابا
وإيابا.

في يوم ما أنت قل من عبير الحياة إلى فحيح الموت وظهرت لحيته
بقعاء ملونة ربما لأنه لا يوجد من يصبغها في المستشفى الخيري.

ستقول هذه الأفواه المريضة على صديقي الراهب وعلى المنتشرد،
لماذا تحولت لحيتهما من اللون الرمادي إلى الأسود؟ يجب أن
تخمن القارئة إن استطاعت وسوف أعطيها عشرين فصلا لكي
تفسرها، ربما بعد قليل يمكنني أن أقترح تفسيراً لكنى لا أعرف الآن
ولن ألجأ إلى التخمين، دع الألسن الخبيثة تلتصق الشهوات الدنيوية
إلى الراهب حتى وأن لم يفهم أحد لماذا ظهر في هذه التقلية؟

أما عن المنتسول، فمن تلك السيدة التي يرغب في جذبها لدرجة أن
يصبغ لحيته مقابل طعامه؟ أن هذا أو ذاك يود أن يستسلم لرغبته
في الإبقاء على شبابه المؤقت، وهو شيء منطقي، لقد درس الراهب
في الكتاب المقدس وعلم أن إسرائيل تحسر من أجل بصل مصر،
وربما أيضا بكى وسقطت دموعه السوداء على خديه، أكرر ربما،
أن الرغبة في الاحتفاظ بفترة الشباب لهي طبيعة في داخل نفس

الإنسان ولكن الله قد حدد لكل إنسان وقت وفاته.

22- روبسبيرو لويس السادس عشر

أصبحت آراء بيدرو وباولو قوية حتى أنهما أصبحا يتعلقا بأشياء، ففي يوم من الأيام كانا يمشيان في شارع ريو دي كاريوكا هناك يقع متجر مركب الزجاج «جلازيير» بمرياته المختلفة الأحجام، وبالإضافة للمرايا توجد هناك أيضا لوحات رخيصة وقديمة منها ما هو موضوع داخل إيطار وما هو غير موضوع، توقفا لبعض اللحظات للفرجة فقط، حينها رأى بيدرو لوحة لصورة لويس السادس عشر فقرر أن يشتريها فدخل المحل واشتراها مقابل 800 ريال، كانت عبارة عن صورة بسيطة معلقة بسلسلة على الحائط المقابل أراد باولو أن يفعل نفس الشيء الذي يعبر عن آرائه فاكتشف هو أيضا لوحة بها صورة لروبسبير ولكن البائع طلب فيها 1200 ريال، فانزعج بيدرو قليلا.

ماذا دهاك يا سيدى هل تبيع صورة الملك أرخص من صورة هذا القاتل؟

رد البائع العجوز قائلا: أعزرنى يا سيدى أن تلك الصورة كلفتنى

أكثر بكثير نحن نبيع وفقا لسعر الشراء، حتى يتثنى لنا أن نربح،
أنظر إنها أحدث.

قال باولو: «لا أنهما من نفس الفترة ولكن هذه تستحق أكثر من
الأخرى».

”لقد سمعت أنه كان أيضا ملك».

أجاب الاثنان: «لا ليس ملكا».

”أو كان يطمع أن يكون ملكا «، «لا أعرف»، فمن أنا حتى أتحدث
في التاريخ أنا أعرف فقط عن المغاربة البربر وما أعرفه من التاريخ
يرجع إلى حكايات جدتي، وبعض القصص الموجودة في الملاحم
الشعرية، وأضاف لا تزال هنا سيدات مغاربة جميلات هذه على
سبيل المثال على الرغم من أن اسمها مور على ماأظن ولا تزال أن
كانت على قيد الحياة ربما كانت غيرمرغوبة لزوجها.

ذهب البائع إلى الزاوية وأخرج لوحة بها صورة للجميلة مادام دى
ستيل بعمامتها بتربونها الشهير وجمالها المعهود وأمام هذا الجمال
نسى التوءمان آرائهما السياسية لبعض الوقت وأخذا يحدقان في
صورة السيدة والتي كانت موجودة أيضا على كتاب كورين، حتى
البائع العجوز بالرغم من بلوغه سن الستين ألا أن عيناه أغرورقت
من التحديق إلى اللوحة هو أيضا، كان حريصا على إبراز الأشكال
والرأس والفم المعبر وأخبرهم أن هذه اللوحة ليست غالية بسبب
عدم الإقبال على شرائها، أن لديه صورا أخرى لهذه السيدة ولكنها
«أقل إثارة». من هذه الصورة هذه الكلمة التي ندعو الله أن

يغفرها له حينها علما التوءمان أن كل مايريده هذا البائع هو إرضاء رغبات ذبائنه، ثم ذهب إلى المخزن وأحضر لوحات ديانا العارية سواء في حياتها في الغابات أو في مثل هذه الأراضي، حتى يبيع هذا لم يتمكن من إتمام عملية البيع ما اضطره أن يرضى باللوحات السياسية».

لا يزال يريد هذا البائع أن يربح بعض المال جراء بيع صورة بإطار ليبدو الأول كانت معلقة على الحائط ولكن بيدرو رفض معللا ذلك بأنه لا يوجد معه أية أموال، كما أضاف باولو أنه لن يدفع قرشا واحدا مقابل «وجه هذا الخائن». وليته لم يقل شيئا! بمجرد أن سمع التاجر رد باولو ظهر وكأنه قد أثرت حفيظته وأخذ يقول نعم سيدي إن الشاب على صواب.

”أنت محق يا سيدي إنه فعلا خائن لقد كان سيئا في كل شيء لقد كان ابنا عاقا وأخا سيئا، لقد ارتكب لهذا العالم كل مافي وسعه من آثام، أين هو الآن إنه في الجحيم إنه قادر على أن يؤذى الشيطان، لقد تحدث هذا الشاب منذ قليل عن الملك الشهيد «وأكمل حديثه وهو يظهر لهما لوحة بها صورة شخصية لدوم ميجيل في بزته وهو واضع يده على صدره قائلا: «إن هذا هو الشهيد الحقيقي لقد قتله بيدرو الأول واستولى على العرش، الذي لم يكن له وأعطاه لمن لا يستحق، أما سيدي المسكين الملك دوم ميجيل انزوى ومات فقيرا، لا أعلم أين ولكنهم يقولون في ألمانيا، هؤلاء العصاة الدستورية يالهم من شياطين صغار! إنكم شباب لطفاء لا يمكنكم تخيل كيف كان هؤلاء الليبرالين اللصوص؟ ليبرالين، ليبرالية بأخذ

ممتلكات الآخرين!».

رد باولو: «ولكنهم جميعا خرجوا من بيئة واحدة وكلهم أبناء لهذه الأرض».

أنا لا أعلم ما إذا كانوا من بيئة واحدة أم لا، ولكنى على علم أنهم قد أصيبوا بأضرار فادحة، أنهم فازوا ولكنهم قد تكبدوا خسائر حقيقية، ياله من ملك مسكين!.

أراد بيدرو أن يتصدى لتعليقات أخيه الخبيثة، وأبدى رغبته في شراء صورة بيدرو الأول وعندما عاد البائع إلى رشده أيد باولو المفاوضات لإتمام عملية البيع ولكنهم لم يتفقوا على السعر، فمن جانبه عرض بيدرو على البائع أن يأخذها مقابل نفس سعر اللوحة الأخرى أى 800 ريال، ولكن البائع طلب 2000 وبرر هذا الفرق بأن هذه الصورة لها إيطار والصورة الأخرى ليس لها، إلى جانب إنها أحدث، وأحضر صورة أخرى من على الباب حتى تزيد الإضاءة ويلفت نظر بيدرو إلى الوجه أو إلى العينين بصفة خاصة أن لها تعبيرات غاية في الجمال بالضافة إلى روائه الامبراطورى الرائع.

”ما هذا الاختلاف الذى يجعلك تطلب فيها 2000 ريال«.

”سأعطيك الفأ، مارأيك«.

”لا يا سيدى إنها كلفتنى أكثر من ذلك بكثير«.

”حسناً، إذن«.

”انظرا، ألا تستحق 3000 آلاف، إن الصورة لم تبتهت بعد كما أن
النقش على مايرام كما».

1000”ريال كما أخبرتك».

”لا ياسيدى خذ صورة دوم ميغل هذه مقابل 1000ريال، فالصورة
محفوظة بعناية كما أنى سأركب لها إيطارا، مارأيك هل تأخذها
بألف؟».

”أنا لا أتحدث عن هذه الألف مقابل الإمبراطور».

لا يا سيدى إنها كلفتنى 1700 منذ ثلاثة أسابيع أنا لن أربح
سوى 300 ريال فقط لا غير هل هذا يعتبر ربحا؟

كما أننى أطلب ربحا أقل فى صورة اللورد دوم ميغيل ولكنى لا
زلت موافقا على السعر الذى عرضته عليكم، ولكن بالنسبة لصورة
الإمبراطور بيدرو فلو مررت غدا ربما لن تجدها، فما هو قرارك؟

سأمر لاحقا

كان بيدرو قد مشى بالفعل ونظر إلى روبيسبير ولحقه باولو

«خذ دوم ميغيل مقابل 7 سنتات».

قرص بيدرو يد أخيه هل تأخذها بستة؟

دوم ميجيل

فكر العجوز «على أية حال، لن أبيع هذا إذا جمعته ونقلته بعيداً سأضعه في إطارات مع بعض العصى القديمة هنا»، «توجه دوم ميجيل إليه ونظر إليه نظرات اللوم الحزينة ولكن كان هذا مجرد وهم للتاجر على أية حال لقد بدا له أيضاً أن الأعين عادو إلى أماكنهم بعيداً جداً». أين؟ هناك حيث توجد العدالة المطلقة، كان التاجر فكر بصورة طبيعية، وقتما كان يتأمل اللوحة بتركيز عند باب المحل إذا برجل يتوقف ويدخل وينظر إلى اللوحة باهتمام، لاحظ البائع تعبيراته، ربما يكون واحداً من محبي ميجيل أو ربما يكون مجرد جامع».

”كم تطلب في هذه اللوحة».

”هذه؟ سامحنى سيدى، هل تريد أن تعرف كم أطلب في عزيزى اللورد دوم ميجيل؟ ليس كثيرا، إنها إلى حدما غير واضحة ولكن لازلت تستطيع أن تحدد ملامحه، كم هو مهيب! إنها ليست باهظة الثمن، سأبيعها لك بسعر التكلفة، إذا ماؤضع لها إطار ستكون بـ4000 ريال برازيلي خذها بـ3000 فقط».

أخرج المشتري المال من جيبه بهدوء وفي نفس الوقت كان البائع العجوز يلف اللوحة.

بعد أن تبادلوا اللوحة والمال بترحاب ورضا وقال كل منهما للآخر الوداع، ذهب صاحب المتجر إلى الباب ثم عاد إلى مقعده المعهود ربما كان يفكر في سوء حظه، حيث بالكاد هرب من بيع اللوحة مقابل ألف على أية حال تفكر في المستقبل البعيد حيث توجد العدالة المطلقة»3000ريال.

معركة اللوحات

ليس هناك ثمّة ضرورة للحديث عن مصير صورة الملك والمفوض، فلقد علقها كل من الولدين فوق سريره، لكن هذا الوضع لم يدم طويلاً، حيث بدأ كل منهما في تشويه تلك النقوش المثيرة للشفقة والتي لم يكن لها أي ذنب، حيث ظهر هذا التشويه على شكل إذن حمار وألفاظٍ نابية ورسومات للحيوانات، إلى هذا اليوم الذي اعتدى كل منهما على الآخر وكان طبيعياً جداً أن ينتقم كل منهما لنفسه من الآخر بالضرب، سمعت الأم صخبا في الأعلى فركضت إلى الطابق العلوى حيث تمكنت من الإمساك بهما وفصلهما عن بعض ولكن بعد فوات الأوان فلقد جرحا بعضهما، فذهبت إلى سريرهَا أسفة حزينة وسألت نفسها في صمت هل يمكن أن تنتهى هذه المنافسة اللعينة؟ وألقت بنفسها على السرير ووضعت وجهها فوق الوسادة، ظلت وجنتيها جافتين ولكن نفسها من الداخل كانت تجهش بالبكاء.

وضعت ناتيفيداد كل ثققتها في تربية أولادها ولكن بقدر مااهتمت بهذه التربية قد غيرت من سلوك أبنائها الخارجى فقط وظلت شخصيتهم الأساسية كما هى بدون أى تغير، تلك المشاعر التى شعرت بها وهما بداخلها أثناء فترة الحمل كانت تماما مثل مشاعرهما الجنينية التى ناضلت لكى يعيشا وينموا وتشب المنافسة بينهما وأشارت إلى الأزمة وإنهاء سب زواجهما من كاستيلو»، حقيقةً ينبغى أن تبقى العرافة صامته لابد للشئ الذى ل ايعرف لا يمكن تغيره ويظل مجهولاً، يمكن أن يكون عدم بقائها صامته الآن يؤكد الرأى القائل بأن الله قد أرسل هذا الفلاح لكى يقول الحقيقة لهؤلاء الرجال، وبعد كل هذا، ماذا قالت لناتيفيداد؟ لم تقل شيئاً أكثر من طرح سؤالٍ غامض، كانت النبوة واضحة جداً وحينها رن كلام كاستيلو فى إذن الأم ثانيةً فاستراحت مخيلتها، نبوءات مستقبلية! ها هى ذات عظيمة وسامية، بعض الأفعال الصيبانية يضرهما؟ فتبسمت ناتيفيداد ونهضت متوجهة إلى الباب فوجدت ابنها بيدرو قد أتى لكى يشرح الأمر». ماما باولو سيئ جداً لو سمعت تلك الأهوال التى خرجت من فمه لمتى من الخوف أنا لم أستطع تمالك نفسى ولم أستطع أن أبعد نفسى عن وجهه أنه فعلا محظوظ لأننى لم أفقأ عينه.

”يا بنى لا تتحدث هكذا إنه أخوك».

”إذن ينبغى عليه ألا يغيظنى ولا يزعجنى، يالها من ألفاظ بذية تلك التى وجهها إلى! بينما كنت أصلى من أجل روح لويس السادس عشر كان هو يصلى لماكسميليان روبسبير لكى يؤذنى، لقد أَلَّف

ترنيمه صغيرة وأسماها ترنيمه روبسبير القديس يهمس بها بصوت منخفض جداً حتى لا يمكنكما من سماعه أنتووالدي، لذلك أعطيته بعض الصفعات».

”اذهب من هنا».

”لكنه هو من ضربني أولاً لأنني رسمت اذنا حمار لروبسبير، هل كان ينبغي على أن أضرب ولا يتحرك لي ساكناً؟».

”لا، لا تستسلم وأيضا لا تقف أمامه».

”كيف؟ هل كنت أتصور ما حدث؟».

”لا يا عزيزي، الشجار ممنوع، الأفضل أن تنسى كل ما حدث وأن يعتنى كل منكما بالآخر، أنت مالا تعلمان كم يحبكما والديكما، من الأفضل أن تنتهي تلك الشجارات، أنا لا أريد سماع أية شكاوى أو خلافات، وبعد كل هذا ماذا سيفعل شقيقك بشخصية ماتت منذ سنوت».

”هذا ماقلته، ولكنه لا يريد أن يغير طريقته».

”لا سوف يتغير، أن التربية الجيدة تعالج هذه التصرفات الصبانية، وعندما تصبح طبيبا ينبغي عليك أن تحارب المرض والموت، أنا لا أريد شغب يا بيدرو، هدي نفسك وأفهم ماأقوله».

”أمي أنتدائما ضدي».

أنا لست مع أحد ضد أحد أنا أمكما سويا وعلاوة على ذلك فأنتما توءماي، بيدرو تعالى إلى هنا لا تعتقد أني لا أتفق مع آرائك السياسية بل بالعكس أنا أتفق معك إنها آرائي أيضاً بل إنها آراءنا جميعاً وباولو سوف يعتنقها أيضاً ولكن في مثل عمر باولو عادة مايفعل المرء بعض الحماقات ولكن الوقت كفيلاً بمعالجتها، بيدرو «أملى في هذه الحياة أن تصبحا رجلين عظيمين ولكن بشرط أن تكونا أيضاً أصدقاء عظماء».

«أنا فعلا سأكون رجلا عظيما» اعترف بيدرو تقريبا باستسلام

«وصديقا عظيما أيضا».

«إذا أصبح صديقي سأكون أنا أيضا صديقه».

«يالكما من رجال عظماء». قالتها متعجبة وعانقته وعانقت أخيه وعندما أتى هو أيضا».

عندما أتى باولو أستوعب كل ماحدث بهذا العناق الصادق، إنه أيضا جاء لكي يشتكى ويتذمر لبعض الوقت ولكن والدته لم ترغب في سماعه وتحدثت عن العظماء للمرة الثانية وأبدى باولو موافقته أيضا ليكون رجلا عظيما».

«ستكون طبيبا يا بيدرو وأنت يا باولو ستكون محامياً، أريد أن أرى من يقوم بوصف أفضل علاج ومن ينجح في أن يكسب أصعب القضايا».

رد التوءمان بمنتهى الانسجام «أنا سأفعل».

”كل واحد منكما ستكون له حياته المهنية وتخصصه العلمى الخاص به، هل انفك فى حالة أفضل الآن؟ نعم، لقد توقف النزيف، من اعتدى على أخيه أولا سوف ينزل درجة».

كانت فكرة حكيمة للفصل بينهما هكذا سيبقى أحدهما فى ريو لكى يدرس الطب وسيذهب الآخر إلى ساو باولو ليدرس القانون، والزمن كفىل بالباقى فعلى الأقل كل منهما سيتزوج ويكون له حياته المستقلة مع زوجته، عندها سيحل السلام التام والصدقة الدائمة.

حول التفكير غير المناسب

وهنا يأتي تصور من القارئة. أنه إذا دفعتهما هاتان اللوحتان إلى الاشتباك وإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ، فهل سيكونا سعداء مع زوجاتهم؟ أم هل

يرغبان في امرأة احدة؟.

ما تريده سيدتي هو أن تصل مباشرة إلى الفصلالذى يحكى عن الحب أو عن المتحابين وهو بالخصوص ماتهتمين به في الروايات وهذه أهمية السؤال، كما لوكانت تريد أن تقول «عزيزى أنتلم تظهر لنا حتى الآن السيدة أو السيدات التى سيحبها أو يفكرا فى التودد إليها هذان الشابان المتنافسان لقد سئمت من سماع أن هذين الولدين ليسا على وفاق أو حتى على وفاق ردىء، إنها المرة الثانية أو الثالثة التى أستمع فيها إلى الاحتضان الحنون للأم أو إلى أصدقائك المشاكسين، دعنا ننتقل سريعا إلى الحب إلى هاتين الشابتين أن لم يكونا شابة واحدة».

بصراحة، أنا لأحب أن يذهبالقراء إىالتخمين أوالتأليفخصوصا فى الكتابالذى تتم كتابته بأسلوب منهجى،الإصرار على الحديث عن امرأة واحدة شىء يقترب من الوقاحة، أن نفترض أنهما يتصرفان كشخص واحد فهذا لايمكننى من أن أخبركم بما طلبتم منى، وعندما أكتب عن الحقيقة لا أكتب ألا ما حدث وما يؤكده عشرات الشهود، عفوا سيدتى فأنا لست الكاتب الذى يكتب لإرضاء نزوات هؤلاء المقترحين، إذا كنت تريدين كتابة كتاب ساوفر لكى الأوراق والأقلام والقارئ المهتم، لكن إذا وددت أن تقرأ فقط لابد أن تبقى هادئة وتنتقل من سطر إلى سطر، وسأدعكلىتتأبى بين الفصول ولكن ستصبرى لكى تكملى وأنتواثقة تماما فى راوى تلك المغامرات.

الباقي شيء حقيقى

نعم هناك شابة أصغر منهما بعام أو بعامين وهو الذى جعلهما يتنافسا سواء بحكم العادة أو بحكم الطبع أن لم يكن بسببهما معا، ربما كان هناك فتيات أخريات حتى وأن كنّ أكبر منهما ألا أن الملاحظ في هذا الكتاب أنه لا يرجع خلافاتهما إلى هؤلاء الأخريات، فلو تشاجرا من أجل تلك الأشياء مرة فلن يتذكرها أحد منها، لكن من الممكن أن يتذكروها منذ توحدت أذواقهما أما أن كانت على

خلاف هذا فسيكون دفاعهم مثل دفاع فرسان القرون الوسطى
عن زوجاتهم.

كل هذا يعتبر تخمين، كان طبيعياً أن يكون كلاهما وسيماً ولطيفاً
ومحباً للحياة ومولعاً بالرحلات والرقص حتى مقدار الميراث فهما
متساويان فيه، كل هذا جعل من الطبيعي أن تعجب بهما العديد
من الفتيات اللاتي يريانهما يمران على الشاطئ أو وهما يركبان
جواديهما أو وهما يمشيان على الشاطئ أو على الطريق سوف
يقعن في غرام هذان الشبان المتشابهين تمام التشابه سواء في الهيئة
أو في الحركات، لدرجة أن خيولهما يبدو أنهما توأمان أيضاً حتى أن
حوافرهما يضربا الأرض بنفس الإيقاع ونفس القوة ونفس الرشاقة
ولكن لا تتصور أن شعر ذيلهما وعرفهما كانا متزامنين لهذه الدرجة
فهذا ليس حقيقياً لأن هذا يجعلك تشك في الباقي، لأن ماتبقى
كله صحيح.

الشخص الأصغر

لم يدخل الشخص الأصغر في المشهد في هذا الفصل لسبب وجيه، وهو أنه لابد أن يظهر والداها أولاً حيث لا يمكن أن يراها أحد جيداً بدونهما، ربما يمكن، فالثلاثة مختلفون ليس من المعتاد أن يكون الأطفال نسخاً من والديهم، أقسم كامويس أن الأب يستطيع أن يتخذ شخصاً واحداً فقط كابن له، وأكد العلم هذه القاعدة الشعرية، أنا أو من بالعلم والشعر ولكن هناك استثناء، ففي بعض الأحيان تتغير الطبيعة ولكن هذا ليس معناه أن يتوقف النبات عن النمو أو تتوقف النجوم عن البريق، أن ما يجب أن نؤمن به بدون أي استثناءات هو أن الرب هو الرب، وأن كان من يقرأ لي فتاة مسلمة عليها استبدال لفظ الرب بلفظ الله وتقرأها ما يجب أن

نؤمن به بدون أى استثناءات هو أن الله موجود وواحد فجميع اللغات تنتهى إلى الله.

عائلة باتيستا

أنا لا أعلم في أي المزارع في ولاية ريو دي جانيرو تقابلت عائلة باتيستا بعائلة سانتوس ولكن على الأرجح ليست مزرعة ماريكا التي ولد فيها والد التوءمان، ربما تقابلا في إحدى المقاطعات الأخرى أياً كان المكان الذي تقابلا فيه إلا أن العائلتين تقابلتا ومنذ أن عاشا بجوار بعضهما البعض في بوتافوجو فإن التعاطف والتكرار قد ساعدهما في أن تطول هذه الصداقة المحظوظة، وكان بايستا والد الفتاة الذي يبلغ بضع وأربعين عاما يعمل كمحام في القطاع الخاص وحاكم سابق للولاية وكان عضواً في حزب المحافظين، وقد حددت هذه النزهة خصيصاً لعقد اجتماع له علاقة بالانتخابات، ولكن يبدو أن الاجتماع لم يسفر عن شيء وعاد من هناك صفر اليدين، وبالرغم من أن له أصدقاء في الحكومة إلا أنه لم يحصل على منصب النائب أو منصب المحافظ، وكان قد توقف عن وظيفته

منذ أن تمت إقالته «بطلب خاص» طبقا للمرسوم ولكن شكوى من أعفى من منصبه يجعلنا نعتقد شيئا مختلفا، غى الواقع لقد كان مسئولا عن خسارة الانتخابات وأرجع فقدان منصبه إلى هذه الكارثة السياسية.

قال باتيستا متحدثا عن الوزير: أنا لا أعلم ماذا كان يجب على أن أفعل أكثر من ذلك لقد طوقت الكنائس، وأى صديق طلب حماية الشرطة وصلت إليه على الفور، وقبضت على مايقرب من عشرين شخص وأودعت آخرين فى السجن بدون محاكمة، هل كان يجب على أن أقتل الناس لأرضيه؟ حتى هذا فقد كان هناك قتيلان فى مدينة ريبيرو دوس موكاس كان هذا الادعاء الأخير من قبيل المبالغة لأن هؤلاء الموتى لم يتوفيا بسببهلقد أمر بوقف التحقيقات، هذا ما فعله فقط، لو أمكنك فتح محادثة معه حول وحشية التحقيق الذى تعرض له المتوفون، الخلاصة أن الانتخابات كانت بيضاء. قال باتيستا إنه قد خسر كرسى الحكم بسبب الانتخابات ولكن النسخة الثانية ستأتى قريبا، وبعد الاتفاق الخاص بالمياه والامتيازات التى قد أعطيت للجانب الأسبانى بناء على طلب شقيق زوجة الحاكم، هذا الطلب كان حقيقيا، ولكن كل التلميحات حول وجود رشوة كانت كاذبة، ليست المشكلة فى مدى صداقية الكلام، فهذا يكفى لكى تقول صحف المعارضة أن هناك ثمة استغلال للقرباة فى الصفقة وأضافت المعارضة بما أنه اتفاق يتعلق بالمياه فلا بد أن يكون نظيفا وأجابت إدارة الصحيفة بمنتهالحرم أن كل الماء الموجود لا يكفى لإزالة السخام الذى خلفته الإدارة الليبرالية للحاكم السابق، هذا لم يكن حقيقيا لقد نبشت جريدة المعارضة

في سجلات المحكمة القديمة وأظهرت أن الدفاع كان مُقنعاً، وكان بإمكانه التوقف هنا ولكنه تابع» بم أننا الآن تحت الاحتلال الأسباني «الحاكم كتب أبيات شعر للشاعر الأسباني الذي كتب المراثية»، الأصدقاء والأصدقاء لابد أن يصلو حتى نهايتهم»، ولكنه غيرها حتى لاتكون أمرا بقتل أحد بل على الأقل تدعوا إلى وهب الحياة لنفسه ولذويه» لا تستطيع أنتبقى ألا العائلة التلديها الذكاء لكي تبقى على قيد الحياة.

على الفور استجاب لهذه الافتراءات معلنا إلغاء الامتياز ولكن هذا لم يفعل شيئا غير إعطاء الدليل للمعارضة لتسديد المزيد من الضربات القاتلة، فصرحت قائلة: «لدينا اعتراف ضمنى من المتهم»، في المانشيت الأول في صحيفة المعارضة المكرسة لقانون الانتخابات الخاص بحكام الولاية وأرسلت نسخة بالفعل إلى مقر الحكومة في ريو دي جانيرو للإبلاغ عن الامتياز، ولم تجد الحكومة أى وسيلة غير إعفائه من منصبه، ولا يجب على السياسيين أن ينتهبوا جيدا لرجال الأعمال، لقد تحدثت السيدة كلوديا للتو عن الحملة الصحفة التي تعرضت لها وعن مدى شراستها.

قالت ناتيفيداد: «لم يكن الأمر يستحق كل هذا العناء لكي تغادر». «لا أيتها البارونة».

أكدت السيدة كلوديا أن الأمر كان يستحق، لقد عانى المرء كثيرا، كان من الرائع أن يحصل على المنصب، كل شيء يعلن رسميا، الزيارات التي تكون بواسطة الطائرة والهبوط وتولى المنصب

والتهانى كان من الرائع أن ترى القضاة والموظفين والضباط منهم الأصلع ومنهم ذو الشعر الأبيض الكثيف، وأن ترى أجمل ما فى البلاد، فى الحقيقة المجاملات التى أصبحت طويلة فى جميع المنحنيات والزوايا والإطراءات المطبوعة، حتى إهانات المعارضة كانت مقبولة، كانت لا تتغير نفسيتها الجميلة عند سماعهم يطلقون على زوجها الطاغية فى حين إنها تعلم أن قلبه أرق من قلب الحمام ولا حين يصفونه بانهم تعطش للدماء الذى وهو حتى لا يشرب النبيذ، وقفازاته الحديدية التى فى الحقيقة كانت تشبه قفازات الأطفال، والفجور وانعدام الضمير والكسل والظلم، والأسماء الفظة التى أطلقوها عليه والتى كانت تقرأ كما لو كانت الحقيقة المطلقة، أين كل هذا الآن؟ كانت جريدة المعارضة هى أول جريدة تقرأها السيدة كلوديا وعندما كانوا فى قصر الحكم، وكانت جراء سخرتهم تشعر بنشوة كما لو جلدت بسوط وهى عارية وكان هذا يعطيها شهية أفضل على الغذاء، أين ذهبت تلك الجلادات فى هذه الأيام؟ الآن بالكاد تجد اسمها مكتوبا فى أسفل بعض الوثائق القانونية أو فى قائمة من قد زار الإمبراطورية.

وتوضح كلوديا: "باتيستا متواضع جداً، ولكن ليس فى كل الأحيان فهو كلما زار القصر فى ساو كرسنافو تجده يحاول أن يغض طرفه محاولاً عدم التذكر كما لو كانت ذنبا على العكس فإن عدم الذهاب إلى هناك يبدو كما لو أنه إهمال، ولاحظت أن الإمبراطور يستقبلهما بترحاب فهو لم ينس اسمها أبداً وبالرغم من أنى لم أذهب هناك منذ عامين إلا أننى حينما ذهبت قال لى على الفور كيف حالك يا سيدة كلوديا؟

وإلى جانب هذا الحنين إلى السلطة كانت كلوديا مخلوقة سعيدة فالحبوية في كلماتها وسلوكها، وعيناها اللتان لا تتوقفان عن الحركة لدرجة إنك تشعر إنها لا ترى شيئاً، والابتسامة اللطيفة، والإعجاب المستمر، كل هذه الصفات كانت تجعلها قادرة على معالجة كآبة الآخرين، وعندما كانت تقبل أصدقائها أو تنظر إليهم كانت تبدو وكأنها تريد أن تأكلهم أحياء، حبا وليس بغضا، وتضعهم في أعينها، لم يكن باتيستا رجلاً ثرثاراً كان طويل القامة وطريقته الهادئة جعلته يظهر كما لو خلق من أجل الحكم، كل ما كان ينقصه هو الفاعلية لكن كانت زوجته تحفزه، لم يندم على أى استشاره أعطته إياها خلال أزمات الحكم حتى الآن إذا استمع إليها وكان بالفعل قد طلب منصباً في الحكومة الجديدة لكنه كان حازماً في هذه النقطة، الحزم الذى كان نتاجاً للضعف، فعندما ييخلوا مكان في الحكومة كان يقول لها: «لا تقلقى سوف يتصلون بي»، مما لا شك فيه أنه بحاجة إلى العودة للحياة العملية، أن السياسة بالنسبة له تعد أقل من الطفح الذى يجبره على الحك بقوة في مختلف أنحاء جسده.

فلورا

إذا ولد هذا الثنائى السياسى ربما سيكون مزيجاً من الصفات المتضادة لوالديه وربما كان رجل دولة ولكن السماء رفضت أن تعطى لهما من الأبناء وما يمكن أن يواسيهما، فلقد أنجبا بنتا واحدة تخالفهما تماما فقد تميزت بروح وشخصية الفتاة الصغير ولم ترث عاطفة أمها ولا القدرة على تحمل مسؤولية الحكم، ولكن إذا قابلتها فى هذه الأيام ستجدها تشبه المزهرية الهشة أو الوردة التى ازدهرت ليوم واحد وستمكنك من تأليف مرثية الجميلة، لدى فلورا عينات صافيتان واسعتان، ولست واسعة المعرفة ولكن لديها

نظرة خاصة ليست مندفة كوالدها أو بليدة كوالدها بل رقيقة ومتأملة وتتجلى رقتها في إنها تُلين قلب البخيل أضف إلى ذلك إنها قنواء الأنف ارسم هذا كله واضعاً إياه في وجه طويل وفم نصف مبتسم وتوجت بشعر أحمر ناعم حينها ستظهر لك فلورا.

ولدت فلورا في أغسطس عام ١٨٧١ لم تخف والدتها التي كانت تؤرخ الأشياء بالوزارات عمر فلورا أبداً «ولدت فلورا أثناء حكم ريو برانكو وتعلمت بسرعة فائقة خلال حكم سينيمبو حيث استطاعت أن تقرأ وتكتب ببراعة.

كانت فلورا فتاة خجولة ومتواضعة تتجنب الاحتفالات الجماهيرية، وافقت على مضمض على تعلم الرقص، عشقت الموسيقى ولكنها فضّلت العزف على البيانو عن الغناء، إن تركتها على البيانو بإمكانها أن تنسى الأكل طوال اليوم، بالرغم من المبالغة الموجودة ولكن لا ضير فالمغلاة هي السبيل في هذه الأيام، فإذا الناس تغلق فقط تحت ضغط الخطابات الكثيرة ولا يمكن للمرء أن يملأ بالحقائق.

إلى هذا الحد لا يوجد شيء خارق يميز تلك الفتاة عن باقي أقرانها، وبانسجام الحياء مع الفضيلة كان الاستغراق في أحلام اليقظة من الطبيعي أن يكون مؤذياً، وفي الخامسة عشر من عمرها مالت فلورا إلى الحفاظ على نفسها، تنبأ أريس الذي قابل فلورا هذه المرة في بيت ناتيفيداد أن تصبح تلك الفتاة مخلوقاً غامضاً.

سألته الأم: «ماذا قلت».

راجع أريس نفسه قائلاً: «حقيقة لم أقل شيئاً لكن إذا سمحت لي أن أقول شيئاً سأقول إن هذه الشابة قد لخصت كل مميزات أمها».

ردت السيدة كلوديا مبتسمة وقالت: «ولكنى لست شخصية غامضة».

«لا على العكس تماماً يا سيدتى لم أقصد هذا المعنى الحرفي للكلمة بالضبط فلو افترضنا وجود إنسان كامل في هذه الدنيا وهذا مستحيل، سوف يرى أن أفضل روح ليست أكثر من مجرد وجهة نظر، فإذا تغيرت وجهة نظر المرء يصبح الكمال».

اعترضه سانتوس قائلاً: «الكمال هو المكسب في لعبة الورق».

كانت هذه المقاطعة بمثابة دعوة للعب الأوراق لم يستشعر أريس القبول من جانب فلورا بداية من اضطرابها وأعينها الحائرة وفضولها لمعرفة لماذا أصبحت أو ستصبح غامضة، إلى جانب أنه يحب الحديث مع النساء، كانت هناك جملة تتردد في ذاكرته وهى أن الجنس يعالج تفاهة المرأة ويزيدها عند الرجل.

كان من الضروري أن يجيب أريس على دعوة سانتوس أما بالقبول أو بالرفض، حينما وصلا الاثنين من معتادى اللعب وكان باتيستا معهم فى الغرفة المجاورة وجلس سانتوس لمتعته الليلية كان الثنائى هما بلاكيديو العجوز وكان يعمل طبيبياً روحانياً أما الثانى فكان يعمل وسيطاً تجارياً وكان يدعى لوبيز وكان يعانى من خسارة لعب الورق أكثر مما يعانى من خسارة أمواله لأنه كان يحب اللعب من أجل اللعب فقط ذهبوا جميعاً لى يلعبوا وبقي أريس فى الغرفة

لكى يستمع إلى النساء وهن يغنين، وكانت أعين فلورا لازالت كل
هذا الوقت مسلطة عليه.

المتقاعد

وبحلول هذا الوقت وبعد تقاعدة عاد هذا الدبلوماسى السابق إلى ريو دى حانيرو بعدما نظر إلى العديد من الأشياء النظرة الأخيرة لأنه سوف يكمل حياته هنا، لأن بإمكانه أن يفعل ما يريد فى أى مكان فهو رجل كل العصور ألا أنه يحب بلده بشكل خاص ويعانى فى أى مكان آخر فهو لا يتكيف بالاضطرابات الجوية العديدة فى بلدة مثل حمى الصفراء قد فقد اعتقاده بها لأنه قد أنكرها فى أغلب الأوقات، وعندما تم الإبلاغ عن الحالات كان بالفعل قد أصيب، ربما كان هكذا لأنه كان بصحة جيدة.

إنه ظل كما هو فهو بالكاد تغير أو تقريبا لم يتغير فقد أصبح حقيقةً أكثر صلعاً وزاد وزنه قليلا، وبدت عليه بعض التجاعيد خلاصة القول إنه قد ناسب سن الستين ولا يزال شاربة ملفوف بشكل أنيق جدا كان يمشى بخطى ثابتة ولفتاته الرائعة التى كانت تتسم بالجاذبية التى طالما حافظ عليها وكانت نفس الوردة لا تزال فى نفس المكان فى المعطف.

حتى المدينة لم تبدو أن تغيرت كثيرا هى الأخرى فلقد لاحظ العديد من أشارات المرور والقليل من دور الأوبرا والشعر الأبيض والأصدقاء الميتين، لكن المدينة القديمة لا تزال كما هى لم تتغير، منزلة القديم فى كاتيتى كان محفوظا بعناية، أخرج أريس المستأجر بطريقته المؤدبة هذا المستأجر الذى احترم رغبته وقدم مواساته إلى وزير الشؤون الخارجية، أقام أريسو حيدا مع الخادم هناك بالرغم من رغبة أخته فى أن تأخذه إلى أندريا.

«لا يا ريتا يا أختى اسمحى لى بالبقاء فى ركنى الصغير».

قالت: «ولكنى أنا قريبتك الوحيدة وبالطبع نحن أخوة من لحم ودم».

أبدى موافقته وأراد أن يضيف إنها أطيب وأنقى قريبة على الإطلاق: «ماذا حدث لشعرك؟ أنتلست بحاجة لى تخفضى عينيك لقد قصصت شعرك لى تضعيه فى تابوت زوجك الراحل لقد شاب ماقد قصتيه بينما ظل الباقى أسود فعلتى ذلك بينما تبقيه العديد من الأرامل لزيجتها الثانية».

كانت ريتا تستمتع وهى تستجدى زكريات الماضى وعادت تقول إنها لم يكن لديها بعدما أصبحت أرملة همدة بسطة كانت تشعر بالخجل جراء فعلها الصادق وظنت نفسها سخيفة «فما هو الجيد فيما فعلته من قص شعرها لو كان من فقدته أفضل الأزواج فى العالم ولكن بمرور الوقت بدأت ترى ما فعلته عظيما وترضى عن ما فعلته وعندما يخبرها الناس عنه أو تتذكره هى بمفردها أو حتى مجرد تلميح يسمح لها بالتذكر «حسنا أن كنت كذلك لماذا تفضل الإقامة مع الغرباء».

أى غرباء أن لن أعيش مع أحد أنا أعيش فى كاتيت ولارجودوماشودو وشاطئ بوتافوجو وفلامنجو أنا لا أقصد فى كلامى هذا الناس الذين يسكونون هناك بل أعنى الشوارع والمنازل والميادين والمحال التجارية، هناك بعض الأشياء المرحة فى تلك الأحياء؟ ولكن من يدري ما إذا كان ما أبحث عنه موجوداً فى أندريا أم سيجعلنى

مشوشاً، دعينا نكتفى بما نعلم هنا في مكان إقامتي القديمة، حيث اعتادت قدمای على الطريق لدرجة أنى أشعر أنهم يمشیان من تلقاء أنفسهم فهناك ثوابت من الأشياء وأناس خالدون مثل كوستيديو فى المقهى الإمبراطورى هل تذكرينه؟

«نعم أذكره أنه إمبراطور الحلويات».

«لقد أسس منذ أربعين عاما كان هذا منذ زمن بعيد جدا، أن الشر قديم جدا لكنه لا ينتهى سيظل يوارينى، أنه يبدو كشاب فى ريعان شبابه ويظهر هناك كل أسبوع».

«أنت أيضا تبدو كطفل صغير».

«أختاه لاتمازحينى فقد أنت هيت أنا مجرد رجل عجوزرهما أبدو شابا ولكن هذا لن يرضى الشابات وبالمناسبة لماذا لا تأتى لتعيش أنتمعى؟».

«آه، حسنا، يجب أن تعلم أنى استمتع أيضا بشركتى الخاصة، سأزورك من حين لآخر ولكنى لن أعيش هنا حتى وقت وفاتى».

اتفقاالأخوان على تبادل الزيارات وتعيش معهما يوم الخميس، سألته السيدة ريتا ماذا سيفعل أن مرض وأجابها أريس أنا لن أمرض أبدا ولكن إن حدث هذا يوما فسوف يأتى إلى أندريا فحتما قلب أخته سيكون أفضل مشفى له».

رهما كانت كل هذه الاعتذارات بسبب الحاجة لتجنب الخلافات

لأن أخته تعرف كيف أن الدعوة تعد مناسبة للخلاف، وفي نفس اليوم ولكن على الغذاء أعتقد أن القهوة كانت لذيذه، بينما قالت أخته إنها كانت سيئة للغاية وهو ما أجبره للاحتفاظ برأيه وأعلن إنها مثيرة للاشمئزاز».

في البداية ظل أريس في منزلة محافظا على عزلته وفصل نفسه تماما عن المجتمع فلم يزر أحدا إلا نادرا أو على فترات متباعدة، لقد سئم حقيقة من الرجال والنساء والأحزاب والسهر إلى أوقات متأخرة من الليل، نظم حياته، ولأنه كان مولعا بالأدب الكلاسيكي فقد كان شعاره هذا المزمور من ترجمة الأب برنارد وهو «أود أن أفر إلى مكان بعيد وابنى كوخ لي في البرية» لو كان لسانتوس شعارا فلا بد أن يكون هذ محفورا في الصخر عند مدخل مرسمه لتسلية أصدقائه، احتفظ أريس بشعاره وأحب أن يردده في نفسه من حين لآخر حينما يود أن يستشهد به ويرجع ذلك أحيانا لمعناه وأحيانا لجمال اللغة القديمة «أود أن أفر إلى مكان بعيد وابنى كوخا لي في البرية».

كان هذا في البداية، لقد تعشى مع أخته يوم الخميس، وفي المساء كان يود أن يتنزه ماشيا على الشاطئ أو في شوارع الحي كان يقضى معظم وقته في القراءة وفي إعادة مقرأه أو في كتابة مذكراته أو تنقيح المخطوطات لاسترجاع الأحداث الماضية، كانت له العديد من الشخصيات المختلفة التي تنتقل من السعادة إلى الكآبة من الحفلات الدفن إلى حفلات الاستقبال الدبلوماسية، حفنة من الأوراق الجافة التي تبدو له خضراء الآن، أحيانا قد يشير إلى بعض

الناس برمز معين قد لا يستطيع أن يتذكره على الفور ويصبح تذكره وإيجاده والبحث عنه وإتمامه مسليا جدا».

لقد أمر أن تصنع له صندوق من الزجاج حيث يضع كل الهدايا التذكارية التي حصل عليها في حياته وصورة القديمة وهدايا الرسمية للحكومات وهدايا الخاصة من المواطنين وأيضا كل ما يخص النساء من قفازات ومناديل ومروحات والميداليات والأوسمة وقطع أثرية من المملكتين اليونانية والرومانية، أشياء لا حصر لها لم أقيدها في ورقة حتى لاتضيع الورقة، لم تكن الخطابات موجودة هناك ولكنها كانت بداخل حقيبة السفر مفهسة أبجديا على حسب اللغة والجنس والمدينة هناك خمسة عشر أو عشرين من الفصول سوف تضاف كالعديد من الفصول وستقرأ باهتمام وحب استطلاع، ونلاحظ على سبيل المثال، مبقعة وبدون تاريخ وموقعة بالأحرف الأولى حرف الباء والميم حيث فسرهما بشوق، إنها لا تستحق ذكر الاسم.

العزلة أيضا مملّة

لكنكل شيء أصبح مملاً، حتى العزلة، بدأ أريس يشعر بوخز الملل، فقد تشاءب وغفى قليلا، بدأ يظهر اشتياقه لمن يعايشه وللغرباء ولمن لا يهتم بشخصه حزينا كان أو سعيدا، فقد بدأ يتردد على

الأحياء الغريبة، وتسلق سفوح التلال وذهب إلى الكنائس القديمة والشوارع الجديدة وإلى كوباكوبانا وتيجوكا، هناك حيث البحر وهنا حيث الغابة والمنظر الجميل أيقظت بداخلة عدد غير محدود من الأصوات التي بدت لهو كأنها من أصوات القدماء كتب كل هذا في المساء ليقوى عزمه على مواصلة الحياة المنعزلة ولكن بدون أن يجد حل لمواجهة احتياجاته.

كان للغرباء الميزة في إخراجه من وحدته ولكن بدون أن يتحدثوا معه، فلقد كانت الزيارات الرسمية التي قام بها قليلة جدا ومختصرة وبالكد يتحدث فيها، كل هذا كان بمثابة الخطوات الأولى، شيئا فشيئا بدأ يستشعر مذاق عاداته القديمة والحنين للصالونات، والشوق للسخرية فلم يمض وقت طويل قبل أن يتسبب اعتزال الدبلوماسية في امتهان الترفيه، فقد هجر العزلة التي كانت كثيرا ما ترد في الكتاب المقدس كما هو الحال في الترجمة القديمة للكاهن، وكان أريس قد غير كلمة ومن ثم قد تغير معنى الشعار ليصبح «أود أن أفر إلى مكان بعيد وأبنى كوخا لي في مجتمع».

وبالتالي فقد تغيرت خطة حياته، حيث أراد أن يرى أناس مختلفين، لكي يعرفهم عن كثب ويستخدم كل حواسه لعالم في مقدوره أن يقتل الوقت الذي لا يُقتل».

لا يمكن تفسيره

هذا ما تركناه منذ فصلين في زاوية من زوايا مرسم سانتوس يتحدث إلى النساء لابد إنك تتذكر فلورا التي لم ترفع عينها عنه ومتلهفة لمعرفة لماذا يعتقد إنها شخص غامض لا يمكن تفسيره، فلا تزال الكلمة تدور في رأسها وتجرحها ولكن بدون أثر، ماذا كان يقصد بغامض؟

إنها تعنى شيئاً لا يمكن تفسيره، ولكن لماذا؟ أرادت أن تسأل هذا السؤال للدبلوماسى ولكنها لم تجد الفرصة المناسبة بالإضافة إلى أنه قد غادر المكان مبكراً ولكن فى المرة الأولى لاريس فى ساو كليمنتى سألته فلورا بعفوية حتى يشرح لها بطريقة أوضح، فتبسم أريس ومسك بيد الشابة لم يكن أمامه متسع من الوقت لكى يؤلف رداً لهذه الشابة التى تقف أمامه». كلمة غامض هذه نحن نستخدمها لكى نصف الفنان الذى يرسم ولكن لاينهى لوحته، فهم يضعون طلاء ثم مزيداً منها أو يغير نوع الطلاء ويضع قليلاً منة أو الكثير منه أو طلاء جديداً ولا يبدو لهم أبداً أن الشجرة تكون شجرة أو الكوخ كوخ، وإذا كانت اللوحة تحتوى على أناس بداخلها فوداعاً بقدر ماتتحدث الأعين فى الرسم فإن الرسامين دائماً يعتقدون أنهم لايقولون شيئاً، بل ويضفون عليه اللمسات الأخيرة بمزيد من الصبر حتى أنبعضهم يموت أمام أعينهم والآخرين ينتحرون من اليأس».

ظنت فلورا أن التفسير كان غامضاً، وأنتسيدتى القارئة لو إنك بالصدفة أكبر سناً وأكثر أدباً منها فإنك لا يمكن أن تجدى فيها أى وضوح، فهو لم يضيف شيئاً بحيث لم يُدرج فى قائمة الرسمين تلك، ثم ربت على يديها بأبوية وسألها عن دراستها، كانت الدراسة على مايرام لماذا لا تكون على مايرام؟ وجلست عند قدميه واعترفت الشابة إنها فى الواقع تفكر فى تعلم فن الرسم والتصوير، ولكن إذا فعلت فهل ستضع طلاء أكثر أو أقل مماينبغى على اللوحة فهل الأفضل أن تترك الرسم وتتمسك بالموسيقى فهى تجيد الموسيقى والإنجليزية والفرنسية، «حسناً إذن، الموسيقى والإنجليزية والفرنسية فقط». وافق أريس.

سألته برفق: «لكن لابد أن تعدنى إنك لن تفكر أنى غير مفهومة مرة أخرى».

وقبل أن يتمكن أريس من الإجابة دخل التوءمان الغرفة واستحوذا علنانتباه فلورا التى نسيت موضوع حديثها مع هذا الرجل العجوز، لم يستطيع أريس أن يبقى مدة أطول حتى يراها تضحك مع الشابين وحتى لا يشعر بشيء من الندم اعتقد أن هذا الندم ناتج عن أنه أصبح عجوزا.

بخصوص الشابة

وفي هذا الوقت كان التوءمان في الجامعة، أحدهما يدرس القانون في ساو باولو والآخر يدرس الطب في ريو، لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لكي يتخرجا ويصبحا جاهزين أحدهما جاهز للدفاع عن حقوق الناس وأخطائهم والآخر مستعداً لكي يساعدهم للتمسك بالحياة أو أن يموتوا، فإن كل التناقضات تكمن داخل الإنسان».

لم تكن السياسة ماجعلتهما ينسيان فلورا، وأيضا لم تكن فلورا ماجعلتهما ينسيان السياسة كما أنه لم يكن هناك أي أحد يمكن أن يجعلهما يهملان دراستهما أو لهوهما، حيث إنهما كانا في العمر الذي يمكنهما من أن يجمعا كل شيء بدون أن يطغى شيء على الآخر لقد كان كل منهما قد انشغل بحب الفتاة بنفس المقدار وهو ما يمكن ملاحظته من أول وهلة بدون أن تضطر إلى فعل هذا عمداً، بل على النقيض من ذلك كانت فلورا تضحك مع كليهما بدون أن تخصص أحدهما على الآخر يمكن تفسير ذلك بأنها حتى

لم تلحظ شيئاً، كان باولو يغيب مدة أطول وعندما يأتي للإجازة يجدها أكثر حيوية، كان ذلك وعندما ضاعف بيدرو اهتمامه حتى لا يتفوق عليه أخيه الذى أحضر هدايا معه هو الآخر وتقبلت فلورا كل هذا بنفس الوجه الودود.

يرجى الملاحظة ولا بد أن تنكشف هذه النقطة أن التوءمين استمررا فى تشابههما وغمياً بشكل أرشق من ذى قبل، ربما خسرا ببقائهما جنباً إلى جنب لأن التشابه يقلل المميزات الفردية لكل منهما، وما هو أكثر من ذلك، أحيانا تتظاهر فلورا بأنها لا تستطيع التفريق بينهما لكى تضحك فقط فتنادى باولو بـ«دكتور بيدرو». وتنادى بيدرو بـ«دكتور باولو».

عبثاً يبدلون أماكنهما من الشمال إلى اليمين ثم من الشمال إلى اليمين وفلورا تبذل أسمائهما أيضاً فيضحك الجميع معا كبرت الصداقة الحميمة معهم وبررت هذا الفعل، أحب باولو حديثها أكثر من عزفها على البيانو فكانت فلورا تتحدث، وفضل بيدرو العزف على البيانو أكثر من الحديث فكانت تعزف وأحيانا كانت تفعل الاثنين معا وتتحدث وهى تعزف فاقدة السيطرة على أصابعها ولسانها».

هذه الفنون كانت بمثابة هبات من الله وقد تُساهم فى إثارة التوءمين، وهو ما حدث بالفعل شيئاً فشيئاً، فأنا أعتقد أن الأم قد لاحظت شيئاً ولكن فى البداية لم تعط الأمر المزيد من الاهتمام فلقد كانت هى الأخرى بنتاً ثم شابة وربما كانت هكذا، فمن وجهة نظرها أن هذا هو اختبار ضرورى لرؤيتها المعنوية بالإضافة

إلى رؤيتها المادية، ليست النقطة الفاصلة في تركهم للخطأ ولا في الملاحقة بعد الغناء وكما يقول المثل الشعبي هذا مايعبر عن سحر أورفيوس، بالفعل كانت فلورا أورفيوس وهى أيضا الأغنية وفى الوقت المناسب سوف تختار أحدهما.

كانت صداقتهم تحظى بتقطعات طويلة بالإضافة إلى الغياب الاضطرارى لباولو بالرغم من عدم مغادرة بيدرو ألا أنه لم يسعى إلى الخروج معها وهى أيضا لم تذهب إلى المنزل المطل على الشاطئ فهما لم يتقابلان إلا فى فترات محدودة وهذا يمكن أن يكون ماجعلهما يفكران فى بعضهما ولكنى لا امتلك أى دليلا على هذا، الحقيقة أن بيدرو كان فى الدراسة له أصدقاء وفى الشارع له معاكسات وله أيضا مغامرات ورحلات إلى تيجوكا له أيضا وسائل جذب أخرى محلية أما الباقى فإن أخيه كان لايزال فى مرحلة التلميح لها فى الرسائل والإشادة بها ووصفها بالآف من الكلمات الجميلة بدون أية غيره.

الاختلاف ليس سيئاً كما يقال

ياصديقى الاختلاف ليس سيئاً كما يقولون إنه ليس قبيحاً ولاغير مثير، احسب فقط عدد الكتب التى أنت جت منذ هوميروس إلى يومنا الحاضر بدون إقصاء». بدون إقصاء ماذا؟ كنت سأقول بدون إقصاء هذا الكتاب لكن التلويح من بعيد عن تواضعى هو ماجعلنى أتوقف هنا، سأتوقف هنا، وليحيا التواضع، والتى بالكاد تحملت الحرف الذى أعطيته لها، هذا الحرف وتلك الهتافات ولكنها ستضر للمضى بهذا الحرف وتلك الهتافات، مرحى للتواضع ودعنا نقصى هذا الكتاب ونترك فقط الملاحم الكبرى والحكايات المأسوية التى وهبت الحياة للخلاف ويخبرنى لو لم تثبت هذه التأثيرات عظم القضية لا فالخلاف ليس سيئاً كما رسم.

لقد أصررت على ذلك حتى لا تبدأ النفوس المرهفة فى الارتجاج لشابة أو لشاب فلا داعى للارتجاج لأن الاختلاف بين الاثنين بدأ باتفاق بسيطفى تلك الليلة، حيث كانا يتمشيان متجاورين فى صمت على طول الشاطئ كل منهما يفكر منفرداً كما لوكانا يحدثا أنفسهما حتى خرجت هذه الكلمة منهما فى نفس الوقت«لقد أصبحت جميلة جداً».

ودار كل منهما إلى الآخر «من؟».

تبسم الاثنان وابتهجا بهذا التوافق في السؤال وفي رد الفعل رأينا هذه الظاهرة من قبل في الفصل الخامس والعشرين وعندما سئلا عن عمرهما ولكن لاداعى اللوم، فالجوهر في هذا الموضوع هو أنهما لم يصبحا شرسين، فلم يكن ماشعرا به حتى الآن حبا، وأعرب كل منهما عن رأيه في سحر الشابة وعن سحر حركاتها وعيناها وصوتها ويديها وكل هذا مغلف بمثل تلك الروح الجميلة وهذا ماجعل نية المنافسة غير واردة في الغالب هما لم يختلفا ألا في أكثر ما يميزها والتي كانت بالنسبة لبيدرو كانت عيونها وكانت لباولو أصابعها ولكن منذ أن خلاصا باتفاق أن أفضل ما يميزها هو انسجام كل الصفات الجميلة فيها، كان هذا دليلا على أنهما لن يتشاجرا بسب ذلك فلم ينسب أحدهما أي فعل غريب للآخر وأيا كان ما حدث فإنها كانت بداية الشعور، ويبدو أنهما كانا أكثر حبا للجمال من إقرانهم العشاق، حتى السياسة تركتهما في سلام هذه الليلة فكثيرا ماتشاجرا ربما اختلفا شعورهما حول المنظر الرائع للبحر والسماء، المياه الهادئة والبدر التام وبعض الأصوات المتقطعة ربما عربة أو عربتين يمشيان ببطء أو بهرولة على حسب أن كانت فارغة أو تحمل ركاب أونسيما عليلا من حين لآخر».

أخذهم الخيال إلى المستقبل، حيث المستقبل المشرق، حيث يكون لبوتافيغو دورا تاريخيا أو منفذ إمبراطوريا هذا بالنسبة لبيدرو أو تكون مقرا للنظام الجمهورى أو تكون بمثابة جمهورية البندقية لباولو ولكن بدون رئيسا للقضاة أو مجلس العشرة أو يكون هناك رئيسا للقضاة ولكن بلقب آخر بسيط يمكن أن يزوج باسم الشعب الإدريتاكي الصغير، ربما يكون هو نفسه رئيس القضاة، هذا محتمل

بالرغم من تلك السنين التي تشبع فيها بروح الشباب لقد رأى باولو نفسه رئيسا للجمهورية التي خلط فيها كل من القديم والحديث، الماضي والمستقبل لتتصبح روما الجديدة أو الجمهورية الفرنسية أو الولايات المتحدة الأمريكية».

ومن جانبه وفي منتصف هذه النزهة شيد بيدرو قصرا للبرلمان الوطنى وآخر للإمبراطور ورأى في نفسه وزيرا ورئيسا للمجلس، تحدث وقاد الجماهير والرأى العام، وأنت زع التصويت من مجلس النواب أو استعجل مرسوم حل البرلمان هذه التفاصيل بسيطة ولكنها تستحق أن تذكر هنا تطلع بيدرو إلى الحكومة، وفكر خصيصا بمراسيم حل البرلمان، أنه يرى نفسه في البيت مع القانون الموقعوالذى تم الاتفاق عليه من قبل الكونجرس ونُسخ وأرسل إلى الجرائد وغرف المداولات وقرأه الأبناء وقدم في الوزارات، وغادر النواب وهم ناكسو رؤوسهم، يشتكى البعض والباقي غاضبكان هو الوحيد الهادئ في مكتبة يستقبل أصدقائه الذين يقدمون له ولائهم ويطلبون رسائل لولايتهم.

كانت هذه صدمة شاملة لخيال التوءمين، استقبلت النجوم في السماء كل تفكير الولدين، وظل القمر ساكن وامتدت الأمواج بكسلها المعتاد على الشاطئ، لم يعودا إلى الحاضر إلا أمام منزلهم.

هناك حافز أو أكثر يمكن أن يقودها لى يتناقشا حول الجو والمساء، عن درجة الحرارة والخليج، همهمة بسيطة يمكن أن تجعلهما يحركان شفاههما ويبدءا في كسر الصمت، لكن الصمت كان موقرا جدا وكان يستحق الاحترام وقريبا جدا سيجدان أن القمر كان

رائعاً، والخليج جميل ودرجة الحرارة هبة من الله.

الاختلاف في الاتفاق

ولايمكن نسيان ذكر ماحدث في عام ١٨٨٨ بالرغم من الأسباب المختلفة هناك مسألة خطيرة وأكثر جديةوهى ماجعلتهما يتفقان، فالتاريخ يوضح الحقيقة أنه يوم تحرير العبيد كانا في ذلك الوقت يعيشان بعيدا عن بعضهما ولكن هذا الرأى وحدهما.

الاختلاف الوحيد كان حول معنى الإصلاح والذي كان معناه بالنسبة لبيدرو قانون المساواة والعدالة أما بالنسبة لباولو كان معناه بداية الثورة وقالها بنفسه في الخطاب النهائى فى العشرين من مايو، أن أبطال العبودية هو بزوغ فجر الحرية فدعونا ننتظر شروق الشمس، لقد تحرر السود اليوم لكن مازال يجب علينا تحرير البيض».

انعقد لسان ناتيفيداد وعندماقرأت هذا الكلام وأخذت قلمها وكتبت خطابا طويلا متوجا بعاطفة الأمومة ورد عليها باولو بسيل

من تعبيرات الحنين والحنان، معلنا في الختام أن بإمكانه التضحية بكل شيء من أجلها بما في ذلك حياته ومنصبه لكن لا يستطيع أن يغير فكرة «لا يأمى إلا رأى». أخذت تكررها ناتيفيداد بعد أنت هائها من قراءة الخطاب.

لم تفهم ناتيفيداد شعور ابنها فهي من ضحت بأرائها مقابل مبادئها كما في حالة أريس، وأكملت حياتها بدون أن تلوث شخصيتها، كيف إذا لم تضح؟ لم تجد أى تفسير وأخذت تعيد قراءة كل من الخطابين وخشيت أن يفقد وظيفته السياسية إذا كانت السياسة هي ماستجعله رجلا عظيما «لقد تحرر السود اليوم لكن مازال يجب علينا تحرير البيض هذا تهديد لإمبراطور والإمبراطورية».

أنها لم تدرك معنى هذا الكلام كعادة الأمهات فهن دائما لا يدركن الكثير من الأشياء، فهي لم تدرك أن هذه الجملة لم تكن لابنها بالذات إنها لاتنتمى لشخص بعينه يمكن أن يقولها أحدهم في يوم ما في حديثه أو في خطابه أو في مجلة أو في رحلة سواء كانت على البر أو في البحر، يكن أيضا لأحدهم أن يكررها حتى ينسبها الناس إليه، لقد كانت جديدة وحيوية ومعبرة وأصبحت ملكية عامة.

هناك عبارات أخرى ولدت متواضعة مثل الفقراء، وعندما يتبناها شخص واحد على الأقل يمكنها أن تحكم العالم مثل الأفكار، حتى الأفكار نفسها لا تحتفظ دائما بأسماء مؤسسيها، فالعديد منها ولدت يتيمة لم يتبناها أحد، كل واحد أخذ أفكاره من أسلافه وعمل بها مايمكن عمله ثم حملهم إلى ساحة السوق حيث يأخذهم كل من أراد.

وصول في الوقت المناسب

في الساعة الثانية ظهرا في اليوم التالي أخذت الترام إلى ريو دو أوفيدور أنا لا أعلم ماذا ستشترى من هناك وحملت معها العبارة، لم يلفتانتباهها أى شيء ولا حتى منظر الخليج ولا مرور الناس فيه ولا المطبات التي تملأ الشوارع، كانت العبارة تتردد بداخلها بطابعها وبلهجتها التهديدية، وفي كاتيتي قفز شخص إلى داخل السيارة بدون أن تتوقف، يمكنك التخمين أنه كان المستشار، وخمن أيضا أنه عند استقلاله السيارة ورؤية صديقتنا أمامه قد أسرع إليها وجلس بجوارها بعد أن عرضت هي عليه المقعد، وبعد أن تبادلوا التحية لاحظ إنها متوترة وقال لها «بيدو لى أنكى خائفة».

«بطبيعة الحال أنا لم أكن أتصور إنك تستطيع أداء تلك الأعمال البهلوانية الخارقة».

«إنها العادة ساقى يقفزان تلقائيا، يوما ماسيتركانى أسقط واستبدلها بعجلات حتى أجرى أسرع».

«على أية حال فإنك وصلت في الوقت المناسب».

«أنا دائما أصل في الوقت المناسب لقد سمعت ذلك منك أو من أختك مرة منذ عدة سنوات. أنا لم أنسى هذا التحفيز حتى الآن، أظن إنك كنت تتحدثين عن قروى من كاستيلو ألا تتذكرين هذا الرجل المخجل الذي كان يتنبأ للناس بمستقبلهم؟ أنا كنت هناك في إجازة، وسمعت كل أنواع القصص التي تحكيها العجائز، ولأني طالما

صدقت العرافات فقد أمنت بهذا القروى وما يتوقعه».

نظرت ناتيفيداي إليه كما لو إنها خائفة من أن يكون قد اكتشف لقاءاتها معه، ظهر هكذا بالرغم من أنه لم يكن يعرف، فابتسمت ونادته أيها الملحد نفى أريس أنه كان ملحدا بل على العكس أصبح متسامحا فإنه يعترف فعليا بجميع معتقدات العالم وأنهى قائلا: «لكن على كل حال لماذا تقولين أنى قد وصلت في الوقت المناسب».

كلا من الماضى والشخص نفسه بتصرفاته الحكيمة وروحه الهادئة، تلك الصفات جعلتها تجد في ذلك الرجل أمانة لم تجدها في أى شخص آخر أو ربما تجدها في القليل، فحدثته عن مسألة سرية، وهى وثيقة لن تظهرها لزوجها: أنا أريد النصيحة يا سيادة المستشار، لماذا يجب على إزعاج زوجى؟ أنا على أكثر تقدير سوف أخبر أختى برييتو، أعتقد أن من الأفضل ألا أخبر أوجستينهو بشيء».

وافق أريس على ذلك فإن كانت هذه هى القضية فعلينا الانتظار لأن الأمر لا يستحق أن يقلقه.

بدون أن تذكر القروى، أشارت ناتيفيداد أولا أن التنافس بين أبنائها ظهر بالفعل فى السياسة وأشارت بالخصوص إلى باولو وأعادت عليه العبارة وتساءلت ماذا ينبغى عليها أن تفعل؟ فسر أريس هذا أنه يرجع إلى حماس الشباب، ليس الإصرار فلو ألحت هى عليه سوف يغير كلماته ولكن لن يغير شعوره.

«إذن هل تعتقد أن باولو سيظل دائما هكذا؟».

«أنا لم أقل سيظل كذلك للأبد وأيضا لم أعنى العكس ياسيدتى، إنك تريدان إجابة قاطعة ولكن أخبرينى هل يوجد شىء قطعى فى هذا العالم باستثناء لعب زوجك للعبة الورق، حتى هذا لا يدوم».

كم عدد الأيام التى لم أقم فيها بسحب أى كارت؟ هذه حقيقة أنى لم أعرض عليك زيارة فى الآونة الأخيرة، وحقا فإن سرورى من المحادثة كان خير عوض عن لعبة الأوراق، أراهن أنه كان هناك رأى آخر للرجال المتزوجين».

«ربما».

«العزبان فقط يمكنهم تقدير أفكار النساء، الأرملة الذى ليس لديه أطفال مثلى يكون جيد مثل الأعزبان، أنا أكذب، من فى الستين مثلى يكون له اثنين أو ثلاثة، باولو الصغير يشعرك بالقلق بقدر بعدة عنك، فقط لا تفكرى فى خطابة بتفكير آخر أنا أيضا ألقىت خطابات وعندما كنت شابا».

«أنا بصدد أن أزوجهما».

«الزواج شىء جميل» اتفق أريس معها تماما.

«أنا لم أقصد بذلك أن يتزوجا الآن ولكن خلال سنتين أو ثلاثة، ربما لابد أن أخذهم فى رحلة أولا، ماذا تعتقد؟ أرجوك لا تجاوبنى بتكرار ماقلت أريد رأيك الخاص، هل تعتقد أن الرحلة ستفى بالغرض؟».

«أفكر فى رحلة».

«هل انتهيته؟».

«الرحلة ستفعل الكثير، خصوصا في مثل عمرهم فهم سيتخرجون في نهاية هذا العام أليس كذلك؟ حسنا! قبل أن يبدأوا العمل في أى وظيفة تزوجوا أولا، ومن الأفضل أن تسافروا إلى دولة أخرى، ولكن ما الضرورة في أن تذهبي معهم؟».

«الأمهات».

«لكن أنا أيضا_ أنا آسف على مقاطعتك _ ولكنى أنا أيضا ابنك هل تعتقدى أن عادة الرفقاء ووجهك البشوش ورحمتك وحنانك وكل التجاعيد الرمادية التى تزين وجهك لا تعوضنى إحساس الأمومة؟ أنا أعترف أنى سأصبح يتيما».

حسنا فلتأتى معنا.

«ياة يا أيتها البارونة بالنسبة لى لايوجد فى هذا العالم مايساوى تذكرة السفينة لقد رأيت كل شىء بمختلف اللغات، أما الآن فإن العالم يبدأ بالنسبة لى على أرصفة جلوريا أو ريو دو أوفيدور وينتهى على أعتاب مقبرة ساو جاو باتيستا، وقد سمعت عن مخاوف البحار خلف بونتو دو كاجو، ولكنى رجل عجوز ملحد كما قلتى سابقا ولا أقتنع بمثل هذه الحكايات بدون رؤية واقعية مؤكدة وأنا أسعى إلى ذلك ولكنى افتقر إلى الطاقة فى ساقاى».

«دائما مهرج ألم أرك للتو تقفز بهما، وأخبرتني أختك أن لديك رشاقة شاب فى الثلاثين من عمره».

«ريتا أختى تبالغ فلنعد إلى الرحلة؟ هل اشتريت التذاكر؟».

«لا».

«ولا حتى حجزتها».

«كلا».

«إذن دعينا نفكر فى شىء آخر، فكل وقت وله أعبائه، دعونا نفكر فى شىء آخر ونترك باولو ينادى للجمهورية».

أخذت ناتبيداد تفكر أنه ربما كان على صواب وبعدها أخذت تفكر فى شىء آخر إنها كانت فكرتها فى البداية أو كانت ناتجة من أفكاره أو إشاراته أو كلماته، لتكن متأكدة، ولم تذكر هذا فى الحال ولكن فضلت أن تتحدث لبعض الدقائق، فهو ليس بالأمر الصعب أن تتحدث مع هذا الصديق والذى كان عنده القدرة على الحديث مع النساء بدون أن يقع فى التفاهات أو يرتفع إلى عنان السماء كانت هذه إحدى صفاته وكانت له طريقته الخاصة، الأمر ليس أن تذكر شخصا مابسوء، فى الواقع هذا من شأنه أن يكون تشتيتا، وبصفة مؤقتة دعونا نطلق عليه إحسانا».

«ولكنك سيدتى لازلت لم تخبرينى ماذا تريد منى بالإضافة للنصيحة، ألا تحتاجين شيئا آخر؟».

«ولكنه صعب على أن أطلب».

«ولكنك دائما ماتطلبين».

«أنت تعلم أن توءمى لا يتفقان على شيء أو ربما على القليل، وحاولت مرارا أن أوفق بينهما وأوجد بينهما التوافق ولكن أجوستنيو لا يساعدنى فله اهتمامات أخرى ولقد خارت قواى ولذلك أخذت أفكر فى صديق يكون رجلا معتدلا، رجل مجتمع، عظيم، صالح، حكيم، متعلم».

«باختصار، أنا».

«أنت تخمن؟».

«أنا لا أخمن ولكنك تصفينى تماما ولكن ماذا على أن أفعل؟».

بإمكانك أن تصلح تصرفاتهم وأن تجعلهم متحدين حتى وأن اختلفت آرائهم، وأنلاتركهم يختلفون أبدا أو على الأقل تقلل من اختلافهما حتى يتلاشى، أنتلا تستطيع أن تتخيل، يبدو وكأنها يفعلان ذلك عن قصد، على سبيل المثال إنها لم يختلفا على لون القمر ولكن حينما اكتشف بيدرو أن الظل الذى كان على القمر كان سحابا، قال باولو إن هذا ناتج عن ضعف البصر لدينا وتشاجرا، واضطريت أن أفصل بينهما، تخيل إذن ماذا سيحدث فى السياسة».

«وتخيلى ماذا سيحدث فى الحب ولكنى أرى أن هذا ليس كل القضية».

«آه، نعم».

«هذا عند الآخرين عديم النفع ولا يساوى شيئا، ولكنى خلقت

لأخدم حتى مالا نفع فيه، ولكن ياسيدتي طلبك هذا يجعلني أبدو كمدرس خاص أو مربية أطفال لاداعي لهذه الإيماءات فهذا لا يقلقلني بشرط أن تدفعي لى راتباً، لا تخافى سأطلب القليل من الكلمات، فكلماتك مثل الذهب، ولقد سبق لى أن أخبرتك أن كل أعمالى عديمة الفائدة».

«لماذا».

«إنها عديمة الفائدة».

«شخص فى السلطة مثلك يمكن أن يقوم بالكثير بشرط أن يحبهم فهم جيدون صدقنى، هل تعرفهم؟».

«بالكاد أعرفهم».

«حاول أن تتعرف عليهم وسترى».

وافق أريس وهو يضحك أما بالنسبة لنتايفيداد فإن الأمر يستحق المحاولة فهى تثق فى فعل المستشار وتقولها للجميع لا أعلم إذا كان ينبغى على، سوف أفعل.

لن يسلب الشعر الأبيض رغبته فى خدمتها أنا لا أعلم من يقرألى فى هذه الفقرة إذا كان رجلاً فرمياً لن يفهمنى أما أن كانت أنثى فاعتقد إنها ستفهمنى وأن لم يفهمنى أحد فليست مشكلة، يكفى أن تعلم أنه وعدها بأنه سيفعل كل ماتريد وأيضا أن لا يقول كلمة لأحد عن هذا الموضوع كان هذا هو الشرط الآخر التى شرطته

عليه كل هذا كان مهذباً ومخلصاً ولا يصدق.

الصلص

بعد وصولهم إلى لارجو دو كاريوكا ونزولهما من الترام وودع كل منهما الآخر ذهبت إلى جونسلفيس دياس وانطلق هو إلى ريو دي كاريوكا، في منتصف الطريق أسفل الشارع وجد أريس جماعة من الناس واقفون ثم توجهوا ناحية الميدان، حينها أراد أريس أن يغير طريقة ليس من الخوف ولكن من الرعب، فلقد كان مرعوبا من الحشد، ورأى أنه لم يكن الجمع غفيرا بل كانوا خمسين أو ستين وسمعهم يصرخون منددين باعتقال رجل، دخل أريس أحد الأزقة وأنت ظر حتى يمر الحشد ورأى رجلين من رجال الشرطة وقد أمسكا بالسجين من ذراعية وكان يقاوم من حين لآخر حينها كان من الضروري أن يجروه أو يجبروه بطريقة أخرى، يبدو أنه كان نشالا».

كان السجين يبطئ خطواته ويصرخ بأعلى صوته: «أنا لم أسرق شيئا، أنا برىء، هذه تهمة ملفقة، اتركوني، أنا مواطن حر، أنا أحتج، أحتج».

«ستذهب إلى القسم».

«لا لن أذهب».

أخذ الجمع المجهول يصرخ «لا تذهب»، «لا تذهب»، «لا تذهب».

حاول أحد رجال الشرطة أن يقنع الحشد بأن هذا حقيقي وهذا المقبوض عليه قد سرق محفظة بالفعل، حينها قلت الاضطرابات قليلا، وأخذ الشرطيان المقبوض عليه بين ذراعيهما وسارا، واستأنف الحشد احتجاجه ضد العنف، كان السجين يبدو شجاعا وأحيانا

يتباكى وأحيانا يبدو شرساً، كل هذا جعل الحارس يخرج سيفه ليفسح طريقاً مما أدى إلى هروب الناس ليس برشاقة طائر أو حمامة تبحث عن طعامها أو عن عشها وإنما بفرار جماعى وبالقفز هنا وهناك وبالمدافع فى جميع الاتجاهات، فأرجع السيف إلى غمده وسار المقبوض عليه مع الشرطيين، ولكن سرعان ما سيطرت العاطفة على أرجل الجماهير وأيضاً اللغظ المهين اللافت للنظر الذى يملأ الشارع ويملا نفسية المقبوض عليه، أدى كل هذا إلى التجمع مرة أخرى حيث شكلوا كتلة واحدة متراصة واتجهوا جميعاً نحو مركز الشرطة.

أكمل أريس طريقه.

هدأت الأصوات إلى حد ما دخل أريس مكتب وزير الإمبراطورية، على ما يبدو أنه لم يجد الوزير أو كانت المقابلة قصيرة جداً، من المؤكد أنه سيخرج إلى الميدان حيث التقى بمجموعة صغيرة من الحشد العائد من المحطة، كانوا يعلقون على الاعتقال واللص لم يطلقوا عليه لصاً وإنما قالوا محتمل معتقدين إنها أقل بذاءة وبقدرة صراخهم واحتجاجهم اعتراضاً على الشرطة تعالت ضحكاتهم على سوء حظ المقبوض عليه «يالاه من ساذج مسكين».

لكن وماذا بعد؟ أريس لم يسأل، وبعد كل هذا كانت هناك شيئاً من العدالة فى هذا المظهر المزدوج والمتناقض كانت تلك أفكاره، ثم تخيل أن صيحات الحشد المحتج كانت نتيجة لرغبة قديمة فى مقاومة السلطة، وتذكر الإنسان وكيف عصى خالقة بمجرد خلقه مع أن خالقة قد منحة الجنة، فلا توجد جنة تساوى متعة

المعارضة، ينبغي للإنسان أن يعتاد على القوانين كما أنه لابد من أن ينحنى أمام القوة وأهواء الآخرين، وهذا ما يحدث أيضا للنبات وعندما يواجه العاصفة، أما بالنسبة للإنسان عليه أن يقدر القوة وطاعة القوانين دائما وأبدا، ودائما من أجل أنت هك غريزة فطرية من أجل الحرية، حرية آدم، كان هذا ما يفكر فيه المستشار أريس حينما كان يمشى.

لاتنسب كل هذه الأفكار إليه إنه فكر بهذه الطريقة كما لو أنه يتحدث على طاولة أو في صالون شخص ما، كان هذا نقدا لطيفا ورقيقا للمجتمع لكن في ظاهرة ملى بالإدانة أما المستمع الباحث عن الأفكار فقد يحصل من هنا على فكرة أو فكرتين.

أنه كان ذاهبا رأسا إلى ريو ديسيت سيبتيمبرو وعندما أنعش زئير الحشد ذكرياته إلى ماهو أكبر وأوسع.

ذكريات

هذا التحرك الأكبر والأكثر ضجيجا ليس له مكان هنا، إذا لم يكن لضرورة شرح هذه اللفتة المفاجئة التي أوقفت أريس على الرصيف، توقف ثم عاد إلى نفسه وأكمل طريقة ناظرا إلى الأرض ولكن عقلة في كراكاس، حيث كان قد شغل منصب الملحق للبعثة الدبلوماسية كان في منزله محتفى بالممثلة الأنيقة والشخص النشيط المضحك، وفجأة سمعوا ضجيجا صاخبا وأصواتا متحمسة ورنانة أخذت تتزايد وتتزايد.

تساءل بين المداعبات: «ماهذه الضوضاء يا كارمن؟».

«لاتخف يا صديقى إنه سقوط الحكومة».

«لكنى أسمع هتافات».

ومن ثم ستصعد الحكومة لاتخف غدا سيكفى لتقديم العزاء.

ترك أريس لنفسه العنان كي يبحر في نهر ذكرياته والتي انبعثت الآن من خلال ضجيج خمسين أوستينن فرد، هذا النوع من الذكريات له تأثيرا أكبر من غيره، أنه استعاد الزمان والمكان وشخص في سيلفينيا، كانت كارمن من أشبيلية، لايزال ذلك الشاب السابق يذكر تلك الأغنية الشعبية التي غنتها في الوداع، بعد أن ثبتت مشبك الجوارب ورتبت جيبتها ووضعت المشط في شعرها في تلك الأثناء ألقت طرحتها على كتفها وأخذت تميل جسدها برشاقة «نساء اشبيلية يحملن في طرحاتهن علامة تقول تحيا أشبيلية».

لا يمكنني إعطاءك النغمة ولكن أريس لا يزال يحفظها ويردها مع نفسه بهدوء كلما مشى، في بعض الأحيان يعتقد أنه يفتقر للمهنية الدبلوماسية، فإن قيام حكومة جديدة، أيا كان النظام، بأفكارها الجديدة ورجالها وقوانينها والتصريحات كل هذا لايساوى عنده ابتسامة تلك الممثلة الشابة، أين هي الآن؟ لقد اجتاح ظل تلك الشابة كل شيء آخر في طريقة والشارع والناس والمقبوض عليه لكي تقف بمفردها أمام أريس العجوز تميل جانبيها وتراقص على النغم الأندلسي «نساء أشبيلية يحملن في طرحاتهن».

حادثة الحمار

إذا تبع أريس رغباته فلن يكمل طريقة ولن أبدا هذا الفصل وسنظل

في الذكريات التي لا تنتهي أبداً، لكن إذا كان هناك أحداث عظيمة استرعتانتبأهنا فلن تستمر في ذكرياتك، فمجرد حمار بسيط جعل كارمن وذكراها الجميلة تختفي، في هذه الحالة كانت العربة عالقة فأغلقت مدخل المعبر لسان فرانسيسكو مما أدى إلى عدم مرور أى سيارة، كان السائق يضرب الحمار على رأسه، استوقف أريس هذا المشهد ولكن لم ينشغل بالحمار أكثر من الرجل، فلقد كانت القوة التي استنفذها هذا الأخير كبيرة جداً وذلك لأن الحمار انتهك بشأن قدرته على مغادرة هذا المكان أم لا ولكن بالرغم من إثبات القوة ألا أنه أخذ يضرب بقوة أكبر، كان العديد من المارة قد توقف للمشاهدة الموقف الذي استمر لخمسة أو ستة دقائق، وفي النهاية فضل الحمار أن يتحرك بدلا من أن يضرب وسحب العربة بعيدا عن الطريق ورحل».

رأى أريس في عيون الحمار المستديرة تعبيراً عن السخرية العميقة والصبر القوي، وبدا له في هذا الوجه البسيط روح لاتقهر ثم رأى هذه المناجاة فيهما». اسمع يا سيدى، أنتتحمل هذه العربة بالبضائع حتى تجلب لى التبن الذى تغذيني به، وتمشى على الأرض لتشتري لى خفا لحوافرى، ولكن هذا لايمنعنى أن أسبك ولكنى لا أفعل أنتدأما سيدى العزيز، حينما تكسر ظهرك لى تكسب معيشتك أرى أن تلك السيطرة على لا تكافئ ماتفعل، حيث لا تستطيع أن تجردنى من حريتى حتى لا أكون عنيدا».

«حسنا إنه بإمكانك سماع حتى تفكير الحيوانات». هكذا لاحظ نفسه.

وبعدها ضحك أريس وأكمل طريقه، لقد عوض العديد من الأشياء
فالسلك الدبلوماسى والتى يمكن أن جمعها مناجاة الحمار، هكذا
كانت أنه لم يقرأ فى أعين الحمار غير الصبر والسخرية، ولكنه
يستطيع أن يمتنع عن تقديم نموذجاً لكيفية التعبير بالكلمات على
حسب قواعد علم تركيب الكلمات، ربما كانت المشكلة فيه عينيه
هو حيث إن عين الإنسان ترى صورة مالا يرى تماماً مثل الأذن تسمع
صدى الصمت، كل هذا يتطلب من صاحبة أن يكون له وميض من
الخيال لى يساعد على نسيان كاراكاس وكارمن وقبالتها وخبرتها
السياسية.

افتراض

استهلكت الذكريات والتخيلات وقت المستشار و فراغهددرجة أنه
نسى طلب ناتيفيداد، لكنت لم ينسأه تماماً فالحوار الذيداربينهما
لازالت كلماته تنهاوى إليه من كل مكان حتى من الحصى الموجود
فى الشارع، ورأى أنه لن يخسر شيئاً بتأمل هداين الشابين، بل أنه
فرض افتراضاً لو أن نوعاً من الطيور يطير بين الأشجار وينقض نحو
الأرض ثم يطير ثانية نحو السماء ويهبط هنا ويهبط هناك ثم
يطير مرة ثانية ويتشتت فى سلسلة من الحركات، الافتراضات الملونة

والغامضة كانت أنه لو كان هذان التوءمان ابناه كانا بفضل توازن شخصيته نادرا ما يختلفان، بدأت روح هذا العجوز تنبت براعم أعلم إنها ليست لرغبات تتعلق بالماضى ويعيد النظر في الافتراضات وكركاس أخرى وكارمن أخرى وأنه والد لهاذين الشابين.

الخطاب

لم يكن لنتايفيداد أى انحراف من أى نوع كان كل أحساسها منصب
علما بنيتها وخصوصا الآن فى الرسالة والأحاديث، وبناء على نصيحة
المستشار لم تعد ترد على الانفجار السياسى لباولو، وعندما رجع
كان قد نسى الخطاب الذى كتبه، ولكنه لم ينس الحديث فمن

يستطيع أن ينسى أحاديثه؟ لأنها إن كانت جيدة نقشتها الذاكرة في لوح من البرونز، وأن كانت سيئة تتركطعما مريرا يدوم لمدة طويلة أفضل علاج للحالة السابقة هي أن تفترض إنها ممتازة، وأن كان العقل لا يقبل هذا التخيل فقط استشير من يقبله من الناس وصدقهم، فالرأى زيت قديم غير قابل للفساد، باولو إنسان موهوب الآن خطاب ذلك اليوم كان له أخطاء تخص هذا التركيز أو ذلك التأكيد وتخص هذه الأفكار البذيئة والمبتذلة لكن باولو كان بالفعل موهوبا باختصار كان الخطاب جيد واعتقد سانتوس أنه ممتاز فقرأه على أصدقائه وعزم على نشرة في الجرائد لم تعارضه ناتيفيداد ولكنها اقترحت أن بعض الكلمات ينبغي أن تحذف».

«تحذف! لماذا؟»، سألتها سانتوس وانتظر الإجابة.

قالت شارحة له: «حسنا ألا ترى يا أوغستينيو؟ أن هذه الكلمات تدعو إلى النظام الجمهورى». وأعدت قراءة تلك الجملة التي أربكتها.

سمع سانتوس قراءتها ثم قرأها هو بنفسه ووجدها محقة ولكن لاينبغي أن تحذف من أجل هذا السبب.

«حسنا إذن لا ينبغي أن يطبع هذا الخطاب».

لا أن ذلك الخطاب رائع ولا ينبغي أن يقتل هنا في ساو باولو لابد أن تقرأه المحكمة والمحافظات أيضا بل أننى أفكر في ترجمته إلى

الفرنسية، أنه سيكون أفضل باللغة الفرنسية.

لكن ياسانتوس ربما يكون هذا ضارا للحياة المهنية للولد ربما كرة الإمبراطور ذلك كان يبدو يستمع للحوار منذ بضع دقائق فتدخل بلطف قائلا إن مخاوف أمه ليس لها أساس ومن الأفضل أن تتركه كما هو، وعلى وجه التدقيق فهو لا يختلف كثيرا عما قد قاله الليبراليين عام ١٨٤٨.

يمكن أن يوقع الليبرالي ملكي عليها هكذا لخص بعد أن أعاد قراءة كلمات أخيه.

وافقها بوجه قائلا: «بالضبط».

تشككت ناتيفيداد في أن يكون قصد بيدرو تصفية حساباته مع باولو وهي التي رأت الخلاف بينهما في كل شيء وأخذت تنظر إليه فرمما استطاعت أن تستشف تلك الأهداف الملتوية، قرأ بيدرو فقرة الحديث وأخذ يعيد الجمل الجديدة ويشيد بها ويديرهم في فمه كل هذا بروح معنوية عالية وهو ما جعل ناتيفيداد تنسى شكوكها وهكذا قد تم حل مشكلة إعادة طباعة الحديث، كان لديهم نسخة مطبوعة أما الوالد فقد طبع ستة نسخ فاخرة من الجلد ليوزعها على الوزراء ونسخة إضافية بجودة أعلى ليقدمها للأميرة الوصية على العرش.

نصحته ناتيفيداد قائلة: «أخبرها أن ولدنا باولو ليبرالي متحمس».

أكمل سانتوس الكلام وهو يتذكر كلمات بيدرو: «نعم من ليبرالين ١٨٤٨».

امتثل سانتوس للرسالة وتم تسليم النسخة بشكل طبيعي وفي قصر الأميرة إليزابيث، ليبرالين ١٨٤٨». كانت هذه الكلمة تقال بروح عالية مرتفعة لا يضاهاها فيها أى كلمة أخرى، أما لأنها تقلل الروح الثورية في العبارة التي أنت قدها زوجته أو لأنها كانت تحمل قيمة تاريخية.

كان أول شيء أخبرها به وعندما عاد إلى البيت أن الأميرة قد سألت عنها وبالرغم من أن هذا الاهتمام قد أرضى غرورها ألا أن ناتيفيداد أرادت أن تعرف ماهو الانطباع الذى سببه هذا الخطاب وهل قرأته الأميرة بالفعل أم لا.

«لقد أخبرتى إنها قد قرأت الخطاب بالفعل وقالت إنه يبدو جيدا ولم أخطئ حين قلت إن نوايا باولو كانت سليمة إذا وجدنا فى كلماته بعض الحماس فإنها تشبه ليبرالية ١٨٤٨».

سألة بيدرو: «هل قلت هذا يا أبى؟».

«ولم لا إذا كان هذا هو الحقيقة؟ باولو هو مايمكننا أن نسميه ليبرالى ١٨٤٨». أخذ سانتوس يكررها حتى يقنع ابنه.

السالمون

عندما عاد إلى البيت لقضاء إجازته اكتشف باولو الأسباب التي دفعت والدة ليعطى الأميرة هذا الجزء من خطابه، واعترض على هذا في المنزل فقد كان يريد أن يجعله عاما، ولكن ناتيفيداد تدخلت في الوقت المناسب، قال أريس بهدوء لمحامي المستقبل. هذا الأمر لا يستحق كل هذا أيها الشاب ينبغي على كل شخص أن يكون له أفكاره الخاصة ويقاوم من أجلها حتى ينتصر، إذن لو أساء البعض فهم كلماتك لا ينبغي لك ككاتب أن تنزعج.

انزعج، نعم سيدي، هل يبدو أن هذه هي القضية سوف أكتب مقالا عن أي شيء آخر، ولن أترك أي شك.

سأله أريس «لماذا؟».

«لا أريدهم أن يتوهموا أي شيء».

لكن من ذا الذي يشكك في نواياك؟

هم من يشكك في نواياي

تعالى على أية حال لا بد أن تتناول الغذاء معى قريبا مارأيك في يوم الأحد تعالى أنتوأخيك بيدرو لتتناول الغذاء معا سيكون غذاء للعزاب ونشرب بعض النبيذ الذى أعطانى آياه السفير الألماني».

وفي يوم الأحد ذهب الولدان إلى كاتيتي ليس للطعام ولكن من أجل المضيف، كان أريس محبوبا من كلا الولدين كانا يحبان أن يستمعا له وي طرحوا عليه الأسئلة ويطلبنا منه أن يروى لهم النوادر السياسية القديمة وأخبار المجتمع ويعلمهما الرقصات».

عندما أتيا قابلهما المستشار بالترحاب قائلا مرحبا بالشابين، مرحبا بأصدقائي الشباب اللذين لم ينسيا صديقهما العجوز، كيف حال والدكما ووالدتكما؟

أجاب بيدرو: «أنهما بخير» وأضاف باولو أنهما يبعثان بتحياتهما. وكيف حال العممة بيتيو.

قال باولو: «هي أيضا بخير».

وأضاف بيدرو: «لا زالت تمارس المعالَجَة المثلِّيَّة وتحكى قصصا عن باراجواي».

كان بيدرو في حالة معنوية مرتفعة بينما كان باولو مشغولا، بعدما تبادلوا التحيات والأخبار مع أريس لاحظ اختلافا بينهما كان شيئا جيدا لأنه سيتخلص من الرتبة الناتجة عن تشابههما، ومن جانب آخر لا يريد وجوها عابسة، فسأل طالب القانون: «ما المشكلة».

«لا شيء».

«لا يمكن إنك تبدو تعيسا، حسناً، لقد استيقظت في مزاج يميل

للضحك وأريد منكما أن تشاركاى الضحك.

تبرم باولو بكلمة لم يفهمها أحد منهم وأخرج حزمة أوراق من جيبه، كانت مقالا.

«مقالا؟».

مقالا كتبته أمس وأزلت فيه كل الشكوك التى تتعلق بأرائى وأطلب منك أن تستمع إليها.

اقتراح أريس أن يؤجلا سماع تلك المقال إلى مابعد الغذاء ألا أن الشاب طلب منها أن يستمع لها الآن، ووافق بيدرو على هذا الاقتراح، زاعما أن بعد الغذاء يمكن أن تفسد الهضم مثل الحبوب المريرة والتى يجب أن تكون طبيعية، امثلى أريس لإصرارهم ووافق على سماع المقال».

إنها قصيرة عبارة عن سبع صفحات.

بخط صغير؟

لا ياسيدى الخط متوسط.

قرأ باولو المقال، كانتلك الكلمات ماخوذة من سفر عاموس «اسمعى هذاالقوليابقراتباشانالتى فى جبلالسامرة».أوضح باولو أن البقر السمين هنا كان يقصد به رجال النظام فهو لم يهاجم الإمبراطور احتراماً لأمة ولكنه كان حاداً وعنيفاً مع مبدأ الملكية وباقى المنظومة، رأى أريس فى باولوما كان يطلق عليه فى ذلك

الوقت طعم الكفاح.

عندما أنهى باولو قال بيدرو بمزيد من الملل: «لقد سمعت هذا الكلام قبل ذلك إنها أفكار باوليستا».

فأجاب باولو وأنتأفكارك أفكار استعمارية.

كان سيتطور النقاش ولكن لحسن الحظ جاء الخادم ليخبرهم أنه قد أعد الغذاء.

نهض أريس وقال إنه سيطلعهم على رأيه ولكن على طاولة الغذاء: «الغذاء أولا، لأننا سنتغذى على سالمون بطريقة مخصوصة دعونا نستمتع به».

أراد أريس أن يفى بوعدته لناتيفيداد فمن يعرف إن كانت فكرة أن يكون أبا روحيا للصبيين أن لا تعطيه تلك الميزة إحساسا خاصا أعلى من كونه مجرد صديق؟ وغير وارد بالمرّة أن يكون مجرد باحث عن مادة جديدة ملء الصفحات الفارغة في مذكراته.

استمرو في الحديث عن المقال أثناء الغذاء ظل بيدرو يتحدث بإعجاب وباولو بازدرء ولم ينحاز أريس للشعور الأول أو الأخير، لقد أخذ أريس ما يريد من هذا الغذاء، فلقد درس الصبيين وآرائهما، ربما لم تكن تلك المقابلة أكثر من طفح وخزة على بشرة الشابين فلقد سعد هو شخصا من هذه المقابلة فلقد جعلهما يأكلان ويشربان ويتحدثان عن الشابات ولكن الشابين هنا المتسمين بالاحترام صعب أن تفهمهما فهما ليسا برفقة الوزير السابق، بدأ

يتناقض الحديث عن السياسة، بكل صراحة مازال باولو يرى في نفسه القدرة على الإطاحة بالنظام الملكي بعشرة رجال فقط، بينما يرى بيدرو أنه لابد من إصدار قرار يدعو إلى استئصال شأفة تلك الخلية التي تدعو إلى الجمهورية».

ولكن الوزير السابق قد وحد النظامين الجمهورى والملكى بطبق من السالمون اللذيذ، حيث استبدل القرارات بالطاجن واستبدل الجيش بطباخة».

غنى ياربة الشعر

عندما انتهوا من تناول الغذاء أعطى أريس لكل منهما نسخة من ملحمة هوميروس قائلًا لهم إن هذا الشاعر العظيم قد تحدث عن كلٍ منهما على حدة، حيث تحدث عن باولو في بداية ملحمة الإلياذة:

غنى ياربة الشعر غضبة آخيل، أبنيليوس، وعواقبها، التي
عادت بالآلاف لويلات على الأخوين،

وأودت بجموع غفيرة من أرواح الأبطال الباسلة إلى هيدز،

وجعلت أجسادهم ولائم شهية للكلاب والطيور .»

وذكر بيدرو في مقدمة الأوديسة :

غنى ياربة الشعر عن هذا البطل المخضرم الذى هام لسنوات عديدة بعد سقوط طروادة المقدسة اليوم».

كانت هذه هى الطريقة الوحيدة لتحديد شخصية كل منهما بدون أن يفهم هذه الأبيات الشعرية فهما خاطئا، بل على العكس كان هذا الاقتباس الشعرى بمثابة شهادة تخرّج خاصة لكل منهما، ما حدث حقيقة هو أن ابتسم كل من الصبيين برضا وشكر بلا أى اعتراض على أى كلمة أو حتى مجرد مقطع صغير كان من شأنه التعارض مع مناسبة الأبيات الشعرية، أعاد المستشار عليهم هذه المقطوعة بلغتها اليونانية الأصلية بعد أن أعطاهم إياها نثرا بلغتهم ماجعل التوءمين أن يريا أنفسهما فى تلك الملحمة هذا بالرغم من أن الترجمة ليست بجودة اللغة الأصلية، وكان كل مافعله التوءمان هو أن يكدر كل منهما ماقالة المستشار لأخيه.

قال باولو: «أنت محق أيها المستشار بيدرو فعلا تمام».

«وأنت أهوج».

باليونانية أيها الشباب قولوها على شكل أبيات شعرية باللغة اليونانية فهى أفضل من النثر بلغتنا فى هذا العصر».

بين المشاهد

تكررت مثل هذه العزومات على الغذاء ومرت الشهور وجاءت فترة الإجازة وانقضت واستطاع أريس أن يؤثر في الشابين بشكل جيد، فقد كتبهما في مذكراته، حيث من يقرأ عن الاستشارة مع الهادئ العجوز وما قاله عن الثنائى وعن زيارته للفلاح البازيلي علتل كاستلو والشجار الذى حدث قبل ميلادهما، تلك القصة التى يتذكرها قديمة مخفية، متصلة ومفهومة».

كما تمر السنين وتدعى إنك فى المسرح تتحدث بين المشاهد، وفى الداخل يغيرو ديكورات المسرح ويبدل الممثلين ملابسهم، لا تذهب خلف الكواليس، وأن تدع البطلة مع صديقاتها فى غرفة تغير الملابس يضحكن على بكائها فوق خشبة المسرح، أما بانسبة للحديقة التى يصنعونها فلا تنظر إليها من الخلف إنها إلى حد ما قديمة وقماشها غير مطلى لأن اوراقه وزهورة هو الجزء المرئى للمشاهد فقط وأن تسمح لنفسك أن تبقى فى الشرفة الخاصة بتلك السيدة، وأن

تفحص عيونها التي لازالت تتساقط منها الدموع على وجة البطلة. وأن تتحدث معها حول المسرحية وأنها غامضة أو الممثلون وأنهم لا يعرفون أدوارهم بشكل جيد أو حتى لتخبرها أن كل شيء على مايرام، وبعدها تتفقد الشرف الأخرى بمنظار المسرح وتنصفهم بأن تقول لمن كانت جميلة بأنها جميلة، وكذلك الدميمة بأنها دميمة، وإياك أن تنسى أن تحكى النوادر التي من شأنها أن تشوه كل ما هو جميل، وأن تسرد المناقب التي من شأنها أن تزين كل ما هو دميم، ولكن لابد لهذه النوادر أن تكون مسلية ولابد لهذه المناقب أن تكون عظيمة، حتى التفاهات فإن الراوى الجيد يستطيع أن يجعلها من النوادر الطريفة والشيقة، حينها سترى كيف تجف الدموع سريعا وكيف تحل الحقيقة محل الخرافات، أنا أتحدث بالصور أن كل شيء هنا محض حقيقة بالإضافة أنه خالى بلا دموع كما تعلمون.

متى إصحاح 4 - 1- 10

إذا كان هناك الكثير من النشوى وعندما يتقلد المرء منسبا ما فإن هناك العديد من الدموع في جانب من يترك هذا المنصب، هذا ما يحمله اليوم الأول في العمل من السعادة والحزن كما في سفر التكوين، إذن فلننتقل إلى الإنجيل الذي أستخدم اسمه عنوانا لهذا الفصل، اقترّب الليبراليون من السلطة التي اضطر المحافظون إلى التخلي عنها، فليست مبالغة أن أقول أن خيبة أمل باتيستا كانت عظيمة.

قال باتيستا لزوجته: "الآن فقط وعندما أوشك المل أن يتحقق".

ردت زوجته «ما هو الذي أوشك أن يتحقق؟».

«حسنا، ماهو؟». إنه منصب الحاكم! أنا لم أقل شيئا لأنى توقعت فشل الحكومة ألا أن هذا الأمر بات بعيد المنال، لقد أجريت العديد من المقابلات ليس مع الوزراء ولكن مع أشخاص بارزين ممن بيدهم القرار وكانت مجرد مسألة وقت لمدة شهر أو شهرين على الأكثر».

حاكم عادل.

نعم.

لو عملت بجد.

لو عملت بجدٍ لاحتفظت بمنصبى، لكن علينا الآن الرجوع إلى ديارنا يوم الأربعاء ونحن نجر ذيول الحسرة والندم.

وافقته السيدة كلوديا قائلة: "هذه هى الحقيقة".

وضع باتيستا يديه خلف ظهره وأخذ يتمشى ووجهه للأسفل وتنهى لأنه لا يمكنه توقع كم من الوقت سيستغرقه المحافظون كي يعودوا إلى السلطة، فالليبراليون يتمتعون بالقوة والحزم كانت نفس الأفكار تتراقص فى مخيلة السيدة كلوديا، أنهما لم يكونا زوجا له نفس الإرادة فقط بل كانت أفكارهما أحيانا تتشابه لدرجة أن هذه الأفكار لو خرجت على شكل أشياء مادية ما استطاع أحد أن يحدد أفكارها من أفكاره، بل ستبدو هذه الأفكار كما لو خرجت من نفس العقل، فى تلك الأثناء لم يكن لديهما أى أمل بل كانت مجرد أفكار غامضة وكانت إرادة السيدة كلوديا مازالت ثابتة ثم زادت، أنا لا أتحدث هنا عن المعنى المجازى، فلقد قامت السيدة كلوديا من على مقعدها لتطرح هذا السؤال على زوجها "ولكن ما الذى كنت تتوقع من المحافظين أكثر من ذلك؟".

توقف باتيستا وجاوب ببساطة وهو ينظر بوقار "أمل أن يعودوا".

يعودوا انتظر إذا ثمان أو عشر سنين إلى أن تنتهى الدولة حينها فقط ستعلم ما إذا كان سيتم تعيينك ومن سيتذكرك؟

يمكننى قراءة الجريدة.

انسى الجريدة، وماذا لو مت؟

سأموت شريفا.

نظرت كلوديا إلى وجهه وفجأة جحظت عينيها وهى تنظر إليه، رفعت ذراعيها وفتحت يديها وقالت ”باتيستا أنتلم تكن يوما من المحافظين“.

تراجع زوجها وصار لونه شاحبا لقد فهم إنها تريده أن يتنصل من حزيه، هل لم يكن يوما من المحافظين؟ إذن فمن يكون؟ ماذا تبقى له في هذا العالم؟ وما قد كسبه من احترام رؤسائه؟ هذا بمثابة القشة الخيرة، لم تلتفت كلوديا إلى احتجاجاته وكررت ما قالت وأضافت بل أنتمعهم حيث إنه ليس من الضروري أن يتشارك الراقصون في نفس الأفكار وهم يرقصون الرقصة الرباعية.

بسرعة ابتسم باتيستا ابتسامة خفيفة فهو يحب أن يظهر بصورة البارع وهذه الفكرة ستظهره فعلا في غايه البراعة ولكن شهرته جعلته يتوقع طعنا سريعا.

”نعم ولكن الناس يرقصون بأقدامهم وليس بأفكارهم“.

«ليس مهما كيف يرقصون ولكن المهم أن كل أفكارك كانت في المعسكر الليبرالى وتذكر أن معارضيك لطالما اتهموك بمساندة الليبراليين“.

هذا ليس صحيحا فالحكومة طلبت منى أن أكون محايدا“، بإمكانى

أن أعرض لك تلك الخطابات“.

”كيف تكون محايد؟ إنك ليبرالى“.

أنا ليبرالى!؟؟؟

ليبرالى لحما ودما أنتلم تكن أى شىء آخر.

فكرى فى ماتقولى يا كلوديا إذا سمعك أحد ربما صدقك ومن ثم سينشرها.

وما الضير إذا مافعل، أنهم سينشروا الحقيقة والإنصاف وبما إنك صديق حقيقى فإنهم لن يتركوك فى الشارع، أهم شىء الآن هو أن تكون منظما، أن لديك أصدقاء شخصيين فى الوزارة لماذا لا تستعين بهم.

تراجع باتيستا بشرف فالذهاب إليهم وإخبارهم أنه كان يعمل لخدمتهم شىء ثقيل على النفس تفهمت السيدة كلوديا أسبابه فى أن لا يفعل ولكن ربما يفعلها لك صديق، صديق مقرب داخل الحكومة يقول لهم ماأتى«لماذا لا تدعوا باتيستا؟ أنه كان ليبرالى التفكير، امنحوه منصبا صغيرا“.

هز باتيستا كتفيه وأشار بإحدى يديه إلى زوجته وطلب منها السكوت ولكنها لم تتوقف عن الكلام واستمرت فى ترديد ماتقول ولكن بنغمة وإحساس أكثر جدية، أما فى نفس الزوج كانت الكارثة مفاجئة واعتبرها إنها كانت بمثابة قبوله أن يعبر نهر روببيكون

مع يوليوس قيصر وأنها كانت قرارا لا يمكن الرجوع فيه ولكنه افتقد للبراعة اللازمة أنه لطالما اشتهاها ولطالما أراد أن لا يرى شيئا أن لا يرى الماضى ولا الحاضر ولا المستقبل وأن لا يعرف شيء عن الأشخاص أو الأشياء، وأن يقبل ولكنه لا يستطيع.

بالإضافة إلى ذلك دعونا ننصف هذا الرجل فإنها كان يبدو أفضل وعندما كان يفكر فقط في الإخلاص لأصدقائه كانت لا يزال نفس الإيمان موجودا ونفس المل ونفس العادات فالشر لم يحضر ألا وعندما تطلع أن يعبر إلى الجانب الآخر إنها السيدة كلوديا التي أشارت بأصبعها إلى حياته المهنية وسعادة وحياتهم ومشوارهم الطويل نحو الحكم والوزارة، ثم دارت عينيه وبقي مكانه.

بينما كان وحيدا فكر باتيستا كثيرا في حياته الشخصية ومواقفه السياسية ربما كانت السيدة كلوديا على الصواب فما يوجد لديه حتى أصبح محافظا بشكل تام غير تلك الرغبة في البقاء والتي توجد في كل مخلوق؟ لقد أصبح محافظا فالسياسة لأنكل عائلته كانت هكذا فلقد كان والده وعمه وأصدقائه حتى الكاهن الأسقفى وفي المدرسة حيث بدأ يشوه سمعه الليبراليين، حتى هذا الوقت لم يكن ليبراليا بالمعنى التام ولكن ساكارما كما أن الليبراليين كانوا يلقبون بلويزاس، تشبس باتيستا في هذه المسميات المملة والتي عفا عليها الزمن والتي غيرت أسلوب كلا الطرفين، حينها لم يكن هناك هوة كبيرة بينهما حتى تم التفريق بينهما من عام 1842 وحتى عام 1884، وتذكر المقولة التي قالها نبيل مدينة البوكيركاو ربما قالها سيناتور آخر في خطاب أنه لا يوجد شيء يشبه الليبراليين أكثر من

المحافظين وأيضا لا يوجد شيء يشبه المحافظين أكثر من الليبراليين، وعلى سبيل المثال الحزب التقدمي وأوماندا وأولاند وزكرياس، فمن فهم متغيرات الزمن الجديد وواكبه وأزال الدماء الثورية من الليبرالية ليجعلها تبدو أكثر هدوءاً غير هؤلاء المحافظين؟ في هذه الأثناء ظهرت فلورا فاحتضنها والدها بحنان وسألها إذا كانت تريد أن تسافر إلى المحافظات إذا تم إسناد منصب إليها.

«ولكن أم يسقط المحافظون يا أبي».

بلى يابنيتي ولكن دعينا نفترض.

آه لا يا أبي أنا لا أريد أن أغادر ريو دي جانيرو.

ربما لم تكن ريو دي جانيرو بالنسبة لها إلا بوتوفيجو وبالتحديد بيت نايفيداد، لم يفكر الوالد كثيرا في أسباب رفضها لأنه افترض أن تكون تلك الأسباب أسباب سياسية وبذلك استحضر قوة أخرى ليكي يواجه بها إغراءات زوجته وقرأ تلك الآيات من الإنجيل ١٠ ”حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد 11 ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه“ كان يستحق العديد من الملائكة ولكن كان ملاكا واحدا هو الذي حضر ثم قبلها والدها بمودة وهو يقول «حسنا ابنتي هذا جيد جداً».

أليس كذلك يا والدي؟

لا ليست هذه الابنة هي من جعلته يصر على الاعتزال بل على

العكس أن كان لابد أن يُدعن شخص إذن فلتُدعن زوجته أو فليدعن الشيطان فهما لهما نفس المعنى في هذا الفصل وبالرغم من تخلى أصحابه عنه_على ما يبدو_ألا أنه لم يخضع لضغط زوجته لأنه افتقد القدرة على خيانتهم، أن الكتمان والحياء لهما وزنهما من الناحية الأخلاقية وكذلك الشرف فصاحب الخلق الحسن يصل إلى مراتب الصابرين والشهداء، حقيقة لم تعد كلماته تتسم بالكراهية وعندما يتحدث عن الليبراليين بل تحولت إلى التسامح وغلفها بالعدالة، كما أنه وافق على أن اختلاف الطرفين كان ضرورة عامة، وكان مافعله لتشجيع أصدقائه الذين سوف يعودون سريعاً إلى الحكم إلا أن السيدة كلوديا لها رأى آخر فهي ترى أن الليبراليين سيببقوا في السلطة حتى نهاية الدولة ولكنها اتفقت معه في أن الليبراليين لن يرحبو في السنوات الأولى لهم في الحكم بمن تحول في اللحظات الأخيرة، فيجب عليهم أن ينتظروا لعام أو لعامين بدون منافسة على مجلس النواب أو أى لجنة أو حتى نيابة حاكم ولاية ريو دي جانيرو.

تيربسيكور

لم تنزعج ناتيفيداد بهذه الأحداث لأنها كانت مهتمة أكثر
بالحفلة الراقصة التي أقيمت في مدينة اللهو لتكريم ضابط

البحرية الشيلي، ليس معنى هذا إنها هي التي رقصت ولكنها كانت مستمتعة بمشاهدة الراقصات ذلك لأنها كانت ترى أن الرقص هو متعة العيون مما لا شك فيه أن هذا الرأي كان واحدا من المؤثرات الناتجة عن العادات السيئة لتقدم السن، أرجو أن لا تصاب بواحدة من تلك العادات عزيزي القارئ هناك آخرون بالطبع هم سيئون ولا يوجد من هو أسوأ منهم على الإطلاق، لقد قال الفلاسفة أن الشيخوخة هي مرحلة مفيدة جدا لما لصاحبها من خبرات ومميزات أخرى، فأرجوك يا صديقي لا تصاب بالشيخوخة حتى إذا أغرتك السنون بأن تذر الربيع، أو أن تقبل الصيف على أحسن الأحوال، أن الصيف يتسم بأن لياليه قصيرة وجيد ودافئ غير أن فجره لا يصاحبه الضباب دائما وتولد سمائه زرقاء هكذا سترقص للأبد.

أنا أعلم أنه يوجد من الناس من يكون الرقص قره عينه وامتعتة الأعلى كما أن امرأة محترفة الرقص هي أفضل شيء بالنسبة له، وأنا أيضا إن جاز لي أن أتحدث عن نفسي فأنا أيضا أعتقد أن مشاهدته الرقص أكثر متعة من ممارسته بمعنى أنه متعة للعين أكثر منها للقدم ليس شعري الأبيض فقط هو ما يجبرني على قول هذا فهناك أيضا أسباب أخرى لا تستحق أن تذكر، وبعد هذا أنا لا أتحدث هنا عن حياتي ولا عن آرائي ولا عن أي شيء آخر له علاقة بأي شخصية ذكرت في هذا الكتاب، وذلك مادفعني أن أذكرهم هنا أو هناك بما لهم وما عليهم لا بد أن يكون هذا مفهوما دون الحاجة إلى ذكرهم

في الأسفل ولكن التكرار يفيد ولا يضر».

فلنأخذ السيدة كلوديا على سبيل المثال، فلقد فكرت هي الأخرى في الحفل الراقص ولكن كحادثة سياسية وليست لقدرتها على الرقص ولا لهذه الأسباب الجمالية التي تشغل أي امرأة أخرى فهذا الحفل يعد حفل وزارى للحزب الليبرالى ويمكن أن تستغل هذا الحفل لكى تمهد طريق زوجها نحو المنصب، فلقد رأت نفسها بالفعل مع العائلة المالكة وسمعت الأميرة تقول لها « كيف حالك يا كلوديا؟».

أنا في أحسن حال ياسمو الأميرة.

أراد باتيستا هو الآخر أن يتحدث مع الإمبراطور على انفراد أمام أعين الحاسدين الذين حاولوا مرارا أن يتصنتوا على هذه المحادثة ولكنه عرف كيف يجعلهم يرونه من بعيد أما زوجها، فأنا لا أعرف مايجب على أن أقول حيال صلة زوجها بتلك الحفلة أنه قد خطط للذهاب ألا أنه أعتقد أنه لن يكون مطمئنا ربما فسروا هذه الزيارة على إنها بداية للتحويل ولكن ليس الليبراليون فقط هم من سيذهبون إلى هذه الحفلة الراقصة وإنما سيذهب المحافظون أيضا، هذا الموقف يلائم حكمة كلوديا القائلة بأن ليس من الضروري أن تتفق أفكارك مع من يشاركك الرقصة“.

لم يكن سانتوس بحاجة لتعلم الرقص أو حتى التدريب عليه ففي شبابه كان راقصا بارعا رقص جميع الرقصات، فعل كل هذا حتى أتم الخامسة والعشرين ثم استحوذ عليه العمل ونقله إلى

الجهة المضادة ولم يسمح له بالعودة مرة أخرى إلى نفس المكان أو حتى مغادرة هذا المكان، أما الآن فلقد غادره سانتوس ونعرف جيدا أين هو الآن مؤخرا كان يستمتع بوهم حصوله على منصب النائب، هزت ناتيفيداد رأسها ليس مهما كيف فسر عدم رغبته في أن يكون خطيبا أو وزيرا ولكن في جعل مجلس النواب بمثابة نقطة انطلاق نحو مجلس الشيوخ الأبدى حيث يوجد العديد من أصدقائه والأشخاص الجديرين به“.

قاطعته قائلة: « أبدى » وعلى وجهها ابتسامة هادئة صفراء.

« أعنى عمره أطول“.

إذا مارأيناها تتحدث إلى التوءمان بنفس التعاطف وهو ما فعلته الآن لبيدرو في غياب أخيه باولو، وهو ما كانت ستفعله لباولو في غياب بيدرو، مملا شك فيه أن هناك قارئ سيفترض احتمال وجود شخص ثالث، وهو من سيفسر كل هذا الغموض شخص ثالث لم يذهب إلى الحفل واحدا من هؤلاء الطلبة المساكين والذي ليس لديه أصدقاء ولا ملابس غالية ولا يملك شيئا ألا قلبه الدافئ النقى، حسنا ولا حتى هذا فليس هناك ثالثا ولا رابعا ولا خامسا أيها القارئ الفضولى وإنما هى فتاة غريبة كما تناديها أمها.

بغض النظر فلقد ذهبت الفتاة الغريبة بصحبة أمها وأبيها إلى الحفل الراقص فى مدينة الهو وكذلك ذهبت ناتيفيداد وزوجها وبيدرو وذهب أيضا أريس وكل من تمت دعوته على هذا الحفل

الكبير من الداخل ومن الخارج من البر والبحر إنها كانت فكرة جميلة من الحكومة عزيزى القارئ كانت بمثابة حلم البندقية عاش فيه كل هذا المجتمع لبضع ساعات من البذخ كان جديدا على البعض ويعيد بعض الذكريات للبعض الآخر ومستقبلى على الجميع، أوعلى الأقل بالنسبة لصديقتنا ناتيفيداد وعلى باتيستا المحافظ.

أخذت ناتيفيداد فى التفكير فى مصير أولادها فى المستقبل، يكون بيدرو وزيرا بحلول القرن العشرين وخلال الفترة الثالثة للحكم، ثم تخيلت شيئا آخر حفل كبير على نفس هذه الجزيرة، تقوم هى بوضع ديكوراتها حفل رائع من شأنه أن يخلده التاريخ بكل من رقص فيه ورأت عظمة وثناء أولادها وهى منزوية تتذكر كيف مرت عليها السنوات، هكذا ستعبر بنظرها خلال الزمن إلى المستقبل لترى سعادتها وتقضيها فى الوقت الحاضر فى حالة إنها لا بد لها أن تموت قبل أن تتحقق النبوءة، كان شعورا فى هذه اللحظة كشعور من حصل على مصباح مضاء فى وسط الظلام فى بحر هادئ.

لم يذهب خيال باتيستا بعيدا مثل زوجته أقصد أنه لم يذهب بأية شكل من الأشكال إلى نهاية القرن والله أعلم ربما إلى نهاية العام فقط ومع سماع صوت الموسيقى الهادئة الذى يجوب المكان بلطف تخيل باتيستا أنه قد سمع بعض عجائز مدينة ريو دى جانيرو المحليين الذين إلى حد ما يشبهون أقرانهم الإسكتلنديين وأخذوا يحيوه بعبارات تشبه العبارات الواردة فى رواية ماكبث "مرحبا

باتيستا أيها الحاكم السابق للولاية“، مرحبا باتيستا الحاكم القادم للولاية مرحبا باتيستا إنك يوما ماستصبح وزيرا“.

كانت تركيبة كلمات هذه النبوءة ليبرالية بدون أدنى خطأ، صحيح أنه كان مستاء من سماعهم واجتهد حتى يترجمهم إلى مصطلحات قديمة خاصة بالمحافظين ولكنه افتقد القاموس، كانت الجملة الأولى لا تزال تتمتع باللهجة قديمة ”مرحبا باتيستا أيها الحاكم السابق للولاية“ بينما كانت الثانية والأخيرة تتمتع باللهجة الليبرالية والتي لطالما كانت بالنسبة له من اللهجات المحظورة وأخيرا كانت زوجته مثل زوجة ماكبث تخبرنا عيناها بما قد قيل من فمها، ها هو أنه ماقد شعرت به بالفعل نحو أحداث المستقبل، وفي الصباح التالي في بيته تكررت نفس الرسالة، حاول باتيستا أن يجمع ابتسامته وألا يصدق تلك الساحرة بالرغم من أنه قد حفظ هذه الكلمات التي تخيلها في الجزيرة أثناء الحفل الراقص«مرحبا باتيستا الحاكم القادم للولاية“ وأجابهم ”بحسرة لا..لا..لا يابنات الشيطان“.

على عكس ماقد قيل مسبقا فإن فلورا لم تشعر بالملل على الجزيرة أثناء الحفل لقد أخطأت الافتراض وها أنا أصحح خطئي في الوقت المناسب، ولكنها ربما شعرت بالملل جرّاء الأحداث السالف ذكرها وأسباب أخرى ولكني أترفق بالقارئ المتلهف، ولكنها بأمانة قضت ليلة رائعة فهذا الحفل الغير مسبوق والبحر الذي يحتضنه من كل مكان وما فيه من سفن قد فقدت في الظلام وهذه المصابيح المرتفعة فوق الجبل والمنخفضة على الشاطئ كانت كلها مشاهد رائعة سحرت فلورا خلال ساعات الحفل العابرة“.

فلم تفتقد الشركاء ولا الحديث ولا المتعة لنفسها أو لآخرين من المحيطين بها فلقد ابتسمت ونظرت ووسمعت ونسيت الراحة كي تسعد نفسها وكانت أيضا تحسد الأميرة وتمنت أن تصبح الإمبراطور ليوم واحد لتتمتع بالسلطة المطلقة في إقالة الوزراء وتجاهل النساء وإهمال الزائرين وعدم الاهتمام بالمتملقين ومن ثم البقاء بمفردها داخل الغرف العمق في القصر لتتمتع بالتأمل والموسيقى، كان هذا كل ماتعرفه فلورا عن الحكم، سرعان ماتلاشت هذه الأفكار كما جاءت مسرعة فذات مرة قال لها شخص مابغية أن يحفرها» أن كل نفس حرة داخلها إمبراطور».

لم يكن هذا الصوت صوتا آخر من الأصوات الخفية والتي تشبه أصوات السحرة التي كانت تهتف لوالدها أو يشبه تلك الأصوات الداخلية التي كانت تحدث ناتيفيداد عن مستقبل أبنائها، لا فهكذا سنختلق العديد من الأصوات الخفية أو ما شابة من شأنه أن يقلل من مصداقية الأحداث الواقعية بالإضافة إلى الملل الناتج عن التكرار، كان صوت أريس هو الصوت التي تحدث إلى فلورا بينما كان جالسا وبعدها سألتها«فيما تفكرين».

فأجابته « لا شيء».

حسنا لقد لاحظ المستشار شيئا مافي تعبيرات وجه الفتاة فأصر على معرفته، فقصت فلورا بأفضل مايمكنها أن تفعله ماراودها من حسد جراء مشهد الأميرة ولكن ليس لكي تتولى المنصب ليوم واحد بل لكي تهرب من تلك الأضواء الساطعة ومن واجبات المنصب أتت إليها تلك الأفكار وعندما تتم لها بهذه الكلمات السالف ذكرها «أن

كل نفس حرة داخلها إمبراطور».

كان العبارات قوية ورنانة وبدت كأنها تحتوي على أكبر قدر من الحقيقة ليس في هذه الدنيا فقط وإنما في الكون كله، إنها تستحق كتابات بلوتارخوس، فإذا قُدر لساسي ما أن يسمعها سيحتفظ بها حتى يأتي هذا اليوم الذي يعارض فيه الحكومة في الفترة الثالثة للحكم، هذا ما كتب في مذكراته مع هذه الملاحظة «هكذا شكرتني هذه المخلوقة الجميلة على الكلمات الست».

اللافتة القديمة

عاد الجميع من الجزيرة ولكن لا يزال الحفل يسيطر على أفكارهم الغالبية منهم حلمت به والقييل نام من التعب ولم ير شيئاً كان أريس من هؤلاء الذين اسيقظو متأخرين في الحادية عشر تقريبا وبعدهما تناول غذائه وأخذ يكتب في مذكراته الأحداث التي لاحظها مساء في الحفل لاحظ العديد من الأكتاف العارية وما فعله السياسون المحافظون وانهاها بتلك الجملة التي قلتها أنفا في الفصل السابق، كان يدخن ويقرأ حتى عزم على الذهاب إلى ريو دي أوفيدور وبينما كان ينظر من أحد النوافذ التي أمامه إذا به يرى شيئاً غير متوقع على أحد أبواب المقهى كوستيدو العجوز على كان المشهد جديداً للغاية حتى أنه ظل واقفاً لبضع دقائق وعندما رفع الحارس عيناه لاحظته بينال فدخل أريس حينها كان كوستيدو

يعبر الشارع في طريقة إلى البيت.

قال أريس إلى الخادم «ادخله للطابق العلوى».

تم استقبال كوستيدو بترحاب عادى ولكن باهتمام أقل فلقد أراد أريس أن يخبره بما أحزنه

«لقد أتيت لأتحدث مع سيادتكم حول العلامة».

«أى علامة».

طلب منه مالك المحل أن يأتي ناحية الشباك وقال «من فضلك تعالى لترى بعينيك».

«لا أرى شيئا».

”حسنا هذا ما أقصده لقد نصحنى العديد من الناس حول تغيير هذه العلامة وأخيرا اقتنعت وغيرتها وجلبت عاملين وانزلاها لقد أتى الجيران ليشاهدوا العمل وقد بدا عليهم السخرية منى لقد تحدثت بالفعل مع الرسام فى ريو دا اسمبليي، أنا لم أوافق على السعر لأنه أراد أن يرى العمل أولا، أرادالكاتب أن يلقى عليها نظرة فى الظهيرة أمس هل تعلم ما قاله له الرسام؟ أخبره أن الخشب قد بلى ويريد أن يستبدله فالخشب البالى لا ينفعه أى طلاء فذهبت إليه على الفور ولكنى فشلت فى إقناعه أن يرسم على هذا الخشب، لقد أظهر لى آثار النمل الذى جعل الخشب وردى اللون ومتشققا حسنا إنك لن تلاحظه من الأسفل أننى أصريت على أن يرسم عليه

على أية حالة ولكنه أجبني بأنه رسام ولن يراهن بعمل محكوم عليه بالدمار من البداية.

«حسنًا فلتصنع واحدة جديدة فالرم الجديد لن يساوى شيئًا أن رسم على خشب بالي، عليك الآن أن تنظر هليمكنها أن تتتحل إنها ستبقى ولن تستبدلها بأخرى قريبًا.

الآخر كل ما استطاع فعله هو أن يرسم الحروف

كان الأمر متأخرًا للغاية فلقد أوشكت العلامة على الانتهاء حيث اشترى الأخشاب وقطعها بالمنشار ووضع فيها مساميرها وطلّى الخلفية، لم يقل كوستيدو أن الرسام قد سأله عن لون الحروف سواء كانت حمراء أو صفراء أو خضراء علأبيض أو بالعكس ولكنه استفسر بحذر عن سعر كل لون حتى يتثنى له اختيار الأرخص فمهما كان اللون لن تكون مشكلة.

اللون ليس مهما فالطلاء جديد واللواح الخشب أيضا جديدة فبغض النظر عن الثمن وعن العاطفة فإنه لا يريد أن يقوم بهذا التجديد ولكن تلك العاطفة تستحق الغالى والنفيس فهو الآن يشعر كما لو كان سيفقد قطعة من جسده وهو على وشك لتغيير العلامة ولكن بعض الأشياء فى هذه المجالات أو مايشابهها لا يمكن فهمها مثل تلك السعادة التى تظهر على الوجوه وهذا مايزيد الزبائن،

الطبائع مختلفة، لقد كان يفكر أريس في الكتابة عن فلسفة العلامات ”اليافطة“ حيث يدون تلك الملاحظة وغيرها إلا أنه لم يشرع في هذا العمل أبدا.

«أرجو أن تسامحنى على الازعاج الذى أسببه لك يا سيدى جراء تجربتى و قدومى إلى هنا وإخبارك بهذا ولكنك لطالما عاملتنى بود وتحذثت إلى بلطف، أرجو أن تسامحنى“.

فقال له أريس «بالطبع يا صديقى الطيب“.

مع إنك سيادتك سمحت بتحديث هذه العلامة ألا أنك شعرت مثلى بالفراق الذى يشبه فراق صديق عزيز لم تتفارقا أبدا، فى ليالى الاحتفالات سأنيرها حتى يتثنى للجميع أن يراها، سيدى وعندما تتقاعدستجدها فى نفس المكان الذى تركتها فيه حين استلمت منصبك، أن لدى القوة كى احفظها حتى من نفسى“.

”حسنا أحضر الجديدة وسترى كيف ستصبحون أصدقاء سريعا“.

غادر كوستيدو منحيا كعادته وتوقف قليلا أمام المقهى ونظر إلى مكان العلامة القديمة لكنه لم يفتقددها

محبرة أفريستو

بوسع تلك الحالة إثبات أن المرء يمكنه أن يحب أى شىء بشدة حتى

لو كان قطعة بالية من الخشب هذا لم يكن فقط شعوره الطبيعي بل كان أيضا يشتاق للعلامة القديمة فلن يُفقد أحد مثل هذا الموضوع المقرب الذي أصبح جزء كامل من حياتك وكأنها قطعة من جسدك ذلك لأن هذه العلامة لم تفقد قيمتها حتى ولو ليوم واحد فقط، لم يحصل كوستيدو علفرة أبدأ حتى يلاحظ إنها كانت فاسدة، أنه كان يعيش مثل الجمادات».

حان وقت الغذاء في بوتا فوجو كان هناك اربع اشخاص فقطهم الاختين وسانتوس واريس أما بيدرو فقد ذهب لكي يتناول الطعام في ساو كلمنتي مع عائله باتيستا

وافقت السيدة برييتوا مشاعر صاحب المقهى واستشهدت على هذه الحالة بحكاية محبرة أيفريستو دي فيغا فتبسمت الأخت إلى زوجها وتبسم هو الآخر إليها كما لو كانوا يقولون «ها هي». إنها محبرة كان يستعملها الصحفي الكبير في الفترة المملكيه الأولى وفي عهد الوصاية كانت عبارة عن قطعة أسرية بسيطة مصنوعة من الطين تشبهت تماما تلك التي يشتريها البسطاء من محلات الأدوات المكتبية في تلك الأيام كان حمى السيدة برييتوا قد أعطاها إياها كتذكار وكان لديه واحدة أخرى تشبهها تماما في الحجم والشكل والقدمي».

«إنها قد ورثت من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى وأصبحت ملكي إنها ليست بنفس فخامة محبرة الأخ اوجستينيو أو ناتيفيداد ولكن لها قيمه غالية جدا عندي»

قال أريس «بلا شك أن لها قيمة تاريخية وسياسية»

”لقد أخبرني حماى أنهذه الدواة قد أخرجت أعظم المقالات فى أورورا، حتى أكون صادقة معكم، أنا لم أقرأ تلك المقالات مطلقا ولكن حماى كان رجلا صادقا أنه تعرف على حياة ايفريستو من السماع من الآخرين وكان دائم الثناء عليه.“

أرادت ناتيفيدات أن تحول المحادثة إلى الحافلة التى أقيمت فى اليوم السابق على الجزيرة فتحدثوا عنها بالفعل ثم أنت هو ولم تجد ناتيفيداد موضوعا آخر لكى تشتتهم، كانت الحديث عن المحبرة قد بقى لمدة أطول إنها لم تكن مجرد واحدة من مقتنيات السيدة بربا أو أثر من آثار العائلة ولكنها كانت بمثابة فكرة واعتقاد كانت قد وعدت أن تعرضها لأريس، وهو رحب ووعدها أن يراها واعترف أنه يبجل الأشياء التى استخدمها الرجال العظماء، وأخيرا قدانتهى العشاء وانصرفو إلى الردهة وفى الطريق أخذ أريس يتحدث عن الخليج قائلا«الان هنا، هذا عمل فى أقدم من محبرة ايفريستو وعلامه كوستيدو ومع ذلك يبدو أصغر، اليس كذلك يا سيده بيريبا؟.. فاليلة دافئة وهادئة ومن الممكن أن تكون مظلمة وباردة فالتائج المترتبة ستكون ثابتة ولن يتغير الخليج، ربما فى يوم ماسيملوّه الرجال بالتراب والحجارة ليبنوا عليه البيوت وتكوين الأحياء الجديدة بمسارات كبيرة لسباقات الخيول، فكل شىء يمكن عمله تحت الشمس والقمر فسعادتنا تموت أولا أيتها البارونة“.

«لا تتحدث عن الموت أيها المستشار»

عارضها أريس قائلاً «إن الموت يعتبر افتراض أو ربما كان أسطورة فلم
نر أحدا مات من الهضم الجيد»، سيجارتك طعمها لذيذ؟“

”إنها جديدة، هل هى جيدة؟“

إنها لذيذة

قدّر سانتوس هذا المدح وأحس أن أريس قصده أن يمدح بشكل
مباشر كل من شخصيته وطباعه واسمه ومكانته فى المجتمع
ومنزله وكوخه وحتى بدلته، ربما كان هذا من قبيل المبالغة ولكن
من الممكن أن يكون طريقة مؤكدة لشرح قوة تعلقه بسيجارتته
بالنسبة له كانت السيجارة تستحق مااستحققت المحبرة والعلامة
بفرق أنهما يعبران عن العاطفة والتبجيل أما السيجارة فإنها تتفوق
لرائحتها وسعرها ولأنها يتم إنتاجها يوميا فهى بمثابة معجزة.

كانت مثل هذه الشكوك تراود أريس بينما كان يتطلع بلطف
إلى مضيفه لم ينكر أريس على نفسه هذا الاسمئزاز الذى أوجده
بداخله هذا الرجل، وقال أنه بكل تأكيد لا يحمل أى ضغينة تجاهه
بل على العكس أن أريس بإمكانه أن يتمنى له كل خير حتى لو كان
بينهما جدار، كان قد أعياه هذا الرجل بكل ما فيه من شخصيته
وأحاسيسه وتصريحاته وإيماءاته وضحكة“.

كانت حوالى التاسعة أو أكثر من ذلك بقليل حينما عاد بيدرو مع
باتيستا وفلورا.

قال باتيستا لنتيفيداد «لقد جئنا لنحضر ابنك إلى البيت».

فابتسم باتيستا وقال «أشكرك سيدي على كل حال، ولكن ألم يبلغ من العمر مايكفى حتى يتمكن من العودة إلى بيته دون أن يتوه، وأذا تاه سوف نعرف أين نجده».

هذه المزحة لم تعجب ناتيفيداد لأنها كانت على ولدها، ربما كان هذا وافر من الاحترام، لكن المزاح فيه إفراط في الكثير من الأشياء وافضل شيء أن هو أن تغفر، وهناك أيضا الإفراط المتناقض التنازل السهل وهم هؤلاء الذين يدخلون في تبادل الوقحات بكل سعادة لا بد أن يكونوا متسامحين أيضا وفي النهاية من يغفر يغفر الله له يجب على كل امرئ أن يعفر للآخر هكذا علمنا الإنجيل

لم يسمع الشاب شيئا، لم تمض لحظات من قطع محادثته مع فلورا حتى تبادلوا الكلمات مرة أخرى ثم انزويا في أحد الجوانب حيث يمكنهما تجاذب اطراف الحديث مرة أخرى لم يلاحظ هذا الموقف غير أريس فقط، كان حديثهما إلى بعض عبارة عن همسات حتى لا يستطيع أن يسمعها أحد كان يتحدث هو وهى تسمع وبعدها تصير إلى العكس فتتحدث هى وهو يسمع بحيث يستوعب كل منهما الآخر وفي نفس الوقت لا يلاحظهما أحد لقد كان لديهم الحاسة السادسة التي توجد عند العشاق والمتأمرين ولكن هيهات فلقد لاحظهما أريس، من المحتمل أن يكون حديثهم عن الحب ولكن ماهو مؤكد أنهم يتأمرون؛ بقدر ما أعلم عن تأمرهم سوف تعلم عزيزى القارئ فى الفصل القادم، حتى أريس لم يكن بوسعه معرفة شيء بالرغم من أنه متّع ناظره بهذه المحادثة، فأقنع نفسه

بأنهما ليسا جادين فهما كثيرا ما ابتسما، ربما كانت محادثة بذيئة مخفية شخصية وربما كانت غريبة، لنفترض إنها كانت سلسلة من الحكايات أو قصصا طويلة أو أشياء قام بها أحدهما مع الآخرين وحتى فقد قاما بها على انفراد لأن حالة الروح في هذا الموضوع الذى يكون السرد فيه غير مهم ولا تكون هناك أى متعة إلامتعة القيام به وسماعه إنها أيضا بإمكانها

انظر ومع ذلك كيف أن الطبيعة توجه الأشياء الصغيرة والكبيرة وخصوصا أن حالفها الحظ، فالحديث الذى بدا جميلا جدا بدأ بمفاجأة كان سببها باولو الذى أرسل خطابا إلى بيدرو فقرر الأخير أن يطلع فلورا عليه ومن ثم يطلع أمه التى قال إنها ستغضب جدا منه.

قالت فلورا «ستغضب منك؟».

قال بيدرو ”لا ستغضب من باولو“.

”إذن فماذا كتب فى الخطاب“.

قرأ عليها بيدرو النقاط الأساسية فى الخطاب والتى من شأنها تلخص كل ماجاء فى الخطاب، كانت تتعلق بالأعمال العسكرية، لقد بدأت الأعمال العسكرية وهى القتال بين العسكر والوزراء وكانت لهجة باولو تشير إلى أنه ضد الوزراء.

سألته فلورا ”ولكن لماذا تذهب لتطلع أمك على هذا الخطاب؟“.

”لأنها تريد أن تعرف ماذا قال لي في خطابه.“

”إنها ستغضب ومن ثم ستوبخه.“

”نعم هذا جيد أنه بحاجة إلى التوبيخ ولكن أخبريني لماذا دائما تدافعين عن أخى؟“

”نعم ولهذا أيضا أدافع عنك“

”أذن فهو يتحدث بسوء عنى“

عندها أرادت فلورا أن تقول نعم ثم أن تقول لا، فضلت أن تظل صامتة، وقررت تغيير الموضوع فسألته لماذا لم ينضجا؟ فعارضها على الفور في ذلك أخبرها أنهما جيدين ولكن ربما لأنهما ليس لهما نفس الرأى، منذ أن قال هذا حتى قال إنكلاهما يحبها لقد كان هذا الماكر خجولا أيضا، ببقائه صامتا فهم كل شيء وأشاد بنفسه لأنه اختار هذا الفعل، وقال إنه فعل أفضل شيء ولكن كان هذا خطأ فهو لم يختار شيئا أنا لا أقول هذا كي أشوه سمعته، نعم فالخوف أحيانا يجعلك تختار الأفضل فمن المناسب أن يترك هذا التأمل الآن.“

غضبت فلورا ولم تستطيع أن ترد أكثر من ذلك ففضلت أن تذهب فهي لم تتناول العشاء بسبب شفقتها على الآخر، لحسن الحظ كان من الآخر من بين الحضور كانت نفس الأعين ونفس الايدي ونفس الكلمات ولم يمض وقت طويل حتى خمد بركان الغضب هذا من الحنان والرحمة والعشق، بارك الله في الحضور وجزاهم

خيرا“.

سر

الآن على أى شيء كانت المؤامرة إنها كانت على الانتقال من ساو كليمنتي حيث قضى بيدرو معظم المساء فى العشاء والحديث عن الخطاب، وفى أن يطلع الفتاة على السر”.

فقال لها «إن العممة قالت فى البيت أن السيدة كلودبا قالت لها سرّاً - لا تخبرى أحدا - أن والدك فى طريقة لأن يكون حاكم ولاية“.

ردت قائلة «أنا لا أعرف شيئاً عن هذا، كما أنى لا أعتقد هذا فوالدى من حزب المحافظين»

”لقد قالت السيدة كلوديا إلى عمتى أنه ليبرالى أو تقريبا ريديكالى، إنها طلبت أن تبقى هذه المعلومات سرية، وعمتى أيضا وعندما أخبرتنا أصرت أن تبقى المعلومات سرية، كما أنى أطلب منك أيضا ألا تخبرى أحد ولكنها حقيقة“

«حقيقة! كيف؟ ولكن أبى لم يكن ليبراليا يوما من الأيام، إنك لاتعلم كم يكون أبى محافظا، وإنما كان دفاعه عن الليبراليين لأنه كان متسامحا“.

«سأكون فى غاية السعادة أن كانت ولاية ريو دى جانيرولانه لن يكون من الضرورى أن أعيش فى برايا جراندولكن أن كانت ستكون المشكلة فى نصف ساعة فقط، وسأذهب إلى هناك يوميا؟

«هل ستفعل؟»

«هل تراهنيني على ذلك.»

بعد لحظات قالت فوراً «لماذا، إذا كان هناك حاكماً؟»

«لنفترض وجوده»

«هناك افتراضات كثيرة، وجود حاكم، وأنها ستكون ريو دي جانيرو، لا، لا، فلا يوجد شيء»

«دعينا نفترض النصف، فهناك حاكم وهو من ماتو غروسو»

شعرت فلورا بقشعريره دون أن تعترف بإمكانية حدوث الوظيفة كانت ترتعد فرائسها بمجرد سماع اسم أي ولاية، كما ذكر بيدرو العديد من الولايات مثل أمازوناس وبارا وبياو. كان محدداً بالخصوص أن كان والدها مستولاً محنكاً فلا ينبغي أن يعود سريعاً، وافقت الشابة على هذه الفكرة واعتقدت إنها ممكنة وكريهة ولكن قالت هذا لنفسها وفي قلبها، وفجأة قال بيدرو تقريباً شالاً لحركتها.

أن ذهب فسأطلب من الحكومة منصب السكرتير وسأذهب أنا أيضاً، أنعكس ضوء المجلات الراقص على وجه الفتاة وساعده ضوء مصابيح الشوارع التي كانوا يمشون في ضوئها على إظهار العاطفة على وجه الفتاة نتيجة هذا الوعد، لابد أن يكون قلب فلورا يخفق بسرعة ولكنها سرعان ما فكرت في شيء آخر فناتيفيداد

لن توافق أبداً، أنه لا يزال تلميذاً، أنه لن يستطيع، إنها سترها فضيحة وستقول إنه هرب ومشى خلفها.

كان كل هذا محض خيال صامت منها، ولم تسأل فلورا نفسها عن سبب تفكيرها الكثير والجريء كان هذا يشبه وزنها التي قالت عنه إنها لم تشعر به، كانت تمشى وتفكر في صمت كما تتنفس في صمت، إنها حتى لم تحسب كم استغرقت من الوقت في التخيل وفي التراجع عن الأفكار، مما لا شك فيه أن هذا التفكير قد منحها سعادة أكثر مما منحها من الحزن، بجانبها كان يمشى بيدرو بحرص بالغ وعيناه على قدميه بينما كانت قدميه قرب السحاب فهو لم يكن يعرف ماذا يقول كي يكسر هذا الصمت الطويل، ومع ذلك لم يكن أمامه غير حل واحد فقط أنه لم يفكر طويلاً في منصب الحاكم أنه أراد أن يكون معها في أقاصى الإمبراطورية بدون أخيه، بدأ المل في أن ينعزلاً بعيداً يسرى في روح بيدرو، نعم باولو لن يذهب فلن تدعه أمه يذهب ثم تبقى هي وحيدة يكفيها أن يبعد عنها ابناً واحداً بدل أن يبعد كلاهما.

قد يبدو هذا المنولوج أنانيا لأى شخص آخر، فأنا أطلب بالنيابة عن أرواح أصدقائه ووالديه الذين هم في السماء، كما أطلب منك أن تضعهم في عين الاعتبار أيضاً، النظر في الحالة المزاجية للشباب وقربه من امرأة شابة، وأصول العاطفة وعصر بيدرو والشر الموجود في هذه الأرض والخير في الأرض نفسها.

النظر أيضاً إلى إرادة السماء، التي تسهر على جميع المخلوقات الذين يحبون بعضهم البعض ألا إذا أحب أحدهم الآخرين، لأن السماء

إذن هي هاويه الظلم وهذه الصورة لا معنى لها، فكل شيء هو مجرد صداقة.

فدعوني أخبركم بشكل سيئ عن ما حدث في هذا المرور العابر بين البيتين وعندما وصلا عادا إلى التحدث بصوت عال مرة أخرى“.

في الأعلى؛ كما رأيتم، لقد استمرو في الحديث حتى ظهر موضوع الحكم مرة أخرى، حينها لاحظت فلورا التركيز الذي بدأ من أريس كما لو كان يريد تخمين موضوع المحادثة، حينها كانت فلورا أسفه جدا لكونه ليس معهم كي يتحدثوا ويسمعوا بعضهم البعض، وفي النهاية وعدت فلورا إنها سوف تفعل شيء لها، ربما استطاع أريس فإنه صديقها أيضا والجميع هنا يكن له بالغ الاحترام، فإنه بإمكانه التدخل وتدمير مشروع الحكم“.

بدون المعرفة أو الانتظار كي تعرف ربما هذا ماقالته بأعينها إلى الدبلوماسي القديم، احترزت من نظراتها، ومن تلقاء نفسها كررت المونولوج ربما أرادت أن تطلب شيئا مامن أريس الذي لم يستطيع فهم ماأرادت ولكنه كان يصغى باهتمام، ربما عكست المعاناة التي بداخلها، ربما، فالحقيقة أن أريس ظل متطفلا، وفي الوقت الذي انصاع بيدرو لرغب أمه وترك مكانه، استمرت ناتيفيداد في التحدث إلى الشابة الصغيرة“.

كانت فلورا مستعدة، بالكاد كان لديها الوقت لكي يتبادلا كلمتين سأل أريس أن كان قد قال لها في الماضي أن لديه القدرة على

التكهن.“

«لا ياسيدي»

”إذن فأنا لدى تلك القدرة، وأنا أؤمن الآن أن لديك سر تريدان أن تخبريني به“

استغربت فلورا من كلامه ولم ترغب في الاعتراف أو الرفض واكتفت بأن قالت له إنه قد خمن نصف الحقيقة.“

«نصف الحقيقة أذن، وما يكون النصف الآخر؟»

«النصف الآخر هو أن أسألك حق الصداقة»

«تسأليني»

«ليس الآن فإننا على وشك أن نغادر فإن لم تمنع يمكنك أن تعود معنا إلى ساو كلمينتي؟»

على الرحب والسعة

وبعد لحظات قليلة: «سأقترح عليك فكرة ربما تكون مناسبة، ولو رأيت إنها ليست بالفكرة السديدة، فعندى لك فكرة أخرى والتي ستنال إعجابك وستكون هي الفكرة الأخيرة، ولكننى أعتقد بأن كلتا الفكرتين سوف تنال إعجابك، والفكره الأولى هي أن تترك اللافته كما هي ولكن ينبغي عليك أن تكتب هذه الكلمات وهي 'أسست في عام ٨٦٠'، أليس كذلك لقد قمت بفتح الدار في عام ٨٦٠؟»

فأجاب كاستوديو قائلاً «نعم إنها كذلك».

». حسناً».

وأخذ يفكر كاستوديو ملياً في هذه الفكرة، ولم يكن هناك أى رد فعل منه بأنه هذه الفكرة قد نالت إعجابه أم لا، فقد كان صامتاً، ولم ينظر إلى الدبلوماسى، ولا الأرض، ولا الجدران ولكنه كان ينظر إلى الهواء الطلق، ثم استيقظ وأقر بأنها كانت فكرة جيدة، حقاً، أنه ممكن أن يبقى على الاسم ويزيل مايجعله يميل إلى إثارة الفتنة والشغب، الذى سوف يُزين بنضاره الطلاء، وفي نفس الوقت ربما

تكون الفكرة الأخرى جيدة تماماً كالفكره الأولى أو أفضل منها، وأنه يريد بأن يفاضل بينهما».

” لا تحتوى الفكرة الثانية على ميزه إعلان تاريخ تأسيس الدار، ولكنها تحتوى فقط على تعريف الاسم، وذلك من خلال ترك كلمة imperio باللغه الأسبانيه وإضافه تحتها مباشرة كلمتى das leis، ولا تحتاج لأن تكون مكتوبه بحروف كبيرة، وأتم أيرس كلامه بقوله أنظر، إنها ستكون بهذه الطريقة“ وجلس على مكتبه وكتب مقاله على ورقة“.

وأخذ كاستوديو يقرأ ويقرأ وأعتقد بأن الفكرة مفيدة ومثمرة، نعم إنها ليست سيئة، ولكنه يرى بأن هناك مشكلة واحدة وهى بأن الكلمات المكتوبه بالأسفل لطالما إنها مكتوبه بالحروف الصغيرة فإنها ربما لا تُقرأ بصورة سريعة وواضحه مثل الكلمات المكتوبه فى أعلى اللافتة والتي سوف يلاحظها معظم من يمر عليها، وستكون هناك مشكلة أيضا لو لم يتمكن أحد السياسيين أو أحد الأعداء الشخصيين من إدراك وفهم العنوان الفرعى بصورة سريعة“..، والفكره الأولى أيضا بها نفس المشكلة وإلى جانب هذا: فإنها سوف تبدو أن شيف المعجنات يفتخر ويتباهى بكون المحل قديم وذلك بتشيده وتأكيديه على تاريخ افتتاح المحل“.

من يدري أن كان هذا أفضل من لاشيء؟

”كل شيء أسوأ من لا شيء،“

”سنرى،“

ووجد أيرس اسماً آخر وهو اسم الشارع، "حلولى كاتيت"، ولم يدرك أن هذا سوف ينسب إلى كاستوديو التفرد أو الانحصار لأن هناك مقهى فى نفس الشارع، وعندما رأى أيرس بأن جاره قد لفت نظرة إلى هذا الأمر أعتقد بأن هذا سيكون عادلاً، ولكن قريباً فيما بعد اكتشف أيرس بأن مايجعل كاستوديو منزعج ومتضايق هو أن الفكرة ستجعل هناك مؤسستين يتشاركان نفس الاسم، لا يلتفت معظم الناس إلى الاسم المكتوب ولكنهم يشترون من أول محل يأتون إليه، لذلك فإنه ليس فقط يدفع مقابل كتابه وطلاء تلك اللافتة ولكنه أيضا يخسر أعماله، ولم يفقد أيرس إعجابه برجل قد يضع فى حسابانه الآثار السيئه التى قد تنتج جراء مثل هذه الأخطاء وسط هذه الأحداث، بعد ذلك قال له سيكون الأفضل فى هذه الحالة هو أن يدفع للافتة التى طلبها بدون أن يضاف عليها أى شىء آخر، ألا أن كان يريد أن يستخدم اسمه الشخصى، "حلوليات كاستوديو". "بالتأكيد فهناك أناس آخرون لن يعرفون الدار بأى اسم آخر، وأن الاسم الشخصى لصاحب المحل سيكون خالى من أى معنى أو دلالة سياسية أو تاريخية، ولا يمد إلى الكراهية ولا الحب، ولا لأى شىء يجذب أنت باه أى نظام، لماذا لا نتبنى هذا الحل؟ وأنه سوف ينفق بعض المال لإستبدال اسم بآخر وهو كاستوديو بدلا من imperio".

فقال كاستوديو شاكرًا له "نعم سوف أفكر فى هذه الفكرة، وربما من الجيد بأن ننتظر يوم أو يومين لنرى كيف تتحول الأشياء".

انحنى كاستوديو ثم تراجع وانصرف، وذهب أيرس إلى النافذه

لينظر إليه عبر الشارع، وتخيل بأنه سوف يأخذ معه مصباح داخلي من بيت الوزير المتقاعد الذي ربما سيجعله ينسى للحظات أزمه اللافته، لا يمكن أن يكون كل مافي الحياة ثمينا، وأن ازدهار العلاقات الاجتماعية يمكن أن تؤدي إلى تلطيف ابتلاءات وفتن هذا العالم“. وعبر كاستوديو الطريق بدون أن يدخل يمينا أو يسارا وبدون توقف ولم ينظر خلفه، ودخل المقهى وهو في حالة من اليأس وفقدان الأمل“.

السلام!

في وسط هذه الأحداث المهيبة فقد كان لدى أيرس وقت فراغ ليتخيل مثل هذا الاكتشاف في جاره والذي يمكن أن يُفسر بارتياب وهي الطريقة التي تناول بها الأخبار، ولم يعنيه حزن ومحنه كاستوديو، فقد رأى عديد من الإشاعات المزيفه قد ولدت وأخمدت، ومن أقواله المأثوره بأن يعيش الرجل ليقوم بنشر قصة الشارع الأولى والتي من الممكن أن تجعل مائه شخص مجتمعين أو متفرقين يصدقون أى شيء، وفي تمام الساعة الثانية ظهراً، وعندما وصل سانتوس إلى منزله، هل صدق بسقوط الإمبراطورية“.

”هذا صحيح أيها المستشار، لقد رأيت الجيوش يخسرون أماكنهم ويصلون إلى شارع افيدور، وسمعت صيحات الشعب، وقد أغلقت المخازن والبنوك والأسوأ لو إنها لن تفتح مرة أخرى، وقد أصبحنا في فوضى عامة، إنها حقا كارثة“.

وحاول أيرس أن يهدئه، لن يتغير أى شيء، ولكن من الممكن أن

يتغير النظام، ويعتبر التبادل التجاري ضرورياً، وأن البنوك لا غنى عنها ولا بديل لها وفي يوم السبت أو في الغالب يوم الأحد سيعود كل شيء إلى ماكان عليه قبل يوم واحد، ماعدا الدستور“.

”لا أعرف أنا خائف أيها المستشار“.

”لا تكن خائفاً، هل البارونه على علم بما حدث؟“

”عندما غادرت المنزل، كانت لا تعرف شيئاً ولكن ربما تعرف الآن“.

”حسناً عُد إلى المنزل وطمئننا إنها بالتأكيد منزعجة“.

وكان سانتوس شاغلا باله وقلقاً بشأن الطلقات النارية، على سبيل المثال، ماذا لو أطلقوا ل نار على الإمبراطور وبرفقته أناس من المجتمع؟ وتذكر الرعب والهلع الفرنسي --- وأزال أيرس الهلع والخوف من رأسه، وقال له الفرصة تصنع الثورة بدون النيه إلى ابتكار وابتداع عبارته جديدة ولكنه يحب أن يحوط بها، بعد ذلك عرض طبيعة الناس اللطيفه في النقاش، وقال له بأن الناس سوف تغير الحكومات دون المساس بالأشخاص، وستكون هناك أيضا لفتات وإشارات بالمرءه والنخوة، ولكي يثبت ويؤكد ماقاله فقد أخبره بواقعه قد أخبره بها صديقه القديم مارشال بوربيير روهان، وكانت تلك الواقعه في زمن الوصايه على العرش، فقد ذهب الإمبراطور الصغير إلى مسرح ساو بيدرو دي الكانتارا، وفي نهاية العرض سمع صديقه أصوات وضوضاء عاليه الصوت بالقرب من كنيسه ساو فرانسيسكو، ثم أسرع وذهب ليرى ماذا يحدث هناك وما تلك الأصوات، وتحديث إلى الرجل الذي يرفع صوته عالياً

بغضب شديد وعلم بأن الحوذي“وهو سائق مركبه الإمبراطور“ لم يخلع قبعته ”أى يبدي احترامه للإمبراطور“ فى اللحظة التى عاد فيها الإمبراطور ليدخل من باب حافلته، وأضاف الرجل قائلاً جملة ماوفى نفس الوقت أخذ الجمهور أيضا يرددون نفس الجملة ولكننى لن أوافق على عدم احترامهم لهذا الفتى“.

ولم يحدث أى تغيير فى تعبيرات سانتوس التى تتضمن بأنه يقدر قيمه أو يفهم هذه الإشارة المجهولة، وعلى النقيض، فيبدو وكأن بكل كيانه قد تخلى عن ما يحدث حالياً فى هذه اللحظة من التعطيل المؤقت للتبادل التجارى وإغلاق البنوك والخوف من الشلل الكامل للعمل لأجل غير مسمى، وبدأ يحرك قدميه وأخيراً نهض وتنفس الصعداء“.

قائلاً ”إذاً مارأيك؟“

فأجابه“أن تذهب إلى البيت وتأخذ قسطاً من الراحة“.

وافق سانتوس على أن يعمل بالنصيحة، ولكن هناك فرق كبير بين الموافقة والإذعان، فقد كان ما يظهره مختلف تماماً عن حالة قلبه، فكان قلبه يدق وكان يرى بعقله كل شىء متدهور أمامه، وكان يريد أن يقول إلى اللقاء ولكنه قام بمحاولتين أو ثلاثة قبل أن يخطو بقدميه خارج المكتب ويمشى إلى السلم، وقد أصر على يقين، بأنه وعندما يرى أو يسمع الجمهور، فإن السلام شىء ضرورى وسوف يكون هناك سلام، وطلب منه مرة بأن يأخذ قسطاً من الراحة“.

واختتم كلامه بـ ”إلى اللقاء“.

”لماذا لا تأتي لتناول العشاء معنا؟“

”للأسف فأنا مرتبط بموعد عشاء الليلة مع أحد أصدقائي في فندق الغرباء، ربما يكون ذلك في وقت لاحق أو غداً، اذهب إلى البارونه والأولاد وطمنئهم، هل ستكون الأولاد على مايرام؟ أنهم سيقاتلون على يقين، واجعلهم متفقيين ويتقبلون وجهات النظر.“

”ربما تساعدني للقيام بذلك، يمكنك أن تأتي الليلة.“

”ربما لو تمكنت من المجيء سوف أحاول ولكن بالتأكيد غداً.“

وغازر سانتوس وكانت تنتظره مركبته وركب ثم واصل طريقة إلى بوتافوغو، ولن يستطيع أن يطمأن زوجته وأخواته وأطفاله لأنه لم يتمكن من بث الطمأنينه والسلام في نفسه بسبب عصبيته لما يحدث في الشوارع ولكنه أيضا كان يريد أن يبقى في الشارع لأنه لا يمتلك كلمات أو نصيحة ليقدمها لنفسه، وكان الفراغ في مركبته صغيرة جداً ولكن يتسع لرجل واحد ولكن بعد كل هذا فإنه لم يتمكن من البقاء هناك طوال فترة الظهيرة، بالنسبة للبقية فكانت الشوارع هادئة، فقد رأى الناس يتجمعون أمام المحلات التجارية ورأى في شارع لارجو دي مارشادو أشخاص تضحك وآخرين هادئين وكانت هناك إثارة واهتياج ولكنها ليست مخيفة“.

بين الأبناء

عندما وصل سانتوس إلى البيت كانت ناتيفيداد مفعمة بالقلق ولم تتلقى أى خبر واضح ومحدد عما يحدث بالخارج، ولم تعرف ماذا يحدث لعامه الشعب ولم تسمع أى شىء من زوجها ولا من أبناءها، فقد غادر زوجها بعد أن بدأت الإشاعات الأولى في الانتشار وقد قام أبنائها بنفس الشىء فور تلقيهم هذه الأخبار، فكانت أول إشارة من أهمهم هى أن تمنعهم من المغادرة ولكنها لم تستطع القيام بذلك فقد سبق السيف العَدَلُ «أى فقد فات الأوان»، ولم تتمكن من أن تبقّهم، لذلك فقد تشبّثت بالسيده العذراء وطلبت منها أن تحفظهم ثم أنت ظرت، وفعلت أختها مثل ما فعلت وكان ذلك تقريباً في منتصف النهار وذلك وعندما كانت الدقيقة تمر كما لو كانت قرن من الزمان،

وكان غضب الأم وقلقها بطبيعة الحال أعلى من قلق الخالة، وكانت ترى ناتيفيداد الوقت يمر كما لو كان مقيداً بأصفاد من حديد ولم تكن هناك بهجه أو إثارة تجعل هذه الساعات الطويلة تمر سريعاً في ساعة المنزل أو في الساعات التى يلبسونها في صُدرتهم هى وأختها، وأخيراً سمعوا صوت عجلات الحافلة على الرمال في الممر الخاص بها، وكان هذا هو سانتوس».

ركضت ناتيفيداد إلى الأمام وأتى إليها سانتوس وعانقوا بعضهم بعضاً، فقد عاشوا حياة طويلة سويماً تنتهى بتحول الحنان والرقه إلى فعل روحانى، وبالرغم من ذلك، فقد بدت مشاعر الزوج وإيماءاته كما لو كانت مزيفه نحو زوجته، وربما أصبح شعوره أقل رقه منها عند زوجته».

وسألت ناتيفيداد عن أبنائها، ورأى سانتوس بأنها يجب أن لا تكون خائفه وأنه ليس هنا أى شىء وأن كل شىء بدأ يأخذ مساره الصحيح الذى كان عليه من قبل وأن الشوارع والطرق هادئة ووجوه الناس مستقرة، ولن يكون هناك سفك للدماء وسوف يستمر النشاط التجارى، وانبثقت فيه الآن ثقة أيرس بنضارتها وبنفس أسلوبه».

وصل الأبناء واحداً يلو الآخر فقد وصل بيدرو قبل باولو، وعند تناول العشاء تحدثوا قليلاً وساق باولو الحديث إلى الأحداث الراهنه بصورة ودية، فقد تحدث مع بعض أعضاء الحزب وسمع ماقد حث الليلة الماضيه وفي الصباح والمسيره وموعد الجماعات المنظمه على الساحه وسمع كلمات اورو بريتو إلى المارشال فلوريانو ورده على هذه الكلمات واستمع أيضاً إلى بيان الجمهور، استمعت الأسره وسألت بعض الأسئلة ولم يحتجوا وهذا النوع من الاعتدال أو الهدوء لا يتناسب تماماً مع حماسة باولو، وكان صمت بيدرو مثل التحدى، ولم يعرف بيدرو بأن أمه قد تضرعت وتوسلت إلى ابنها ببعض القبلات لكي يظل صامتاً».

وعلى النقيض فكان قلب باولو طليقاً وهذا جعل دمه يتدفق مثل البهجه والسعادة، وقد عاشت عواطفه الجمهوريه التى تأسست عليها مبادئه بصورة متحمسه وسريعه الاهتياج هناك وجعلوه يرى عدم شجاعه بيدرو والحاله المكبوتة والمقهوره لباقي الأسرة، وفي نهاية العشاء شرب نخباً للجمهوريه ولكن بهدوء وبدون تفاخر وكان فقط ينظر إلى سقف المنزل ورفع كأسه للأعلى قليلاً أكثر من المعتاد، ولم يرد أحد بأيه كلمة أو إشارة أخرى».

وكان بيدرو بالتأكيد يريد أن يتلفظ ببعض عبارات الشفقة والعطف للنظام الإمبراطوري وأسره براغانكا ولكن لم ترفع أمه عينيها عنه وكأنها تتوسل إليه لكي يظل صامتاً، وبجانب كل هذا فهو لا يعتقد بأنه قد تغير أي شيء برغم القرارات والتصريحات، وتصور بدرو بأن الجميع من الممكن أن يظل كما كان من قبل سوى تغيير الأشخاص الذين يعملون لدى الحكومة».

وغادر باولو مباشرة بعد العشاء، ووعدهم بأن يعود مبكراً، وكانت أمه لا تريده أن يذهب إلى الخارج وذلك خوفاً منها بأنه قد يوقع نفسه في ورطة؛ ولكنها وافقت على ذلك لخوفها الآخر وهو أن الأخوين سوف يتشاجرون في النهاية، وهكذا فإن أحد مخاوفها قد تغلب على الآخر، مما جعلها تمنحه الشيء الذي تخافه، وهذا ليس بأقل أهميه بأنها فكرت وأقنعت نفسها بالحجه والمنطق « أي حاولت أن تقنع نفسها بأن مخاوفها لا مبرر لها» وذلك قبل أن تقرر أو تعطى القرار لباولو بالخروج وهي نفس الطريقة التي كتبت بها الصفحة السابقة، ولكننا، ناتيفيداد وأنا في نهاية المطاف تركنا الأحداث تأخذ مجراها بدون مقاومة منها ولا تعليق مني».

الاسباتي والبستوني

جاء أصدقاء الأسره للزياره ويجلبون معهم الأخبار والإشاعات، وكانوا مختلفين إلى حد ما، ولم يكن هناك عموماً رأى أو اعتقاد

ثابت وأكد عن العواقب أو النتيجة للأحداث الراهنة، ولم يعرف أحد أن كان أنت صار هذه الحركة السياسية عمل صالح أم عمل شرير؛ ولكنهم فقط يعرفون بأنه فعل واقع، وهكذا فإن السداجه في أن يقترح شخص ما بلعب لعبه الهويست «ضرب من لعب الورق» المألوفة، ورغبه الاخرين القوية في قبول هذا الاقتراح، وبينما يصرح سانتوس بأنه لن يلعب، فقد قاموا بترتيب أوراق اللعب وقُدمت رقاقات البطاطس المقلية وكان الآخرون على رأيهم وأن هناك لاعب ناقص وبدون هذا اللاعب لن تكتمل اللعبة، وأراد سانتوس أن يقاوم كل هذا، وأن هذا لن يكون مناسباً بأن يروح عن نفسه باللعب في نفس اليوم الذي سقط فيه النظام الملكي أو الذي سيسقط فيه النظام الملكي، ولم يفكر في هذا بصوت عالٍ أو بهدوء ولكنه كان يتحدث لنفسه وربما أنه قرأها في وجه زوجته، وربما يجد الحجة للمقاومه لو أنه بحث عن شخص ولكن أصدقائه وأوراق اللعب لن يسمحوا له بالبحث عن أى شيء، وأنت هى به المطاف بالموافقة على اللعب، من المحتمل أن موافقته كانت بناءً على نزعتة الداخلية، وهناك الكثير من الأشياء التى تحتاج إلى أن نستدرجها هنا كتنازل التأييد أو التنازل الشخصى، وفي الواقع، فقد وفى آص الإسباتى وآص البستونى بالمراد أو أدوا الغرض المطلوب منهم فى تلك الليلة تماماً مثلما فعلت الفراشات والأرانب، والرياح وأمواج البحر، وتآلق النجوم ونوم المواطنين».

طيلة الليل

غادر باولو منزله ذهباً إلى بيت أحد أصدقائه، وبدأ الاثنان يبحثان عن آخرين من نفس عمرهم وبنفس صداقتهم الحميم، فقد ذهبوا إلى الصحف والجرائد، وإلى الثكنات العسكرية في كامبو، وقضوا بعض الوقت أمام منزل ديودورو، واستمتعوا برؤية الجنود وهم يمشون على أرجلهم أو وهم يمتطون جيادهم، وطلبوا منهم السماح لهم بأن يهرون ويتحدثون إليهم، ويقدموا إليهم السجائر، وكان هذا حق ممنوح فقط للجنود، ولم يعرض أياً من الجنود بأن يخبرهم بما قد حدث وأنهم لم يعرفوا أى شيء مما حدث».

ولم يهتموا بذلك لأنهم فعلوا ما يريدون، وكان باولو أكثرهم حماساً وأكثرهم جراءة وثقة في النفس، أما بالنسبة للآخرين وهم الشباب كانوا يريدون أن يعرفوا ما حدث وأن هذا مذهب أو عقيدة، ولكن أخذ ابن سانتوس في إنعاش جميع أفكار النظام الجديد في ذهنه وأخمد الأفكار الأخرى التي لم تتما لموافقة عاليها حتى الآن، وأنه سوف يقاتل من أجلهم وكانت عنده الرغبة في إيجاد شخص مافي الشارع يصيح بصيحة واحدة والتي ستعتبر في ذلك الوقت صيحة محرزة على الفتنة ويحطم رأسه بعصاه، لاحظ بأنه قد نسي عصاه أو أنه قد فقدتها، ولكنه لم يلاحظ هذا، ولو سنحت له الفرصة لذلك، فسوف يستخدم يديه المجردة».

واقترح بأن يقوموا بغناء أغنية لامارسييز، ولكن الآخرين لم يريدون أن يتمادوا في ذلك، وليس ذلك بسبب أنهم خائفين ولكن لأنهم منهكين أو متعبين، وقد تمكن باولو من مقاومة التعب واقترح عليهم بأن ينتظروا حتى طلوع الفجر».

«دعونا ننتظر شروق الشمس على قمة تل أو على شاطئ فلمنكى،
ولدينا الوقت غداً كي ننام».

قال أحدهم «لا أستطيع القيام بذلك».

وكرر الآخرون رفضهم لهذا الاقتراح واتفقوا على العودة إلى منازلهم، كانت حوالى الساعة الثانية صباحاً، ورافق باولو جميعهم إلى منازلهم وعندما وبعد أن رافق آخر شخص منهم إلى بيته عاد هو بمفرده إلى منزله».

وعندما دخل البيت، وجد أمه فانتظاره وهى فى حالة من القلق والندم على إنها سمحت له بالخروج من المنزل، ولم يجد باولو سببا يبرر تأخيره خارج المنزل وما كان منه ألا ألقى باللوم على أمه لانتظاره كل هذا الوقت وعدم ذهابها إلى النوم، اعترفت ناتيفيداد بأنها لم تتذوق طعم الراحة حتى عرفت بأنه عاد إلى البيت سالمًا وقبلوا بعضهم البعض وتحديثا بصوت منخفض ثم قبلوا بعضهم مرة أخرى وقالوا طابت ليلتك أو تصبح على خير،

وقالت ناتيفيداد «انظر»، «لو وجدت بيدرو مستيقظاً لا تخبره أو تسأله أى شىء، فقط أخلد إلى النوم وغداً سوف نعرف كل شىء عما حدث بالأمس».

ودخل باولو إلى حجرته مشياً على رؤوس أصابعه لكي لا يحدث ضجة، وما بقيت سوى الحجرة الفسيحة التى تشاجرا فيها التوأم بسبب تمثالين قديمين لروبيسبلير ولويس الرابع عشر، أما الآن فهناك ما هو أعظم من التماثيل ألا وهى ثورة فقط ساعات قليلة

في الماضي وهناك حكومة جديدة، ولم يحاول باولو ليرى أن كان بيدرو مستغرقاً في نومه أم لا، مطيعاً لنصيحة أمه برغم أنه كان مرتاب بأنه لم يكن نائماً، وفي الواقع، لم يكن بيدرو نائماً، ورأى بيدرو حذر باولو وأنه قد أطاع نصيحة أمه، وزعم بأنه لم ير شيئاً، ونجحت النصيحة نجاحاً عظيماً؛ ولكن مع قليل من التأمل مع نفسه قام باولو بغناء أول مقطع من أغنية لامارسييز التي رفض أصدقائه غنائها بالخارج».

هيا يا أبناء الوطن لقد أشرقت شمس النصر

وأدرك بدرو الأغنية واستنتج أن نية الآخر كانت لإثارة غضبه، لم تكن كذلك، ولكن ربما تكون كذلك، وكان متردد بين الرد والصمت حتى راودته فكرة رائعة خطرت على عقله وهي أن يرتم بهدوء الجزء الثاني من المقطع «انتظرو في مواقعكم». والذي يشير إلى الجنود الأجنبية، ولكن ليغير المقطع من معناه التاريخي ليشير إلى الجنود القومية، وكان هذا نوع مبهم من أنواع الثأر، ولم يكمل باولو الأغنية، ثم خلع ملابسه بدون أن يتجرد من أفكاره وأحلامه السياسية، ولم يذهب إلى سريره على التو، فقد ذهب أولاً إلى أخيه ليرى أن كان نائماً أم لا، وتنفس بدرو بشكل طبيعي كما لو لم يفقد شيئاً منه، وكانت عنده النزوة ليوقطه ويصيح في وجهه بأنه قد خسر كل شيء، ذلك لو كانت فعلاً المؤسسة المهزومة تمثل أي شيء على الإطلاق».

ولم ينم هذا ولا ذاك، وعندما لم يأت النوم فأخذ يفكران في أحداث اليوم، ثم بعد ذلك فكرا ملياً فيما يمكن أن يحدث في اليوم القادم

وما هي مضاعفات أو النتائج غيرالمباشرة لتلك الأحداث، لا تكن مندهشاً بأن هذه الأحداث لم تصل إلى نفس النتائج».

وفكر باولو ملياً في «وكيف سول لهم الشيطان فعل ذلك بدون أن يفتنهم أحد؟». «وربما يكون هذا أكثر تمرداً، بالتأكيد هناك مؤامرة، ولكن المتراس «للدفاع يُستترّ به من العدو» لن يفعل أى ضرر، كيفما كان ذلك فقد فزنا بالمعركة، وأنه من الضروري الآن أن نطرق على الحديد وهو ساخن ونجدد الحركة و نناضل من أجلها، ويعد ديودورو من الأشخاص الرائعة، وقالوا بأن دخول المارشال إلى الثكنات وخروجه منها ودعمه للجنود كان مهيباً ورائعاً جداً، وربما من السهل جداً: القول بأن النظام الفاسد قد سقط من تلقاء نفسه».

وبينما كان يقلب باولو هذه الأفكار في رأسه، كان بدرو يفكر في النقيض لها، وكان يسمى الحركة بالجريمة».

وأضاف بأنها كانت «جريمة وغير موضوعية بالإضافة إلى كونها جاحدة، وكان ينبغى على الإمبراطور أن يأخذ زعماء الثورة ويعدمهم، ولكن لسوء الحظ كان الجنود يقفون بجانبهم، ولكن لم ينته كل شيء، وكانت هذه بمثابة انتشار النار في الهشيم وفي غضون أيام قليلة سوف تُخمد هذه النيران وسوف يعود ماكان من قبل إلى وضعه السابق، وسوف أجد مائتين غلام جيدين وجاهزين وسوف نجعل هذه الفوضى في حالة منظمة، وسوف يرون بأن الإمبراطور لن يترك هذا المكان ولو لم يريد ذلك فإنه يجب عليه أن يمارس السلطة، أو يجب على ابنته القيام بذلك ولو لم تكن هي يقوم

بذلك حفيده، وعلى أية حال قام هو بممارسة السلطة».

وفي النهاية تضمنت هذه المناجاة الفردية ثلاثة نقاط متتالية وهي أن الأفكار أصبحت متفرقة ومشتتة وغامضة وتكرارية حتى غلب الأولاد النعاس، وأثناء نعاسهم توقفت الثورة والثورة المضادة، ولم يكن هناك نظاما ملكيا ولا نظاما جمهوريا، ولا دومبدر أو المارشال ديودورو، ولا أى شيء تفوح منه رائحة السياسة، وحلم كل منهما بخليج بوتافوجو الجميل، والسماة الصافية، والأصيل المشمس، وشخص واحد فقط وهي: فلورا».

في الصباح

فتحت فلورا عين كل منهما واختفت بصورة سريعة جداً لذلك فإنهم تمكنوا من رؤية حاشية ثوبها وشعرها الناعم بصعوبة، وأحدق كل منهما إلى الآخر بدون عداوة أو ضغينة واضحة، أدى خوف أحدهما وأمل الآخر إلى حالة من الصمت والهدنة، وأسرعوا إلى الجرائد، تمنى باولو بأن يقرأ خبر بوجود خيانة مخيفة وحقماء بعض الشيء في الفجر، وتمنى بيدرو أن يقرأ في لجريدة قرارا إمبراطوريا بالعفو العام معلقاً ذلك على فكرته الغامضة وهي إعادة الوضع إلى ماكان عليه سابقاً، ولم تكن هناك خيانة ولا قرار، وهرب الملل والخوف من هذا العالم.

على البيانو

على الرغم من أنهم رأيا فلورا في منامهما إلا إنها لم تحلم بالجمهورية، فكانت تعيش ليلة من الليالي التي ينام فيها التخيل أيضاً، بدون عيون أو إذن أو في الغالب فيمكننا تشبيهها كما لو كانت شبكية العين لا تسمح لصاحبها بالرؤية الواضحة أو كما لو كانت الأذن تخلط أو تشوش لصاحبها بين صوت نهر وعواء كلب بعيد جداً، ولا أستطيع تعريف هذه الليلة أو وصفها بطريقة أفضل من ذلك بدون الحاجة إليها، فكل واحد منا سوف تمر عليه ليال كحيلة وخرساء وساكنة مثل هذه الليلة».

ولم تحلم حتى بالموسيقى، مع إنها بالفعل قد عزفت بعض القطع الموسيقية المفضلة لها في هذا المساء، وقامت بعزف تلك القطع الموسيقية ليست فقط لأنها تحبها ولكن أيضاً جعلتها كوسيلة للهروب بها من خوف وفزع والديها الجدير بالاعتبار، لا يستطيع أحد أن يصدق بأن هذه المؤسسة السياسية قد سقطت وتغير كل شيء تماماً، وحتى دوناً كلوديا ليس لديها في الغد وسألت زوجها ما أن كان فهم جيداً مارأى، وطلبت منه بأن يكرره مرة أخرى، عض شفتيه وضرب بيده على ساقه وتقدم ثم روى مرة أخرى الأحداث والأخبار، التي لُصقت على أبواب مكاتب الصحف والجرائد، وحبس الوزراء وأصحاب المناصب، وزال كل شيء واندثر».

لم تكن فلورا كارهة ومبغضة للأمل والشفقة، كما تعرفون، ولكنها لم تستطيع بأن تتعايش مع اضطراب وانفعال أبويها ولجئت إلى البيانو والموسيقى كوسيلة للتخلص من هذا، واختارت لحناً موسيقياً ولم أعرف أى لحن هذا، والذي كان كافياً لينقلها بعيداً عن الحاضر، وكانت الموسيقى بالنسبة لها الميزة التي تأخذها بعيداً عن الحاضر والماضى والمستقبل، وكان ذلك مثلاً أعلى في الصفاء والنقاء شيء ما خارج نطاق الزمان والمكان، وعندما توقفت سمعت عبارات غير دقيقة من أمها أو والدها: «ولكن كيف كان ذلك؟»، «لقد تم كل شيء في سرية تامة». «هل كان هناك إراقة للدماء؟». وبين الحين والآخر كان يقوم أحدهم بعمل إيماءة أو إشارة للآخر، ولكنها لم تتمكن من رؤية تلك الإيماءات، وتحدث والدها كثيراً ولكن كان ذلك بصورة مشوشة، وجلبت أمها نوعاً آخر من النشاط في الحديث، والتزمت الصمت لدقائق قليلة كما لو كانت تفكر، على النقيض تماماً لزوجها الذي يحك رأسه ويهز يديه بقوة ويتنهد وعندما يفكر».

وأنشد البيانو الخاص بابنتهم بهذا النغمات، لا، لا، دو، ري، صول، ري، ري، لا، أو بالنغمات الموسيقية الأخرى التي تدعوا أو تحث على الهروب من الطبيعة البشرية ونزاعها».

ويستطيع الفرد أيضاً أن يجد في اللحن الموسيقى التي تعزفه فلورا نوعاً من الانسجام مع اللحظات الحالية، وليست هناك حكومة نهائية ومحددة بوضوح، فقد كانت روح المرأة الصغيرة في تناغم مع أول ضوء عند تجلى النهار أو آخر وهيج عند غروب الشمس

وزوالها عن كبد السماء — كما تتمنون — وذلك وعندما يكون هناك شيء واضح وذلك يدعوا الفرد بأن يترك سريره ويضئ الشموع، وفي الغالب ستكون هناك حكومة مؤقتة، ولكن فلورا لم تتفهم الصيغ والأسماء المتعلقة بالسياسة، وأحضر اللحن الموسيقى الإحساس بالاحتياج المطلق أو الافتقار الأساسي للحكومة، وفوضوية البراءة الأولية أو البدائية في هذا الركن من اللجنة التي خسرها الإنسان بسبب العصيان وسوف يستردها يوماً ما عندما يقدم الكمال والتهديب النظام والوضع الأبدي أو السرمدي، وبعد ذلك لن يكون هناك تقدم أو نكوص ولكن فقط الاستقرار، وسوف يحضن صدر إبراهيم جميع الأشياء والأشخاص، وتصبح الحياة كما لو كانت سماء صافية، وكان ذلك ما أخبرته به مفاتيح البيانو والنغمات الموسيقية بدون كلمات، رى، رى، لا، صول، لا، لا، دو».

الخاتمة الخاطئة

استمرت الأحداث، تماماً مثل الأزهار التي تزدهر وتحافظ على ازدهارها فهناك بعض الأزهار التي ازدهرت لتزين آخر حفلة في السنة، وأخرى ماتت في عشية الثورة، واستخرج الشعراء ونظام الحكم صوراً من هذه الحقيقة ليتغنوا بسعادة العالم وحزنه، والفرق بينهما هو أن الأخير أخمد اشتياقه وتلهفهم بينما الأول افتخر وأقام حفلة بعربدته ولهوها الصاحب، واستمرت الأزهار في الازدهار والموت تماماً كما كانت من قبل.

جمعت السيدة كلوديا ورود آخر نزهة في السنة، وتعتبر هي السنة الأولى للجمهورية وزينت ابنتها بها، وأطاعت فلورا أمها وقبلت تلك الورد، ورافق باتيستا رجل العائلة الأول زوجته وابنته إلى الحفلة، ولازمهم باولو أيضا بسبب الشابة الصغيرة والنظام، ولو أنه أجرى مداولة أو حديث مع الحاكم السابق وقال له جميع الأشياء الجيدة التي فكر فيها عن الحكومة المؤقتة، فإنه لن يسمع كلمات تنفيذ بالموافقة أو عدم الموافقة، ولم يتعمق باولو في إدانة الرجل، لأن الشابة الصغيرة اجتذبتته وأن حبه إليها أكثر من حبه لأبيه.

وجدت فلورا تشابهين حفلة جزيرة إيلها فيزكال وهذه الحفلة، بالرغم من إنها حفلة متواضعة وخاصة، فهذه الحفلة قُدمت من الشخص الذي قام بعمل الدعاية ونشر الدعوة للجماهير، وكان هناك أحد الوزراء بالرغم من أنه لم يبق سوى نصف ساعة فقط، ومن ثم غياب بيدرو على الرغم من أنه تلقى دعوة لهذه الحفلة، فقد شعرت فلورا بغياب بيدرو، تماماً كما شعرت بغياب باولو من قبل على الجزيرة، وكان هذا هو وجه التشابه بين الحفلتين، وهو أن الحفلتين شهدتا غياب أحد التوأمين.

سألت فلورا «لماذا لم يأت أخاك إلى الحفلة؟».

تردد باولو ثم بعد لحظات قليلة أجاب قائلاً: «بأن بيدرو صعب المراس»، «فقد أصر على رفض الدعوة، وهو يعتقد بطبيعة الحال بأن النظام الملكي احتكر فن الرقص، لا تنتهي إليه، فإنه طائش ومجنون».

«لا تقول هذا».

«وهل تعتقد أيضا بأن الرقص قد أنت هي بسقوط الإمبراطورية؟».

«لا، والدليل هو أننا نرقص الآن، ماقصدته هو إنك لا ينبغي عليك أن تذكرى له أية أسماء شريرة وبغيضة؟».

«إذاً هل تعتقد بأن بيدرو رقيق الإحساس والمشاعر؟».

«بالطبع، مثلك تماماً سيدي؟».

«ولكن».

وكان باولو على وشك أن يسألها أى منهما سوف يستحق قسمها لو اضطرت إلى أن تقسم على واحد منهما، ولكنه توقف في الوقت المناسب، ثم اشتكت فلورا من شدة الحرارة ووافقها باولو الرأي بأن الجو حار جداً، وسوف يعتقد باولو بأن الجو بارد لو اشتكت من شدة البرودة، ولو استسلمت لوجهة نظرها فإنها أيضا ستكون قادرة على قبول جميع آراء باولو لتحذو حذوه، وللأمانة كان باولو متقد الذكاء ولكن كان لديه أسلوبا وقحا في الكلام أو السلوك، والتفت بأفكاره إلى الماضي وأكد بأن ما قد كتبه قبل عام كان له أثر فعال في القيادة والإرشاد في الجمهورية، رغم أن هناك أفكار محددة قد اقترحها ودافع عنها لم تكتمل بعد وسوف تحقق هذه الأفكار يوماً ما، وهذا ما قد أخبره للشابة الصغيرة وهي تستمع إليه بسرور بدون أن تشاركه الرأي، وكانت هي فقط رغبته بالاستماع إليه، وعندما طُرحت ذكرى بيدرو مرة أخرى إلى عقلها أضع وأخمد

الحزن سعادتها، ولكن تغلبت السعادة بعد ذلك على الحزن وهكذا أنت هت الحفلة، ووجدت السعادة والحزن ملجئاً أو مأوىً في قلب فلورا مثلما وجدا التوأمن أيضاً ملجئاً في قلبها، انتهت الحفلة، وهذا هو الفصل الذى لن ينتهى بدون ترك بعض المجال لكل من يريد أن يفكر فى ذلك المخلوق أو الشخص، ولم يتمكن والدها ولا والدتها من فهمها ولا الرجلين الصغيرين وربما تكون ناتيفيداد وسانتوس هم الأقل فهماً لها دون الآخرين.

وإنه من الصعب تعيين وتحديد اسم لمهنتها، ولست مطالباً وملزماً بأن أحدى القصة بكلمات دقيقة، فأنا أفضل أن لا أذكرها ولكنكم تعرفونها وهنا ستتوقف، وربما تستنتجون أن فلورا كانت مغازلة، وأنها ليست كذلك ولكنكم أخطأتم فى الاستنتاج.»

عزيزى القارئ، إنه من الأفضل أن نتبرأ من هذا الآن من أن ننتظر حتى أخبركم به وقت آخر، لم تعرف فلورا حلاوة الحب، وربما تدعون فلورا بأنها كانت مغازلة اعتيادية، والغزل هو ثمرة، وفى بعض الأحيان يكون غصن الحقيقة، وذلك لو تطلبت المهمة ذلك وسمحت المناسبة بذلك، وأنه من الضرورى أن نضع فى اعتبارنا بأن قصة الخبير فى القانون الدولى، الذى أنت هى به المطاف كعضو فى مجلس الشيوخ، وكتب ضد أعدائه الوزاريين كتاب «شجرة الكرز لا تثمر حبات المانجو». لا، فلورا كانت لا تريد أن يكون لها عشاق.»

والدليل على هذا هو إنها فى الولاية التى كانت تعيش فيها

مع والدها ووالدتها للسبب الذى سوف أخبركم عنه بصورة مختصرة، لم يبلغ أحد نظرة منها أو حتى كلمة رضا، وهناك أكثر من شاب كان يمضى وقته فى التودد إليها ومغازلتها، وقدموا لها الكثير من الأحذية والمونوكل «وهى نظارة أحادية الزجاج» بألوانها المختلفة وكثير من الإيماءات والعدسات وكل ذلك كله بدون الحصول على أى شىء منها سوى اهتمام مهذب ودمت الأخلاق أو ربما كلمة ليس لها معنى».

وكانت فلورا دائماً تتذكر التوأمن، وإذ لم ينساها أحدهما فهى لم تتخل عنهما أبداً فى ذكرياتها، وعلى النقيض، فقد أرسلت خطاباً إلى ناتيفيداد مع كل عربات البريد تطلب منهما أن يتذكروها دائماً، وكانت تتحدث الخطابات قليلاً عن الأرض والناس ولم تقول أى شىء خير أو شر، واستخدمت فلورا كلمة «التشوف: أى الرغبة الشديدة». مراراً وتكراراً ليقراها كل واحد من التوأمن كما تعنى وتحلو له، وقد كتبوا لها أيضاً فى الخطابات التى تُرسل إلى دونا كلوديا وباتيسستا بنفس المعنى الثنائى والغامض التى تستطيع فهمه جيداً.

وبالتالى ظلوا بعيدين عن بعضهم لمدة طويلة هى وكلاهما، وواصل النزاع القديم الذى أوقع الشقاق بينهما فى الحياة ليقوع الشقاق بينهما فى الحب، وأنه من الممكن أن يكون لكل واحد منهما فتاته التى يحبها ويتزوجها وينجب منها أولاده، ولكنهم فضلوا بأن يحب كل منهما نفس الفتاة التى يحبها الآخر، وأنهما لا يريدان أن ينظرا إلى العالم بعيون أخرى، ولا يسمعان كلمات أرق

وأنعم، ولا موسيقى أخرى قبل وأثناء وبعد مهمة باتيستا».

المهمة

هربت الكلمات منى، وبالفعل تولى والدها القيام بالمهمة ولا أعرف شيئاً عنها، وهى أيضاً لا تعرف شيئاً عن تلك المهمة التى ربما إنها أعمال سرية، ولقبتها فلورا باسم مهمة من الجحيم وقد وافقها والدها الرأى عقلياً بدون أن يتعمق فى هذا الموضوع، ورفض شفهيّاً هذا الوصف».

قائلاً: «لا تقولى هذا فلورا، إنها مهمة سرية لأغراض سرية نبيلة».

من الممكن أن أصدق هذا ولكن ذلك يعتمد على معرفه هدف تلك المهمة المحدد والحقيقى، ولا يعرف الفرد أيضاً من أين تلك الثقة الغير اعتيادية التى وضعتها الحكومة فى باتيستا فى نهاية المطاف، ونحن على علم بأنه قد رفض وسام الشرف وذلك وعندما ذهب إليه أحد أصدقائه المقربين إليه ودعاه إلى قصر القائد العام، وقد رأى بأنه أصبح متعارف عليه أو معروف بشخصيته البارعه والمهذبة وقدرته على العمل، وبالرغم من أن تلك المهمة كانت بغيضه إليه ألا أنه كان على عكس مقاله فى المراسلات الرسمية، وتوحى هذه الوثائق إلى قلوب المؤلفين بأن باتيستا يبدو وكأنه يريد أن يحقق المعاهدة والسلام بالقوة والحماس، ولكن هذا ليس هو أسلوب باتيستا، فقد أغلق باتيستا قلبه وترك مشاعره وراء ظهره وعندما كان يكتب هذه المراسلات، وقال وهو يتنهد «قد حان الوقت لأصبح حاكماً».

ومن حيث اهتمام دونا كلوديا بهذا الأمر، فكانت تتمنى أن لا ترى نهاية لهذه المهمة التي أعادت زوجها إلى العمل السياسى، وكانت تفتقر إلى شىء واحد فقط وهو: المعارضة، وعدم وجود جرائد تكتب عنه بصورة سيئة، ومتعتها عند قراءة إهانات خصومه له كل صباح، لتقرأها مراراً وتكراراً بأسمائهم القبيحة مثل الجلد بالسوط الذى يمزق جسدها ويثيرها فى نفس الوقت والتي لن تستطيع تلك المهمة السرية أن تمنحها تلك الرغبة والمتعة، وعلى النقيض كان هناك نوع من الخلاف فى إيجاد مفوض عادل، واسترضائى، وموضع إعجاب، وعنده نزوع مدنى، وطاهر الشخصية، ولقد اكتسبت كال هذه الخبرات من قبل، ولكن لكى تجد مفوض يمثل هذه المميزات فإنها لا بد وأن تمتزج دائماً بالإهانة وتشويه السمعة والافتراء، وبدون ذلك تكون مثل الماء الفاتر الذى تعوزه الحماسة.

النكوص

دعا باتيستا إلى العودة إلى عهد البيانات التحررية وأراد أن يكتب بياناً، وذلك وعندما ألغى ديودورو المجلس التشريعى الوطنى فى ٣ من نوفمبر، وبدأ فى كتابته بصورة سرية مستخدماً تعبيرات جميلة الذى يعرفها عن طريق القلب، واقتباسات لاتينية، واثنان من الاستطرادات أو ثلاثة، وأوقفته دونا كلوديا على جرف شفا الكارثة بأسباب دقيقة وواضحة، ومن الممكن أن يكون انقلاب الدولة أمر مفيد أكثر من أى شىء آخر، وأصبحت الحرية أو التحرر

غالباً يتم تأييدها من قِبَل من يختنقون منها، وعلاوة على ذلك، شجع الرجل نفسه الذي كان ينادى بالتححرر الأمة لتعلن بما تريده، ولتعديل الدستور ما عدا أجزائه الأساسية، وتكفى كلمة القائد العام، مثل سيفه تماماً لحماية وتحقيق بداية العمل، ولم تستخدم دوناً كلوديا أسلوبها الخاص، ولكنها تعرف كيف توصل غضب إيدانتها إلى قلب رجل ذو نية حسنة، وبعد أن استمع باتيستا إلى كلمات دوناً كلوديا وفكر فيها جيداً، ضرب على كتفها ضربة خفيفة وقال لها: «أنت على حق، عزيزتي».

ولم يمزق الورقة التي كتبها، ولكنه أراد أن يحتفظ بها كمذكرة، وكدليل على أنه كان قد على وشك أن يكتب خطاباً إلى الرئيس، وأخدمت السيدة كلوديا الفكرة وأخرجتها من رأسه تماماً، وليس هناك حاجة لإرسال مصادقته، ويكفى بأن يواصل مهمته».

«أليست الحكومة مقتنعه بك؟».

«نعم إنها كذلك؟».

«وعندما يلاحظون بأنك مخلص في أداء المهمة، سوف يستنتجون إنك قد وافقت وصدقت على كل شيء وهذا يكفي».

وقد وافقها الرأي بعد لحظات قليلة قائلاً «نعم، كلوديا»، وعلى النقيض، فإن أي شيء آخر قد تكتبه ضد الجمعية التشريعية المحرصة على الفتنة التي ألغها الرئيس سيبدو وكأنه افتقار للشفقة، «أنت على حق، عزيزتي».

وظل صامتاً واتبع تعليماتها، وبعد عشرون يوماً سلم أو أحال
المارشال ديودورو السلطة أو الحكومة إلى المارشال فلوريانو، وتم
تأسيس المجلس التشريعي مرة أخرى وإلغاء القرارات التي صدرت
في ٣ نوفمبر».

واعتقد باتيستا بواقع تلك الحقائق بأنه سوف يموت، وظل صامتاً
للحظات قليلة ولم تجد السيدة كلوديا أبسط كلمات النصح
لتقدمها إليه، ولا يستطيع أحد أن يتوقع تقلب وتقدم الأحداث
بهذه السرعة، حدثاً يلو الآخر، في مثل هذه الفوضى التي بدت مثل
الفرار الجماعي لحشد من الناس، فقط عشرون يوماً من القوة
والسلام، والآمال والمستقبل العظيم، وبعد يوم آخر تحطم كل شيء
وأصبح كالبيت القديم».

وما كان على باتيستا الآن إلا أنه قد أدرك الخطأ الذي ارتكبه
وعندما استمع إلى زوجته ونهج نهجها، ولو أنه أنهى بيانه وقام
بنشره في اليوم الرابع أو الخامس من نوفمبر، سيكون لديه وثيقة
إثبات على مقاومته ليستحق مكانه من الشرف أو على الأقل
ليستحق شيئاً من التقدير والاحترام، وقرأ البيان مرة أخرى وفكر
في طباعته حتى لو كان غير كاملاً، وكانت لديه أفكاراً جيدة، مثل
هذه الفكرة: «يوم الظلم هو فجر الحرية». واستشهد بمسير رولاند
الجميل إلى المقصلة «وهي آلة الإعدام» قائلاً: آه، يا حرية، كم من
الجرائم قد ارتكبت باسمك». وجعلته كلوديا يرى أنه قد فات
الأوان، وقد وافقها الرأي».

«نعم قد فات الأوان، ولكن في ذلك اليوم لم يكن الوقت متأخراً،

بل كانت اللحظة المناسبة للانطباع الصحيح».

جعد باتيستا الورقة وهو مشمت الذهن، ثم جعلها انسيابية مرة أخرى واحتفظ بها، واختبر ضميره على التو، بتفكير عميق وإخلاص، وقال بأن المقاومة كانت هي الطريقة الأمثل؛ ولو أنه قاوم كلمات زوجته لأصبح الوضع مختلفاً تماماً، وأجرى امتحاناً دقيقاً لضميره نفسه، واعتقد بأنه من الجيد أن يسد أذنه ويواصل مايفعله، وأصرَ على هذه النقطة، بأنه لو يتمكن من إرجاع الوقت لكان فعل مايتوجب عليه فعله دون أن يستمع إلى أى شخص، وأنه بالتأكيد سيفعل أى شيء مختلف تماماً ويغير مصيره».

ووصلت بعد ذلك برقية أو تلغراف ليوقف باتيستا ويزيحه من هذه المهمة السرية، وكانت العودة إلى ريو دي جانيرو حزينه ومأسويه بدون الألقاب التي جعلته سعيداً لبعض الشهور، وبدون أصحابه ورفاقه، ولكن هناك شخص واحد فقط كان سعيداً بما حدث وهى ابنته التي كانت تصلى وتدعى دائماً بانتهاء هذا الاغتراب والبعد عن الوطن.

قالت لها أمها على متن السفينة«يبدو أنك سعيدة بمحنة أبيك وأنه قد منى بالفشل في أداء مهمته».

«لا يا أمى، أنا سعيدة بانتهاء هذا الملل والسأم، ويستطيع أبى القيام بأعماله السياسية في ريو دي جانيرو، حيث يقدره الناس حق قدره، ولو كنت مكان أبى بمجرد أن أنزل من السفينة سوف أذهب إلى المارشال في الحال وأشرح له كل شيء وأخبره بما فعلته، وسوف

أقول أيضا بأن هذا الإقصاء من تكملة المهمة قد جاء في الوقت المناسب جداً، وبذلك لن يبدو منزعجاً بذلك، وبعد ذلك يطلب منه في الحال أن يعينه منصباً هناك».

وبرغم مرارة الوقت الحاضر ألا أن السيدة كلوديا كانت سعيدة برؤية ابنتها وهي تفكر في الشؤون السياسية وتقدم النصيحة، ولكن كلوديا لم تلاحظ مثلما لاحظ القارئ بأن حديث الفتاة لم يكن لمغادرة العاصمة، ولا لتأسيس مجلسها التشريعي هنا والذي سيكون مجلساً تشريعياً مستقلاً كما في ريو جراند دو سول، ولكن أية غرفة من غرفتي بيدرو وباولو سينتهى الحال بتلك القوة السياسية الأنيقة؟

وحضر كلاهما على متن السفينة بمجرد دخول الباخرة في ميناء رى ودى جانيرو، ولم يذهبا إلى هناك في زورقين ولكنهم ذهبوا في نفس الزورق وقفزا على السلام الخشبية التي توصلهم إلى متن الباخرة بخفة ورشاقة وكانا على وشك السقوط في البحر، وكان السبب لهذه الرشاقة التي قفزا بها من الزورق هو طموح كل واحد منهما في أن يكون هو أول من يحيى ويسلم على المرأة الصغيرة، كمرأته على الحب والتي جعلتهما متساويين إلى قلبها، وفي النهاية وصلوا وفي الحقيقة لست متأكداً أي واحداً منهما قد حياها أولاً، ربما الاثنين قد سلما عليها معاً في نفس الوقت».

علاقه نصيه أو مرجع نصي

وقبل الاستمرار فمن الضروري القول بأن أيرس لم يشير إلى بصورة شاملة إلى بعض الأشخاص ولكنه أشار إلى شخص واحد فقط، واسمه نوبريجا، وقبل أن يلقب بأى شيء كان مجرد بائع متجول عديم الضمير فقد باع ضميره من اجل تحقيق غايته والذي قابل ناتيفيداد وبربيتوا في شارع سان خوسيه، على حافه كنيسة الرحمة، ويجب أن لا ننسى بأن ناتيفيداد وعندما كانت في بداية حياتها كأم تركت ورقة نقديه بمبلغ ٢٠٠٠ ريس «وهى وحده نقد برتغاليه أو برازيليه قديمه» في قَصَّه جامع الصدقات، وكانت الورقة جديدة وجميلة، وقد أنت قلت من القصة إلى جيبه ولم يحدث ذلك دون مقاومة».

وبعد شهور قليلة، نوبريجا ذهب إلى مطهرات أخرى «جمع مَطَهْر وهو مكان تطهر فيه النفوس بعذاب له أجل محدود في اعتقاد المسيحيين» والذي وجد فيها أثواب، وقصعات، وأوراق نقدية، وصدقات أخرى كثيرة، أيد أن أقول بأنه واصل عمله في مهن أخرى، فقد غادر المدينة أو ربما غادر البلاد لفته وجيزة، وعندما عاد فقد جلب معه قليل من الأموال التي جعلت ثروته تزداد إلى الضعف والضعفين وثلاثه أضعاف، وبدأ بعد ذلك عصر المضاربه المالىه المشهور، وكان كل ذلك من الصدقات العظيمة والمطهر الجليل،

ومن الممكن أن تكون هناك كثير من قصعات جمع الصدقات وغيرها من الأشياء التى تستقبل الأوراق المالىه قد واجهت نفس مصير القصة الأولى، وقد رآه أيرس في نفس الوقت تقريباً في عربه وكان يخرج رأسه من النافذه ويلوح كثيراً ويحدق إلى كل شيء، وبدأ

أيرس في مراقبته في نهاية الفصل الآخر بدون، منذ أن حافظ كلا من الحوذى والخادم «وهم من أبناء اسكتلندا» على وقار المنزل،

وبالرغم من أنه لم تكن هناك معرفه شخصية قديمة، ألا أن نوبريجا كان خائفاً من العودة إلى المنطقه المجاوره التي كان يتسول فيها سابقاً، وبالرغم من ذلك، وفي أحد الأيام كان اشتياقه للماضى وحنينه للموطن عظيماً جداً وذلك جعله يفكر في مواجهه الخطر يواصل مايفعله، وكان مشتاقاً ومتلهفاً لرؤيه الشوارع والناس، وتذكر المنازل والمتاجر، وصالون الحلاقة، وتذكر أيضا البيوت ذات البوابات الخشبيه المتشابكه الموجوده في المدينة والتي يمتلكها أثرياء يقيمون في الريف وحيث دائما ماتظهر هناك آنسة، وعندما أذعن تقريبا للقيام بذلك، أصبح خائفاً مرة أخرى وذهب إلى مكان آخر، ولكنه كان يمر عليها فقط بالعربة، وأراد بعد ذلك أن يمر عليها وهو يمشى على قدميه وببطء ويقف لو أمكنه ذلك ليحي الماضى ثانيةً».

وبالفعل ذهب إلى هناك مشياً على الأقدام، وتمشى في شارع سان خوسيه، وذهب إلى كنيسه الرحمة، وتوقف عند شاطئ سانتا لوزيا ثم أنت قل إلى شارع دوم مانويل وتسكع في كل ممشى، في البداية استرق النظر بصورة سريعة وهو حزين ومنكسر الخاطر، وهنا رأى صالون الحلاقه وكان الحلاق شخصاً آخر غير الذى يعرفه، وما زالت السيدات تتكى على الشرفات المتشابكه في البيوت الموجوده في المدينة، النساء الكبيرات في السن والبنات، واكتسب نوبريجا الشجاعه وبدأ ينظر إلى الأشياء بقدر أكبر من الحرية، وربما أن

السيدة العجوز قد أصبحت أصغر عشرون عاماً في نظرة وأصبح الفتاة كما لو كانت طفله رضية، وأخيراً توقف نوبريجا ومشى ببطء».

وعاد إلى هناك مرات عديدة، وكانت البيوت هي الشيء الوحيد الذى ظل كما هو، وبدا وكأنه يدرك بأن بعض الناس تتحدث إليه، وهذا ليس بشعر، وشعر جامع الصدقات بأنه في حاجة لقفه بالحجارة وذلك لأنه سمعهم يتحدثون إليه بإعجاب ليخبرهم عن قصة حياته لكي يجبرهم على المقارنه بين الرجل الذى كان متواضعاً في العام الماضى والسيد الأنيق اليوم، ولكي يسمع كلماتهم الصامته: «أنظروا يا أخوات، أنه هو».. فقد مر عليهم، ونظر إليهم، واستجوبهم، ابتسم إليهم، وكان يلمسهم ليرعبهم بقوه قائلاً: «تحدثوا، أنت م شياطين تحدثوا!»

ولم يفضى ببلواه لأحد عن هذا الماضى، ولكن للجدران الصماء، والشعريات القديمة، والبوابات المتشابكة، والمصابيح الكهربائيه عتيقه الطراز، وكل شيء كتوم ومتحفظ، وجميع الأشياء التى تمنى أن ينظر إليها، ويستمتع لها».

ورأى فجأه باب كنيسه سان خوسيه يفتح ودخل من خلاله، وكانت الكنيسه كما هى، ورأى هنا مذابح الكنيسه والعزله والصمت، ولكنه لم يصل، ولكن كان ينظر فقط إلى جوانب الكنيسه ومشى في اتجاه المذبح الرئيسى، وكان خائفاً من رؤية حافظ غرفه المقدسات في الكنيسه الذى ربما يكون هو نفس الشخص ويتمكن من إدراكه، وعندما سمع صوت أقدام قادمه غادر المكان بسرعة».

وعندما كان يمشى فى شارع سان خوسيه استند إلى الجدار ليمسح للعر به بالمرور، اقتربت العربه من رصيف المشاه راوغ ودخل ممر، ربما يكون هذا الممر أى ممر عادى ولكنه لم يكن كذلك فقد كان نفس الممر الذى دبر فيه عمليه الورقة النقدية التى تبلغ ٢٠٠٠ ريس من ناتيفيداد، وفى النهاية كانت هناك ثلاثة أو أربعة درجات سلم فى بئر السلم الأول والتى تتحول شمالاً وتلتحق ببئر السلم الكبير، ابتسم لهذه الصدفة والمطابقه وتذكر للحظه هذا الصباح الذى رأى فيه ورقة نقدية بـ ٢٠٠٠ ريس بلا هوية، وتذكر أوراق نقدية أخرى قد حصل عليها بنفس السهولة، ولكنه لم ينسى أبدا تلك الورقة الفاتنه المزخرفه بكثير من الرموز والأرقام والتواريخ والوعود التى حصل عليها من سيده مجهولة، والرب يعلم أن كانت تلك السيدة هى دى كاسيا سانتا ريتا نفسها، وهى القديسه التى منحها حبه الشديد وإخلاصه، وبدون شك، فقد صرف تلك الورقة النقدية وأنفقها».

وبقدر ما فحص واختبر حياته الشخصية، فإنه لم يجد أى منحه أخرى مثل هذه المنحه التى تأتى من السماء أو من الجحيم، فيما بعد لو أن هناك بعض المجوهرات جذبت أنت باهه فإنه لم يمسكها بيده، وتعلم أن يحترم ملكيه الاخرين وأن يقوم بكسب المال الكافى لشراء مايلفت أنت باهه، وفى يوم من الأيام سمى تلك الورقة النقدية التى تبلغ ٢٠٠٠ ريس بأنها هديه من الله».

المثل الخاطئ

كتب لى الشخص الذى قرأت له الفصل السابق سرّاً قائلاً بأن كل شيء كان خطأ كابوكالا of the Castelo، وربما لم يكن يحدث ما حدث فى الرواق لو كان تبرع ناتيفيداد أقل من ذلك بدون تنبؤاتها المتسمة بالمبالغة الحمقاء، وأضاف المراسل قائلاً بأن "الفرصة تصنع اللص".

ولم يكتب هذا عن طريق الخطأ، فهناك بعض الظلم أو الإهمال، لأن الأسباب التى أدت إلى حدوث هذا فى الرواق كانت مُراء، وبجانب ذلك، ربما يكون هذا المثل أو القول خطأ، وأثبت أيضا أيرس المحب لدراسة الأقوال المأثورة بأن هذا القول على وجه التخصيص غير صحيح".

وقال لشخص ما: "ليست الفرصة التى تصنع اللص"، "وأن المثل خاطئ، والصيغة الصحيحة لهذا القول المأثور يجب أن تكون: "الفرصة تصنع السرقة"؛ وذلك لأن اللص يُولد لا يُصنع.

وضع نوبريجا يده فى جيب صدرته ووصل إلى عملة نقد معدنية، كان هناك عملتين الأولى كانت واحدة توستاو "هو لقب لاعب كرة قدم برازيلي أصبح اسمه يستعمل لاسم عملة معدنية" والأخرى كانت اثنتين توستاو، أخذ الأولى وعندما كان على وشك أن يعطيها للمرأة فى يدها غير رأيه، ولم يعطيها العملة، وأخبر المرأة العجوز بأن تنتظر ثم تراجع إلى الوراء فى مكان أبعد إلى حد ما داخل الممر، ووضع يده فى جيب بنطلونه وأخرج رزمة من الأوراق النقدية،

ثم أخذ يبحث حتى وجد ورقة بـ ٢٠٠٠ ريس، ليست جديدة، أو قديمة بعض الشيء، ولكنكم تعرفون بأن الأموال لا تفقد قيمتها عندما تصير قديمة“.

وقال لها بصوت خفيف ”خذيها“.

وعندما أفاقت المرأة المتسولة من صدمتها، كان قد أعاد نوبريجا رزمة النقود إلى جيبه وكان يهين نفسه للمغادرة، بدأت المتسولة في مخاطبته وقالت له بصوت تغلب عليه الدموع: ”شكراً لك سيدي العزيز! يكافئك الرب عن هذا! العذراء المقدسة“.

وقبلت الورقة النقدية، وأرادت أن تقبل اليد التي منحتها تلك الصدقة، ولكنه رفض هذا امتثالاً لما ورد في الإنجيل قائلاً لا، يجب عليك أن تنصرفي، في الحقيقة كانت كلمات هذه المرأة المتسولة لها نبرة صوفية تقريباً، وطبيعة لحن وكأنه يخرج من السماء، وطبقة من الملائكة، وكان ذلك مقترناً بالوجه المتجدد البشرية واليد المرتجفة التي تمسك بالورقة النقدية، ولم ينتظر نوبريجا حتى ترحل المرأة؛ فقد خرج ومشى في الشارع ومباركه المرأة تلاحقه، واستدار وأخذ يمشى بسرعة ويفكر أنا لا أعرف لما كل هذا“.

وعبر الميدان ثم مر على الكاتدرائية وكنيسة كارمو، ثم وصل إلى مقهى كارسيلر، وهو المكان الذي أعطى فيه حذائه إلى ماسح أحذية إيطالي، ونظر إلى أعلى وأسفل وشمالاً ويميناً وعلى أيه حال أنهى به الحال وهو يتمتم ويهمس بهذه العبارة، والتي ربما تشير إلى الورقة النقدية أو إلى المرأة المتسولة، ولكنها على الأرجح تشير

إلى الورقة النقدية وهى: "ربما كانت هى نفس الورقة النقدية!".

لا يمكن أن ينسى أحد هدية أو منحة قُدمت له مهما كانت هذه المنحة ضئيلة، وهناك استثناءات، وهناك حالات أيضا تضايق وتلدغ صاحبها مثل البعوضة وعندما يتذكرها، ولكن ليست هذه هى القاعدة، ولكن القاعدة هى أن تحميها وتصونها فى مذكرة الشخص، مثل الجوهرة فى علبتها أو صندوقها.

الإقامة أو الاستقرار

استقرت أسرة باتيستا فى منزل سانتوس، ولم تقابلهم ناتيفيداد على القارب، وكان زوجها مشغول فى «تأسيس شركة جديدة». ولكنهم أرسلوا إليهم رسالة مع آبائهم بأن غرفهم جاهزة فى منزل بوتافوجو، وبمجرد أن تحركت الحافلة، أقر باتيستا بأنه لن يكون مستريح بالإقامة هناك».

«إنه سيكون من الأفضل أن نمكث فى فندق عائلى حتى نتسلم منزل ساو كليمنتى».

فكرت زوجته ملياً ثم قالت: «ماذا تريد منى أن أفعل؟ ليس لدينا خيار سوى أن نقبل بهذا».

لم تقل فلورا أى شىء ولكن كان لديها شعور مناقض لشعور أبيها وأمها، ولم يكن شعورها محدد بدقة، فقد كان مزيجاً من شعور

مضايق وشعور مبهج، ومظلم وواضح، وسعادة مقطوعة، وحزن مُسَلَّ، وأى شيء ربما تجدوه تحت عنوان التناقض، أنا لا أحط من شأن أى شيء آخر، ولكنها حتى لن تعرف كيف تصف ماشعرت به، فكانت لديها هلوسة فوق العادة».

وأنه من الضروري الآن أن نقول بأن فكرة السكن كانت مرتبة بأكملها نتيجة لعمل المحترفين الصغار، وبالرغم من أنهما كانا حاصلين بالفعل على درجات جامعية، ألا أنهم لم يباشرا عملهما في مهنتهما كمحامى ودكتور، وكانا يعيشان على حب أمهما وموارد أبيهما المالية دون أن يكل أحدهما، وهز أبيهما رأسه لهذا الاقتراح، ولكن أصر التوأمين على عرض هذه النقطة وهى أن أهمهم تكون سعيدة جداً وعندما تراهم يوافقون على شيء ما، وأنها تخلت عن صمتها ووافقتهما الرأى، وقالت بأن فكرة استضافة التوأمين للمرأة الصغيرة لأيام قليلة، لكى تحاول أن تميز وتذكر من منهما تفضله وتحبه، والتي ربما أيضا تحسم بالتصويت ولكننى أؤكد أنه ليس هناك شيء يتعلق بهذا الموضوع، ولا أستطيع أن أضمن بأنها كانت متحمسة لاستضافة أم فلورا ووالدها، وبرغم ذلك كانت المقابلة حارة وقلبية بصورة عامة، فكانت هناك معانقات وقبلات واستجابات وتبادل العاطفة التى لا تنتهى أبداً، وكانت فلورا تمثل البهجة والسعادة لنا تيفيداد وبربيتوا، ولم تعرف ناتيفيداد ولا بربيتوا إلى أين سينتهى المطاف بهذه المرأة الصغيرة الملكية النحيفة.

وقاطعتها الفتاة أثناء كلامها: «لا تقولى أى شيء آخر، فأنا لى نفس الرأى».

استقبلهم سانتوس متأخراً بعد الظهر، وكان استقبلاً حاراً وربما كان أقل وضوحاً، ولكن كل شيء يُغتفر لرجل منهمك في معاملات تجارية هامة».

وقال سانتوس لوالد فلورا «فكرة جلييلة»، «فقد كانت الفكرة التي اكتسبتها هي الفكرة الأفضل، وكان المخزون صالح ونافع مثل الذهب تماماً، وكانت هذه الفكرة بشأن صوف الخروف، وبدأت هذه الفكرة عند ولادة وتربية هذا الحيوان في حقل بارانا، وفي غضون خمس سنوات سوف نمد أمريكا وأوروبا بالملابس الصوفية، هل رأيت النشرة التمهيدية في الجرائد «وهي نشرة تصف مشروعاً تجارياً وتوزع على من تتوسم فيهم الرغبة في الشراء»».

«لا، أنا لم أقرأ الجرائد منذ أن ركبت الزورق».

«حسناً، سوف ترى».

في اليوم التالي وقبل تناول الغذاء، عرض سانتوس النشرة التمهيدية وأوراقها التجارية على ضيفه، وكان هناك حزم كثيرة من الأسهم المالية، وأخذ سانتوس يروى القيمة المالية لكل سهم، ولكن باتيستا عادة لا يستخدم الحساب بطريقة جيدة؛ وفي هذه المرة استخدمه بطريقة أسوأ، وغادر باتيستا المكان وعاد ليكرر كل شيء سمعه إلى زوجته».

زيارة إلى المارشال «أو المشير».

بعدما انتهى باتيستا من حديثه سألته دونا كلوديا ببساطة: «هل أنت ذاهب للمارshall اليوم؟».

عاد باتيستا إلى رشده قائلاً: «بالطبع سوف أذهب».

واتفقا على أنه سوف يزور رئيس الجمهورية ليشرح له المهمة التي كان مكلف بأدائها والتي كانت سرية غير إنها كانت نزيهة، وأنه سوف يتحدث عن روح المعاهدة والسلام التي كانت تقود أعماله والاحترام الذي اكتسبه من خلالها، ثم يتحدث بعد ذلك عن كون الحكومة مرغوباً فيها أكثر من القائد العام وسوف يكون ذلك من خلال القوة والحرية، ثم ينهي كلامه بعبارة أخيرة وبارعة».

وقال باتيستا: «سوف ارتجل بسبب هذه العبارة».

«لا، من الأفضل أن أُجهز هذه العبارة الختامية، أنا فكرت في هذه العبارة: «صدقني، صاحب الفخامة رئيس الجمهورية، الله دائماً يكون مع القوى الكريم».

«نعم، ليست سيئة، وتستطيع أيضاً أن تُضيف إيماءة تشير إلى السماء».

«لا، ليست هناك حاجة لفعل ذلك، فأنت تعرفين بأنني لا أجيد التعامل بتلك الإشارات، فأنا لست ممثلاً، وأستطيع أن أظهر الاحترام بدون أن تحريك قدم واحدة».

تخلت دونا كلوديا عن الإيماءة، وقالت بأنها لا تمثل دوراً أساسياً في

الحديث، وطلبت منه أن يدون هذه الجملة، ولكنه بالفعل حفظها في ذاكرته، فكانت لديه ذاكرة قوية.

وفي اليوم نفسه، ذهب باتيستا إلى المارشال فلوريانو، ولم يقل باتيستا أى شيء لمضيفيه، وأنه سوف يخبرهم جميعاً وعندما يعود من عند المارشال، ولم تقل دونا كلوديا أى شيء أيضاً، وهى فى حالة من القلق لمدة ساعتين أبعديتين وبدأت تتخيل بأنهم وضعوا زوجها فى السجن بسبب المؤامرة والخداع، ولم تكن ورعة وتقية ولكن الخوف دفعها إلى التقوى والورع، وصلت من أجل نفسها، وأخيراً وصل باتيستا، وركضت لتستقبله وهى مبهتجة وأخذت يده ثم ذهبا إلى غرفتهما، ورأتهم بربيتوا وأعلنت بعطف: «إنهما مثل الطيور العاشقة».

وقال باتيستا بأن الاستقبال كان حافلاً وأفضل مما توقع وتمنى، وبينما لم يقل المارشال أى شيء إلا أنه كان يستمع باهتمام وعناية، وماذا عن العبارة؟ انبثقت العبارة بطريقة جيدة ولكن مع تغيير واحد، وذلك لأنه لم يكن متأكداً من أن يفضل كلمة القوة على الصلاح ولا العكس».

وقاطعته زوجته قائلة: «إنها يجب أن تشمل الكلمتين».

«نعم، ولكن اتضح لى أن استخدم كلمة ثالثة: «وينبغى على فخامتك أن تؤمن بأن الله هو الأجدر».

فى الحقيقة، ربما تغطى الكلمة الأخيرة الكلمتين الأولى والثانية، ومنحت العبارة لمسة شخصية».

«ولكن ماذا قال المارشال؟».

«لم يقل أى شيء، ولكنه ابتسم بعض الشيء وكان يسمعنى بعناية مهذبة، وكانت ابتسامته لطيفة، وكأنها ابتسامة الاتفاقية».

«أو ربما لم تتفهم المراد من هذه الابتسامة أو كيف تبدو، من يعرف، إن كانت غير ذلك لأخبرنى شيء ما، وهل أخبرته كل شيء؟».

«أخبرته بكل شيء».

«هل فسرت له أسباب المهمة، والأداء، وسياسة الاعتدال التى اتبعناها فى هذه المهمة؟».

«كل شيء كلوديا».

«وهل صافحت يد المارشال؟».

«إنه لم يمد يده للمصافحة فى بادئ الأمر، ولكنه قام بإيماءة برأسه، ومددت يدي قائلاً: «دائماً فى خدمتك فخامة الرئيس».

«ثم صافح يدي».

«وهل صافحك عن اقتناع؟»

«تعرفين، ربما إنها لا تُدعى مصافحه ودية، ولكنها كانت حارة».

«ولم يقل أى كلمة؟»

«لا، لم يكن هذا مهماً، فقد انحنيت ثم غادرت».

وظلت دوناً كلوديا مستغرقة في تفكير متأمل أو حزين، بأن الاستقبال لم يكن سيئاً، ولكن بوجودها هناك كان يمكن أن يكون أفضل بكثير».

الاندماج والانتشار والتشويش

تحدثت قبل ذلك عن هلوسة فلورا، وكانت حقاً هلوسة استثنائية.

ففي الطريق وبعد ما نزلوا من السفينة، وعلى الرغم من رؤية التوأمين منفصلين وكل واحد منهما في سيارته التي تتسع لراكبين فقط، اعتقدت بأنها تسمعهما يتحدثان، وهذا هو الجزء الأول من الهلوسة، والجزء الثاني هو: أن الأصوات أصبحت مشوشة وامتدخلة كما لو كانت متماثلة، وانتهى الأمر بأن أصبحت الأصوات صوتاً واحداً، وفي النهاية، أدلى خيالها شخص واحد من الشابين».

أنا لا أصدق بأن هذا ممكن أن يكون ظاهرة عامة، وعلى النقيض، سيكون هناك شخص مالا يصدق ما أقوله بكل ما في الكلمة من معنى ويفترض بأن هذا كلام مزيف أو ملفق في حين أن هذا هو الحقيقة التامة بالفعل، حسناً، فمن المعروف جيداً بأن فلورا سمعت أكثر من مرة نفس الصوتين اللذان يندمجا مع بعضهما في نفس

الصوت ونفس الشخص وذلك أثناء مهمة والدها، والآن في منزل بوتافوجو، تكرر الظاهرة نفسها مرة أخرى، وذلك وعندما سمعت التوأمين بدون أن تراهما، فقد أكمل خيالها اندماج الأصوات في أذنها مع هذه الرؤية أو المشهد وأن رجل واحد قال كلمات رائعة لها».

أنا أعترف بأن كل هذا لا يقل استثنائية، ولو اتبعت ميولي، فإن الشابين لن يصبحا رجلاً واحداً، ولن تصبح المرأة الصغيرة فتاة واحدة، وأود أن أصحح الطبيعة بمضاعفة فلورا، وأنه ليس من الممكن أن أقبل بتوحيد بيدرو وباولو، وهكذا، فإن هذا الشعور البصرى كرر نفسه أمامهما، تماماً كما حدث في غيابهما، وعندما تسمح لنفسها بنسيان المكان وتفك العنان عن نفسها، فإنها ترى هذا التخيل أو المشهد قصير الأجل والمفاجئ وهي تعزف على البيانو، وفي حديثها، وعندما تمطى فرساً في الدولة، وعلى مائدة العشاء، وتكون ابتسامتها هي أول رد فعل لها ناتج عن هذا التخيل».

وإذا أراد أي شخص أن يفسر هذه الظاهرة وفقاً لقانون الوراثة، مفترضاً بأن هذا كان صورة عاطفية من حالة أمها السياسية القابلة للتغير، فإنه لن يحصل على تأييد وتشجيع مني ولا من أي أحد آخر، إنها أشياء مختلفة، فأنتم تعرفون حوافز دونا كلوديا، أما ابنتها فلديها حوافز أخرى التي لا تدركها هي نفسها، ونقطة الشبه الوحيدة بين الأم وبناتها هي الظاهرة ولكن الظاهرة عند فلورا كانت متكررة الحدوث، أما عند الأم فإن الظاهرة كانت نتيجة تعاقب سلسلة الأحداث الخارجية السريعة، أما بالنسبة

لظاهرة الأم، فكانت تتعلق بأنه ليس هناك ثورة تقوم من خلال مسيرة بسيطة من غرفة إلى الغرفة التي تليها، وحتى هذه الثورات التي تسمى ثورات القصر تُحدث بعض الإثارة والتهييج التي تبقى لوقت معين حتى تعود المياه إلى مجاريها.

أما ابنتها كانت تستجيب إلى سبب أو قضية أخرى التي ربما لم تُكتشف أو تُفهم في الحال، فإنها كانت مشهد غامض، وغير اعتيادي، ومبهم، وهو المشهد الذي يصبح فيه الأشكال البشرية المنظورة غير محسوسة، والشخصيات المزدوجة تصبح مفردة، والمفردة تصبح مزدوجة، إنها حالة من الاندماج والانتشار والتشويش».

التحول في النهاية

ربما يكون التحول هو أفضل تعريف لتعاقب وتكرار الأشكال والحالات لهذه الظاهرة الغريبة؛ الذي ربما تستخدمه في الفصل السابق والفصل الحالي».

والآن وبعد أن بحثنا بالتفصيل هذه الظاهرة، فمن الضروري أن نقول بأن فلورا رأت هذه الظاهرة مسلية في بادئ الأمر، أنا كذبت:

في البداية، لأنها كانت بعيدة ولم تفكر أبداً في هذه الظاهرة، ثم بعد ذلك، شعرت بنوع من الخوف أو الدوار، ولكن بمجرد أن تعودت على التناوب من اثنين إلى واحد ومن واحد إلى اثنين، أصبحت هذه الحالة من التناوب ممتعة وبدأت تستدعى هذه الحالة لتسلي نفسها، وفي النهاية، لم يكن هذا ضرورياً فإن هذا النوع من التناوب أصبح يظهر من تلقاء نفسه، وأحيانا يكون هذا التناوب أبطأ من غيره وأحيانا يكون لحظى، ولكن في نهاية الأمر أصبحت فلورا معتادة عليه وتستمتع به».

وبين الفينة والفينة تكرر هذه الظاهرة نفسها في السرير قبل أن تستغرق في نومها ويكون ذلك بعد مقاومة كبيرة منها لكي لا تفقد نومها، ولكن أتى النوم وقامت الأحلام بإتمام أعمال اليقظة، وبعد ذلك تنزهت فلورا على ذراع نفس المحبوب باولو أن لم يكن بيدرو ثم ذهباً ليتأمل النجوم والجبال، أو البحر والزهور والبقايا الأثرية، ولم يكن نادراً الحدوث بأنهما بقيا سوياً أمام رقعة من السماء، في ضوء القمر وفي سماء الليل التي أحيانا ترصع بالنجوم مثل اللبس الأزرق الداكن، وكان ذلك من خلال الشباك وهي تتصور أغنية من همسات ناعمة تأتي من الخارج، وأن هناك امرأة كبيرة معلقة على الحائط تنسخ صور لهما، وتؤكد تخيلها، ولما كان ذلك مجرد حلم، فقد جلب التخيل مشاهد غير معروفة، والتي من الصعب تصديقها بأن ليلة واحدة ربما أن تبقى عليهما طول الوقت، ثم استيقظت فلورا فجأة وفقد المشهد والوجه وأقنعت نفسها بأن ذلك كان مجرد وهم، ولكنها لم تخلد إلى النوم مرة أخرى، فكان ذلك في وقت مبكر، ونهضت ثم مشيت حتى تعبت إلى أن نامت

مرة أخرى وحلمت حلماً آخر».

ولكن في المرة الثانية بقيت الرؤية بدون حلم، وكان يجلس أمامها شخص نحيف، وصوته هو نفس الصوت المحبوب، ونفس إيماءة التوسل أو الاستعطاف، وفي أحد الليالي تسند بذراعيها على كتفيه برغبة لا إرادية وتشبك أصابعها خلف رقبتة بالرغم من غياب الواقعية، وتضاعف الرجل الواحد إلى شخصين متماثلين.

وأعطى الاختلاف لأحلام اليقظة هذه المفهوم الطيفي بأن فلورا كانت خائفة وكانت تفكر في الشيطان».

«آه، روحين».

هيا، فلورا ساعديني بسرد شيء ما، بجملة من النثر التي توضح حالتك، هيا صديقتي اقتبسي جملة مناسبة من فاوست «أو فاوستوس: وهو الشخصية الرئيسية في الحكاية الألمانية الشعبية عن الساحر والخيميائي الألماني الدكتور يوهان جورج فاوست الذي يبرم عقداً مع الشيطان»:

آه، هناك روحان يعيشان في صدري!

ولقد اقتبست أم التوأمن ناتيفيداد المحبوبة نفس السطر قبل أن تضعهما وذلك وعندما كانت تشعر بأنهما يتشاجران بداخلها:

آه، هناك روحان تعيشان في صدري!

لذلك فإن الاثنين يتشابهان في هذا الصدد، فواحدة حملتهما

والأخرى استقبلتهما، والآن وبعد ذلك كيف سيكون اختيار فلورا، ولا مفسستوفيليس «اسم يُعطى غالباً للشخصية التي تمثل الشيطان، كما أنه اسم الشيطان في الأسطورة الفاوستية» نفسه يستطيع أن يفسر بوضوح وبصورة تأكيدية كيف يكون ذلك، ولكن البيت يكفي:

آه، هناك روحان تعيشان في صدري!

ربما أن بلاسيدو، الذي تركناه في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، سيكون قادراً على حل لغز هذه الصفحات الأخيرة، وهو دكتور في المواضيع الغامضة والمعقدة، وهو على علم بقيمة الأعداد، وبأهمية الإيماءات وليست الظاهرة منها فحسب ولكن أيضاً غير الظاهرة، وبإحصائيات السرمدية، وبقابلية تجزئه المطلق، وأنتم تتذكرون بأن والد بدرو وباولو استشاره حول العداوة الأولية بين التوأمن وقد فسرهما له فوراً، وقد توفي وهو يمارس مهنته، وذلك وعندما كان يشرح لثلاثة تلاميذ جدد توافق خمسة أصوات علة مع خمسة حواس بشرية ثم سقط على طوله ولفظ نفسه الأخير».

وفي حين أن أكد خصوم بلاسيدو الذين هم من شيعته بأنه قد انحرف عن مذهبه ويكون بذلك قد فقد عقله وصوابه، ولم يسمح سانتوس لنفسه بأن يحكم عليها من قبل هؤلاء المثيرين للمتاعب لسبب عام، وقد انتهت بهم المطاف وهم يؤسسون كنيسة صغيرة أخرى في منطقة مجاورة أخرى حيث كانوا يعظون الناس فيها بأن التوافق الصحيح ليس بين الأصوات والحواس ولكن بين الحواس والأصوات، وتبدو هذه الصيغة الأخيرة أوضح تماماً عن الأولى مما جعلها تقود عديد من التلاميذ أو الأتباع البدائيين للالتحاق

بالطائفة الثانية وأعلنوا كاستنتاج نهائى بأن الرجل هو مبادئ علم الأحاسيس».

وانتصرت الطائفة الجديدة وظل عدد قليل جداً مخلصين لمذهب بلاسيدو، وتم استحضار روحه لبعض الوقت بعد موته ومرة أخرى أعلن بأن صيغته هى الحقيقة الوحيدة، وحرّم كنسياً هؤلاء الذين وعظوا الناس بالعكس.

ربما سيقوم بلاسيدو الخبير السابق بحل لغز هذه المشكلة فى خمسدقائق، ولكن لفعل هذا يجب علينا أن نستدعى روحه، وتلميذه سانتوس الذى كان منهماكاً فى بعض الصفقات التجارية المربحة، لا يعيش الرجل بالإخلاص وحده، ولكن أيضاً يعيش بالقوت أو الرزق ومكوناته ومشتقاته.

فى ساو كليمنتى

بعد أسابيع قليلة رحلت عائلة باتيستا من منزل سانتوس وعادت إلى شارع ساو كليمنتى، كان الوداع رقيقاً، وبدئوا يفتقدون بعضهم البعض قبل الانفصال، ولكن بدون لف ولا دوران جعلتهم العاطفة والأمل والعادة والاعتبار والحاجة يرون بعضهم البعض مراراً وتكراراً ليكون عوضاً عن حزنهم، وأخذت أسرة باتيستا وعداً بأن عائلة سانتوس سوف تقوم بزيارتهم فى غضون أيام قليلة».

ووفى التوأمان بالوعد في وقت مبكر، فقد ذهب أحدهما وهو على الأرجح باولو في نفس الليلة برسالة من أمه لتسأل ما إذا كانوا وصلوا بأمان وخير، وأخبروه نعم، وأضاف باتيستا ليختصر زيارته بأنهم مرهقين إلى حد ما، ولكن أنكرت عين فلورا صحت هذا، ولكن في لحظات قليلة لم يقل شعورهم بالحزن عن شعورهم بالسعادة، فقد أتت السعادة من سرعة باولو، وكان الحزن من غياب بيدرو، وهى بطبيعة الحال كانت تريدهم الاثنين سوياً، ولكن كيف يصبح شعورهما واضحاً في نفس الوقت، بالتأكيد عيناها وقعت على الباب عدة مرات، وأصبحت تتهاى لها بأنها تسمع ضوضاء على الباب؛ فقد كان كل هذا وهما.

غادر باولو متأخراً، ليس فقط لأنه استغل غياب بيدرو، ولكن أيضاً لأن فلورا أعاقته محاولة منها لكي ترى ما إن كان سيأتى الآخر، وهكذا ملأت ازدواجية الشعور عيون الفتاة، وظل هكذا حتى ودعها باولو، وبذلك جانب الحزن أكبر من جانب السعادة منذ أن أصبح التوأمان غائبين بدلاً من غياب واحد فقط، ثم ذهبت إلى السرير وأدركت بأن الشخص لا يتمكن من النوم بدون حزن في نفسه».

الليلة الطويلة

هناك العديد من أنماط العلاج للأرق، والأكثر شيوعاً هو العد من واحد حتى ألف، ألفان، ثلاثة آلاف أو أكثر، فإذا لم ينته الأرق على الفور، فهو العلاج الذى لم يجعل أى شخص يستغرق فى النوم، فهو يبدو كذلك ولكنه غير مهم، فحتى الآن كل الطرق الفعالة ضد مرض السلس تسير فى وفاق مع نظرية أن مرض السلس مرض عضال، وهذا يتلائم مع تأكيد الرجال أنهم لا يعرفون شيئاً عنه، وكقاعدة فهو عكس ما يعرفون، فهكذا كونت الظروف الأخرى التى لا علاج لها الأمل.

فأيضاً فلورا لا علاج لها، إذا كنت لا تفضل اسم الغامضة الذى أطلقه عليها أيرس، فأفتنان فلورا جلب لها الأرق فى تلك الليلة، ولكن يعد هذا قليلاً خطئها، فبدلاً من أن ترقد بهدوء وتنام مع الملائكة، اعتقدت أنه من الأفضل أن تظل مستيقظة مع واحد أو اثنين من هؤلاء الملائكة، وقضت جزءاً من الليل تطل من النافذة أو جالسة على كرسيها الصخرى، تتذكر وتفكر، تفحص وتكمل، وهى ترتدى هذا الرداء ذا الخطوط، وشعرها مشتبك للأعلى من أجل النوم.

فى البداية فكرت فى الشخص الذى كان هناك، والذى أثار لديها كل سحره، والذى عزز بتأثير خاص من حضوره ليراها فى تلك الليلة، على الرغم من أنهم التقوا هذا الصباح، شعرت بالامتنان، كانت كل

المحادثة التي جرت بينهم تعاد عليها وهي وحيدة في غرفة نومها، مع ترانيمها المتكررة، ومواضيع متعددة، تمت مقاطعتها كثيراً سواء من الآخرين أو من نفسها، ففي الحقيقة هي تم مقاطعتها فقط للتفكير عن الغائب، وهذا لم يفعل أكثر من أن يحول الحوار إلى حوار ذاتي، والتي تحولت في النهاية إلى صمت وتأمل.

والآن تفكر في باولو، فأرادات أن تعرف لماذا لم تختره كعاشق، فليده ميزة إضافية وهي الطبيعة المغامرة لروحه، وهذه الطبيعة لم تغضبها، فقد سمحت لنفسها أن تحملها حماسة الشاب بشكل يمكن أو لا يمكن تفسيره، والذي أراد أن يبدل العالم والأزمان إلى آخرين يكونون أكثر نقاء وفرحاً، فهذه الرأس رجولية جداً فكان مقدر لها أن تصحح الأخطاء في مسار الشمس، والقمر أيضاً، فالقمر يتطلب اتصالاً دائماً مع الجنس البشري، يظهر كل ليلة، بدون هذا التأثير المنحط للنجوم، فهو يكمل بتواضع عمل الشمس ويعطى الأحلام للعيون المفتقدة للنوم، أو تلك التي أرهقها كثرة النوم، فكل هذا يمكن إنجازه بروح باولو، فهي تفتقد إلى الكمال، كان سيكون زوجاً جيداً، باختصار أغلقت فلورا جفونها، لكي تراه بشكل أفضل، فوجدته عند قدميها، ويده تمسك بيدها و هو يبتسم وتغمره الفرحة.

باولو ، عزيزي باولو !

انحنت تجاهه لتراه عن قرب ، ولم تقوت اللحظة أو تفقد انتباهها فرأت كم هو جذاب وجميل بل هو أجمل من تلك الموضوعات العابرة التي يتحدث عنها ، وظلت تحديق في عينيه

حتى تغلغت في اعماق اعماقه «حتى وصلت لاعماق روحه »
لدرجة انها لم تستطع أن تعبر له عن ما شعرت به فكان شعور
جديد للغاية ومتوهج لدرجة أن عيون هذه الفتاة لم تستطع
أن تعي أى شيء بثقة واسترسال « استمرارية » , فكانت افكارها
كانت مبعثرة « مشتتة » مثل شظايا تتطاير من أمام مدفأة ,
وكانت مشاعرها مختلطة للغاية أو « كانت مشاعرها تتصارع
مع بعضها » وتتصاعدت كل من الذكريات والاشتياق معا وبشكل
اساسى الامال . امال ذات اجنحة واسعة « أو رحبة » صنعت
رياحا وموجات من الهواء .

وفي اثناء هذه الحيرة والمشاعر المختلطة شديدة الرقة شاحت
فلورا بنظرها وقد كان باولو في نفس مكانه ولكن بجانب الباب
في وسط الظلال «الظلام » ظهر ظل «بيدرو» وتأثرت «فلورا »
كثيرا لرؤيته حيث ظهر عليه الحزن , فيبدو انها إذا احبت الاول
فقط سيبيكى الثانى دما وبدون الحصول على أى تعاطفا فبالنسبة
للحبيبات العجائز والشابات , فلا يوجد شفقة في الحب فوجود
الشفقة تجاه الطرف الآخر يعنى انه لم يولد الحب من الاساس
انه مات تماما وبالتالي لا يمانع القلب أن يخفى هذا النوع من
الشعور وعلى الرغم من أن هذا ليس نبلا ولكن لايسمح الوقت
بالبحث عن شخص اخر .

اقترب بيدرو ببطء وركع على ركبتيه وامسك يديها فقبض باولو
على يده غضبا ونهض ثم اختفى عبر الباب الآخر فكان لهذه
الغرفة بابان والسرير يفصل بينهما , أى فهى لم يحتاج بيدرو
للتكلم حيث أن ايماءاته كانت شديدة الرومانسية , فعيونه بدون

هذا الحزن تشبه عيون أخيه المليئة بالنشوة الا أن عيون بيدرو لا يملئها هذا الشعور الدائم بالخروج للبحث عن المغامرة فكانت له عيون شخص هادئ لا يريد شمسا ولا قمرا سعيد بما يمتلكه ولو وجد ما يمتلكه مقدسا «او مثالي» لن يقاوضه بأى شيء اخر فلو انكى تتمنى الاستقرار والانسجام الموجود بين بيدرو وبين كل ما حوله فهذا مايريده قلب الفتاة لان الاستقرار والانسجام يحملو فكرة السعادة الابدية أو لانهم يعكسون معنى أو فكرة الروح التى تصمد اما كل شيء .

والان لم تتوقف عيون فلورا عن اختراق عيون بيدرو حتى وصلت لاعماق اعماقه . كان الدافع السرى لهذا البحث هو الرغبة فى تحليل والحكم على كل منهما , هذا أن لم تكن تفعل هذا حتى لا تظهر انها تهتم بشخص دون الآخر وكلا من السببان جيدان « أو مناسبان » وربما كل منهما ليس حقيقى .

اما بالنسبة للنظر فى عيني بيدرو كان ممتعا وطبيعيًا فلم يتطلب أى مجهود من أى نوع خاص فنظرة واحدة كافية «كفيلة» لجعل الشخص يقع فى غرام هذه الروح المحبوبة حيث رات فى توام الروح .

الجزء الشاءك فى هذا الموضوع انها تشعر بشعور مختلف لا يمكن تحديده فهى لم تشعر بمثل هذا الشعور مع الآخر وبالمثل فشعورها نحو الآخر يختلف عن شورها تجاه بيدرو ولا تنسى انه لا يوجد اصعب من مشاعر لا تجد لها مسمى , صدقنى يا صديقى العزيز وياسيدتى , صدقونى انى افضل أن اعد خيوط شرائط رداء الفتاة أو أن اعد شعر راسها أو أن احصى خيوط

السجادة أو أن احسب عدد شرارات الشعلة الاخيرة لقنديلها
«لمصباحها» والذي بالطبع سيكون مملا .
وبالرغم من أن القنديل كان يحترق الا انه كان مضيئا ليظهر
عودة باولو مرة اخرى الذى دخل وركع على ركبتيه مرة اخرى
جالسا بجوار اخيه حيث يمسك كل منهما يدا من ايدى فلورا
حينها ظلت جالسة لفترة طويلة في هدوء واتزان واندهاش لفترة
طويلة طويلة كالعقيدة , مثاما يقول القدماء عندما وجدت
ديانات اكثر من العباءات عودة إلى مشاعرها واحاسيسها فقد
قامت بسحب يديها ووضعتهن فوق راسيهما كما لو انها تريد أن
تعرف الفرق بينهما أن تعرف هذا الشئ الغير محدد .
وبينما القنديل على وشك أن ينطفئ .. تحدث كل من بيدرو
وباولو اليها بنحيب وبحذر وتضرع وقد تعاملت مع كل هذا
بشكل سئ وبطريقة غير مباشرة ليس لانها فشلت في فهمهما
ولكن حتى لايزيد الموقف سوءا أو ربما لانها لم تعلم أى منهما
سيستقبل جوابها «اورد فعلها» على شكل افضل وربما الاحتمال
الاخير هو الاقرب للصحة .
والان القنديل لم ينطفئ تماما ولكنه وصل لشراراته الاخيرة وكان
هذا بمثابة بداية «اومقدمة» لما سيحدث لاحقا ولان كل شيء
اصبح ممزوجا في ظل الاضاءة الخافتة فامتزجا الظلان ليصبح ظلا
واحدا فقط
والان فلورا لو ترى أى منهم يرحل فكان من الصعب التصديق
بانه شخص واحد , ولكن في النهاية صدقت غالبا لان هذا
الشخص المنفرد يبدو انه يكملها ضمنيا وهذا افضل من لو انه

بدا منفصلا على كل حال هناك الكثير من الحيرة بين وجود شخص واحد أو الشخصين معا حيث انها اعتقدت انها مخطئة ولكن لا فقد كانوا ظلا واحدا لهم الثلاثة معا شخص واحد حيث يدق قلبها .

كانت فلورا مجهدة بشكل للغاية فلم تستطع أن تنهض وتترك الحجرة فكانت كما لو أن ساقبها التصقا بالارض وظلت هكذا حتى انطفات شعلة المصباح تماما والموضوع في احدى اركان الحجرة حيث تفاجت فلورا وهضت قائلة ما هذا ؟
عندما انطفا المصباح وذهبت لاشعاله مرة اخرى فوجدت حينها انها بمفردها تماما بدون هذا أو ذلك ولا هما معا ولا الشخص الذى امتزج بالآخر . فقط هى , عندئذ زال الوهم تماما ولان المصباح الجديد اضاء الحجرة باكملها فافترضت أن ماراته كان مبتكرا « مجرد خيال »

ادركت فلورا أن الوقت قد تاخر وقد اكد لها صياح الديك هذا وصاغت ديوك اخرى كذلك .

«يا إلهى» صاحت ابنة المعمدانى «باتيست» ثم أوت إلى فراشها وسريعا ماكانت مع الملائكة حيث حلمت بصياح الديك وبحيرة وبعربة ومنظر لرحلة بحرية وخطاب وكان الخطاب حقيقيا فقد أيقظتها أمها فى العاشرة صباحا منادية إياها بالرأس النائم وفى السرير كانت تقرأ عليها محتوى الخطاب الذى يوحى بأن زوجها حصل على منصب حكومى وقد استقبلت فلورا هذا الخبر برضا تام فيالها من ليلة طويلة مضت.

السر القديم

نامت «ناتيفاديد» نوما هانئا في «بوتافاجو» وعندما استيقظت كانت تفكر في ابنيها والفتاة المتواجدين في «ساوكيمن» ولأنها كانت تستقبل أو تقرأ رسائلهم فقد كان يبدو أن فلورا لم تقبل أى منهم ثم قبلتهما الاثنيين معا ولا حقا قبلت كل واحد بدوره وعلى الفور استنتجت أن الفتاة لم تشعر بعد بشعور مميز وحاسم . فكان من الطبيعي أن ترحل لبعض الوقت لترى «حتى ترى» أى منهما يستحقها وعلى ما يبدو أن مشاعرهما تجاهها غيرتهما عليها متكافئة وبالتالي فهذه كارثة «أو أزمة كبيرة»

بالإضافة إلى هذا الانفصال العائلى الذى لا يصلح كل شيء وبعيدا عن هذه الحقيقة التى تحدث بمجرد انفصال أفراد الأسرة وأنها لن تحت ناظرهم الدائم والزيارات ستكون محدودة العد ونادرة إلا أن هذا ما أرادته

والآن حان وقت الذهاب إلى «بيتروبوليس» فقد خططت «ناتيفاديد» للذهاب فى رحلة إلى جبال مع ابنيها حيث تتواجد «توجد» السيدات الراقيات بالإضافة إلى الكثير من التسلية والمرح فرما يجدوا بعض الأصدقاء من الفتيات هناك أو يجد شخصا ما ومن الممكن للآخر أن يرتبط بفلورا كانت هذه حسابات الأم وقد أتت بعض الأحداث التى جعلتها تقوم بتعديل هذه الحسابات وأحداث أخرى جعلتها قامت باستراجعتها أيا كان فهى أم تحاول وضع أو صب الحجر الأول فلم يسبق أن فعلت أم هذا من أجل أحد من أصدقائنا ولكن اعتقد أن السبب هو رقة وحنان «ناتيفاديد» وهكذا أبقت الشكوك والحسابات داخل قلبها أو بداخلها وظلت صامته منتظرة .

في في الحقيقة كان حب فلورا لنا تيفايديد يزداد أكثر فأكثر فقد أحببتها كام بل كان حبها أكثر من أمها حيث إنها لم تختبر بعد أحدا من ابنيها , ربما سبب هذا الحب هو أن طباعهما متشابهة كثيرا ليست كطباع فلورا وكلاوديا .

في البداية شعرت و لا أعلم ربما الحسد اللطيف أو بالغبطة و إنلإنجذاب لشخصيتها حيث رأت فيها بعض الطباع -والتي بعضعا يزول مع مرور الزمن -التي تصل للمثالية وبالتدرج بدأت تكتشف مافيهها من جمال وكأنه لحن جميل يقود لحياة رائعة .

عرفت فلورا بنبوءة العرافة «كابوكلا» التي تسكن جبال «كاستيلو» فهي لم تعد سرا وكان سانتوس قد تحدث عنها ولكن مخفى فقط الجزء المتعلق بتسلق ناتيفايديد جبال كاستيلو، وأضاف حقيقة ألا وهي أن العرافة قد أتت إلى بوتافاجو وتكلم عن باقى الحقائق بكل ثقة كما ذهبت أيضا في بلاسيدو المهجورة ولقد حاول سانتوس لثلاث أو أربع مرات أن يتكلم ولكنه تراجع بعد مقاومة شديدة وفي يوم من الأيام التوى لسانه في فمه سبع مرات ثم نطق بالسر في همس خفيف ولكنه أخفى خوفه بإظهار كيف سيكون الشبان في أفضل حال وأخيرا تم نسيان السر ولكن «بيربتوا» لسبب و لآخر قالت لابنه باتيستا التي كانت مشككة في

ما سمعته ما الذى يمكن أن تعرفه العرافة عن المستقبل ؟

«إنها علمت , والدليل أنها تنبأت ببعض الأشياء الأخرى لا أستطيع البوح عنها والتي كانت صحيحة لا يمكن أن تتخيلي ما يستطيع فعله الشيطان ذو اللحية القصيرة فهو قادر على رؤية المستقبل وهي قادرة على اختراق قلبك بعينيها .

«أنا لا أصدق هذا يا دوناييربتوا , أعنى مستقبلنا؟ وكيف سيكوف عظيما ؟

«هى لم تقل هذا فعندما سألتها ناتيفاديد قالت إنهم سيكونون عظماء وسيكون لهم مكانة عالية ربما سوف يكونونوزراء للولاية . كان يبدو أن بيربتوا لها نفس عيني العرافة فقد اخترقت أعماق صديقتها فرمها جد أن قلبها لا يدق بطريقة منتظمة أو سريعا بل وجدته منتظما كما لم يكن من قبل وبما أنه مستحيل أن يصلأ إلى نفس مستوى الفهم فى هذا العالم فلم تعترض فلورا فكانت مؤيدة لفكرة التنبؤ بدون قول أى شيء ولكن قامت بايماءة حيث أطبقت على شفيتها ورفعته كتفيتها باسطة يداها ولكنها تريد أن تقول : حسنا , ربما يمكن حدوث ذلك » أو ربما يمكن لهذا أن يكون حقيقة »

وأضافت بيربتوا أنه منذ تغير الحكم كان من الطبيعى أن يكون باولو الأول فى وصوله لمكانة عالية وهنا عينها اخترقت الفتاة مرة أخرى فكانت محاولة لاستفزاز مشاعر فلورا وإغراء لها بإظهار رفعة الشأن التى سيصلها باولو «المنتظرة باولو » , فمن الممكن أن تقع فى حب قدره قبل شخصه ولكنها لم تحصل على أى شيء حيث استمرت فلورا فى إخفاء مشاعرها لأو لم تسمح بأن يقرأ ما بداخلها فهى لم تجرى أية حسابات ولم تفكر فى أى شيء بداخلها .

الدساتير أو القوانين الثلاث

هل تعتقد حقا أننا سوف نكون رجالا عظماء قبل سقوط الإمبراطورية «بيدر يسال باولو

«لا أعلم ربما ستكون على الأقل رئيسا للوزراء
وبعد الخامس عشر من شهر نوفمبر ، سأل باولو أخاه نفس
السؤال لكن بيدرو غير من جوابه قائلا : لا أعلم ربما ستكون
رئيسا للجمهورية
وقد مر عامان على هذا الحوار . والآن هم يفكرون كثيرا في فلورا
أكثر من التفكير في مناصبهم
. السائد هو وضع المصلحة العامة قبل المصلحة الشخصية ولكن
بعض الفتيان ككبار السن أو كالعجائز أو كرجال ذو أعمار أخرى
يفكرون في أنفسهم أكثر من أى شيء آخر حيث يوجد نبلاء
كثيرون يعيشون هذه الحياة ولكن أيضا يوجد نبلاء مستثنون
منهم وقد سجل التاريخ عن الكثير مثل بعض الشعراء الملحميين
والشعراء التيراجيديين الزاهديين أو المنتزهيين عن الشهوة .
عمليا سوف يتطلب دستور ٢٤ فبراير ١٨٩١ أن ينتبه الكثير مثل
بيدرو وباولو أكثر من اهتمامهم بآبنة المعمدانى فمن أصدر هذا
الدستور سبب بعض الانتقادات اللاذعة فلو كان الدستور شخصا
حيا يقف بجانبهم لكان استمع للتعبيرات المختلفة التى قيلت
حيث أن بيدرو أطلق عليه الخطيئة أما عن باولة فقد وصفه بأنه
منيرفا آلت خرجت من رأس جوبيتر.
أنا أتحدث أو أحكى بصورة مجازية حتى لا أخرج عن أسلوبى
الخاص فى الكتابة . فى الحقيقة استخدموا كلمات أو تعبيرات غير
لائقة وهى غالبا ما تستخدم للتظاهرات السياسية وتوجد بكثرة
كملاحظات على أبواب مكاتب الصحف ويمكن سماعها أيضا فى
النقاشات والمجادلات.

لكن عندما ظهرت صورة فلورا في خيالهم تضاءلت النقاشات بينهم لكن الإهانات تزايدت أكثر من ذي قبل وبدون الاعتراف بهذا الباعث الجديد الذي أصبح أقوى من ذي قبل كانوا يصلون لنقطة التوقف عن النقاش عن الدساتير والإمبراطورية والنظام الجمهورى من أجل حب هذه الفتاة فلو أنه ضرورى كل واحد منهم لو استطاع لجعل منها دستوره الخاص وه ١١ أفضل من أى شيء فى العالم.

خشية أن انسى

من الضرورى أن أقول شيئا قبل أن أنسى أن التوأم كان كل منهما ذا وسامة وبالتالي فلا يوجد سبب يجعل أى منهم يشعر بالحسد أو الغيرة تجاه الآخر بل هما مدركان تماما بسحرهما المشترك ولم تكن هذه حقيقة على قدر انها إيمان راسخ داخلهم , أن تكون مقتنعا أو مؤمنا بفكرة ويمكن أن تموت من أجلها , كتب إيريس هذا فى هذه الفترة تقريبا فى مذكراته مضيفا أن عظمة التضحية لا يضاهاها شيء ولكن إذا تصادفت الحقيقة مع الإيمان كان هذا قمة المجد

ولم يقوم بإنهاء أو تفسير هذه الجملة

فى ما بين إيريس وفلورا

هذا التعليق من إيريس العجوز يعطى الإيحاء أن كل من فلورا

وإيريس تقدموا فى العمر

لقد ذكرت أن فلورا دافعت عن بيدرو وباولو أمام إساءة أبيها

لهم وقد استمر على فعل هذا وكان تغيير الحكم أعطى لها

الفرصة أن تدافع عن الملكيين والجمهوريين معتمدا على رأى من

تسمعه سواء كان رأى بيدرو أو باولو
وبروح من المصالحة حاولت استرضاء غضب أو ازدراء ابنيها قائلة
: لا تقل ذلك فكلا منهما وطنى أيضا فيجب أن تعذر حرصهم
على المرح والاستمتاع قالت فلورا هذا بدون أى عاطفة أو سبب
مختبئ وكان دائما أباهما ينهى كلامه قائلا : إنتى جيدة جدا يا
سيدتى

حسنا كان أسلوب إيريس يتسم بالتناقض فهو اعتاد دائما أن
يتفق مع محاوريه فيما يقولونه وكان هذا ليس احتقارا لمتحدث
وإنما عدم الرغبة فى معارضة أو مشاجرة أى شخص حيث لاحظ
أن المجادلات تجعل الوجوه غاضبة ولم يريد أن يرى هذا فى
وجوه من حوله أو يكون هو على هذا الحال فلم يرد أن يربح
النقاش ويخسر كل شيء إلا أنه فضل أن يعيش فى سلام مع الله
والرجال وبالتالي هذا السياق من الجمل والامعاءات الإيجابية التى
بها يترك كل الأحزاب فى سلام ويكون هو ذاته فى سلام
وذات يوم سأل فلورا عن تلك العادة التى ربما لها سبب ما لكنهه
أنكرت حيث إنها كانت عادة طبيعية أن تدافع عن إيا من كان
غائبا عن من لم يكن فى مقدوره أن يرد وكان تسترضى التوام الذى
كانت تتحدث معه ثم تسترضى الآخر
«أوافقك الرأى تماما على هذا» أو أتفق معك تماما »
«ولماذا عليك دائما أن تتفق » سألت مبتسمة
«اتفق لأنى ببساطة أنسجم مع أفكارك وأشعر أنه غير طبيعى أن
اختلف معها وكذلك مع الآخرين عندما أتفق معهم فهذا لأنهم
يقولون ما أعتقد»

«ولكنى أجذك متناقضا»

ربما فالحياة والعالم كذلك فأنتى لم تتعلمى بعد حيث أنكى صغيرة وبدون خبرة «ولستى خبيرة» ولكن صدقيني هذه ميزة فالبراءة هى أفضل كتاب والشباب هو أفضل مدرسة وأرجوكى أن تعذرى تفلسفى ففى بعض الأحيان يكون هذا شر لا بد منه « لا تتهم نفسك أيها المستشار فأنا لا أعارض كلامك ولا شخصك ولكنى أجذك تتفق مع المتناقضات »

ولكنى كذلك أتفق مع تلك الآراء »

«أنت تتفق مع كل شيء»

«عذرا أيها المستشار »

نسيت أن أذكر أن هذا الحوار دار بينهما أما محل للقماش والأزياء فى شارع «روداوفيدور» وكان إيريس ذاهبا فى اتجاه «لارجوساوفرانشيسكودى باولو» وقد رأى الأم والابنة جالسين بالداخل يختاران «ينتقيان» بعض الأقمشة فحينئذ دخل وألقى التحية وسار تجاه الباب مع الابنة ولكن «دونا كلاوديا» نادى مقاطعة الحوار لمدة دقائق أما إيريس كان ينظر خارجا إلى الشارع حيث كانت السيدات من جميع الطبقات تمشى ذهابا وإيابا ورجال من جميع الطبقات وبدون عد هؤلاء الذين كانوا يقفوا على كل من جانبي الشارع والوسط فلم يوجد ضجيج شديد ولو يوجد هدوء تام ولكن ماينهما

بما أن إيريس عرف كثير من المارين وحياهم إلا أنه كان مغمورا فى روحه وكان إذا تكلم صديق أو صديقان يعاود النظر بين الحين

والآخر داخل المحل حيث كانت تقف فلورا وأمها يتشاوران مع صاحب المتجر فسمعهم يتبادلون الكلام وكان لديه الفضول ليعرف إذا كانت الفتاة اختارت إحدى التوأمن بعد وكان يعتقد أن أيا ما كانت ستختاره سيكون مرضى فقد كان محبباً إنها لم تختار واحداً بعد ولم يهتم بمن ستختاره إذا كان أو باولو هو فقط أراد رؤيتها سعيدة لو أن السعادة هي الزواج بغض النظر عن الذى سيتم إقصاؤه فسيكون له العزاء والسلوى على كل حال .
والآن لا يمكن التأكد من اختيارها إذا كان حبا من الطرفين أم حبا من طرفها فقط فمن الضرورى لتكشف الغطاء أن تغوص فى أعماق أعماق روجه أكثر من استطاعته هو نفسه على فعل ذلك فرمما يجد بين أطلال عزوبيته وردة صغيرة للأبوة أزهرت لتوها أو بصورة أخرى الشوق لها «أو الرغبة فيها»

الفصل ٨٨

لا لا لا

فى هذه اللحظة أينما كانوا سواء استطاعوا الإفصاح أم لا إلا أن الحقيقة هى أنه لم ينوى أحدهما أن يتركها ولم يتأكد أى منهما بالفوز بها على قدر اتقاده أنها تميل له وقد وصلوا سابقا لاتفاق أن الذى سيتم رفضه سيقبل بانتصار الآخر ولن يقف فى طريق الآخر وإن لم يتحقق النصر فلا يوجد غير الانتظار لمعرفة نتيجة هذه المعركة فرمما لم يوجد غراما حتى الآن ولكن فى الحقيقة وجد.

ربما أن كلمة غرام هى كلمة مبالغ فيها ولكن يمكننا أن ندركها بمعنى الرغبة القوية فى الحب حب فتى يافع «مراهق» أو ربما أكبر قليلا , كاد كل من بيدرو وباولو أن يتخلوا عن الفتاة لو أنهم رجعوا للمنطق وكانوا على وشك أن يفعلوها أكثر من مرة كان هذا هاجسا سرعان ما اختفى حيث أن غيابها لا يطاق وهما فى حاجة شديدة إليها والآن حتى لو يحدث ما سأحكيه سيكون لا يزال هناك مادة لتروى فى هذا الكتاب .

كل ما سأقوله هو النعم واللا وكل ما فكروا فيه وشعروه وما أحسته هى وفكرت فيه . ثم أضاف الكاتب كفى ! سيكون هذا كتاب الأخلاق والحقيقة والقصة ستستمر بدون توقف , لا لا يجب أن نكملها وننتهيها , دعونا نبدأ بحكى المفاوضات أو المحادثات التى دارت بيت التوأمن بعد أيام من رؤية أو حلم فلورا الذى رآته ذات ليلة أثناء نومها فى حجرتها .

الفصل ٨٩

الوحش

الآن دعونا نرى ماتفاوض عليه التوأمان ذات ليلة ذهبا إلى المسرح مع إيريس يقتلون الوقت فهذا الوحش الذى يحاول الكل التخلص منه على قدر المستطاع , حيث إنه يركل ويموت ويبعث من جديد على أى حال ذهبوا ليقضوا الليلة لا أعلم أى مسرح كان هذا وما كانت المسرحية المعروضة ولا حتى نوعها الأدبى أيا كان

فكان الهدف منها قو قتل الوقت أو قضاء الوقت»
وبعد انتهاء العرض خرج الثلاثة منتعشين وتوجهوا إلى المطعم
وحكى لهم إيريس أنه منذ زمن طويل عندما كان شابا يافعا كان
ينهى المساء مع أصدقاء له من نفس عمره تقريبا , كان ذلك
وقت «اوفيباخ» والأوبريت

كان يحكى «اويروى» قصصا ملخصة يصف فيها السيدات
أدوراهن ووظائفهن كان ما يحكيه كان مقاطع من ألحان يتغنى
بها القلب , أو كلمات من أغانٍ
أما بيدرو وباولو كانا يستمعن بانتباهمصطنع كنوع من
الدبلوماسية واللباقة لكنهما لم يشعرا بشيء بل العكس كانت
لديهما الرغبة في الضحك .

مالذى سيهتمون به ؟ قهوة قديمة في شارع «روااورجيوانا» التى
أصبحت مسرحا وهى الآن لاشيء حيث عاش بعض الأشخاص
وتألقوا ورحلوا قبل مجيئهم إلى هذا العالم ؟ العالم الذى بدأ من
عشرين عامل ولن ينتهى أبدا .

ابتسم إيريس حيث شعر أنه فى الـ ٢٢ من العمر ثانية فكان
لايزال متذكرا ابتسامة أبيه وهو الآن عجوز عندما قال أشياء
شبيهة ولاحقا عندما عرف المعنى الحقيقى والمثالى للوقت على
أنه وحش يحيا ويموت وكان من المهم قتله بإطعامه وعلى الرغم
من ذلك كثير من الذكريات كانت لازالت حاضرة وكأنها حدثت
بالأمس . ولأن فرق السن بيت إيريس والتوأمن كان كبيرا ولم
يستطيع إيريس أن يسرد تفاصيل ولكنها بقت ذكرى وقام
بتغيير الموضوع غير أن بيدرو وباولو كانا خائفين من أن يلاحظ

ازدراؤهم لشوقه لهذه الأوقات البعيدة والغريبة التي استفزتهم
فسألوا عن بعض الأشياء التي أجابها بدون مودة ففي النهاية
كان هذا الحوار يستحق أكثر من أن يتم ذكره ملخصا . وهكذا
لم يفترقوا سريعا حيث ظل باولو يسأل عن اوفينباخ وقد طلب
بيدرو صفا للمواكب الاستعراضية التي كانت في يوم ٧ سبتمبر و٢
ديسمبر

وبطريقة ما قفزوا إلى الحاضر عموما وإلى فلورا خصوصا التي
وصفها أبوها أنها مخلوق رقيق وقد مدح أيضا خصالها الأخلاقية
وحيويتها وكان يظهر في عيني كل من باولو وبيدرو الاتفاق
والتقدير لهذه الصفات وهكذا كانت المفاوضات والنقاشات
التي ذكرتها في بداية هذا الفصل تتطلب فصلا آخر .

الاتفاقية

«أستطيع أن أرى أن أحد منكما يجبها هذا أن لم تكونا انتما
الاثنان تحباها » قال إيريس . فعرض بيدرو على شفتيه بينما نظر
باولو إلى ساعته وقد كانوا في ذلك الحين على الطريق لقد قال
إيريس ما أحسه وهو حقا أن الاثنان يجبها مضيعة أنها فتاة
مختلفة تماما عن العامة فأى منهما سيدافع أى منهما سيهاجم
كما لو أن الفوز أو الخسارة هي شيء ملح كالحياة ماذا سوف
يفعلون عندما يتم اختيار أحدهما ؟ أو لو تم الاختيار قد تم فعلا
وأن أحدهما رفض وأصر على الفوز بها ؟
لم يتكلما على الفور ولأنهم أحسوا أنه لابد وأن يفسروا أنفسهم

وأنه لا يوجد اختيار ومن ناحية أخرى فكان عليهما أن ينتظرا حتى تعلن هي عن اختيارها وأنهم سوف يحاولون الفوز بها ولو اضطر كل منهما أن يكون شخصا شريرا كانت هذه الأفكار تدور في رأسيهما في صمت ولم تكن لديهم القدرة على الإفصاح عن أى شيء لأسباب كثيرة أولهما موضوع النقاش ذاته بالإضافة إلى المتحدث إليهم وعلى الرغم من صراحة إيرس المطلقة إلا أنه كانت توجد حقيقة أنهما كانا فتيان وهو رجل عجوز ولكن الموضوع ذاته كان خطيرا» أو بالغ الأهمية « وبصرف النظر عن أن القلب كان لا يزال طائشا إلا أنه لم يوجد مهرب إلا المتحدث وحتى لو كان الإنكار الذى سينطقون به «لاتنكرا ذلك» قال إيريس قاطعا أفكارهم «فالراشدين يعرفون تماما ما يدور فى أفكار الفتية وماينوون عليه فليس من الصعب تخمينه، يكفى رؤيتكما والاستماع إليكما لأعرف أن كليكما معجب بها»

عندئذ ابتسموا ولكن فى مرارة يخفون وراءها استياءهم الذى يشعرون به أن المنافسة التى بينهم جد واضحة للجميع وكذلك لابد وأنها وتضحة لفلورا والآن بدا الموقف أكثر تعقيدا من ذى قبل وأنه لا خلاص منه.

فى الساعة الواحدة صباحا وصل الثلاثة إلى شارع « لارجوديكاريوكا» حيث كانت إحدى عربات سانتوس تنتظرهم هناك التى كانت تحت طوع وأمر امهما التى تحاول أن تشجعهما فى المناسبات وأن يقيموا بأنشطة مع بعضهما فكانت تحاول لم الشمل وكانت تخذهم فى نزهة والى المسرح وعندما

تستدعى المناسبات الاجتماعية وفي تلك الليلة عندما علمت أنهما
ذاهبان إلى المسرح رتبت لأن تأخذهم عربة أبيهم إلى المدينة
وتنتظرهم هناك

«من فضلك اركب أيها المستشار» قال بيدرو «فالعربة تكفى
لثلاثتنا وأنا سوف أركب في المقعد الأمامى . وعندئذ ركبوا
وتحركت العربة

«حسنا» أمل إيريس كلامه «من المؤكد أن كليكما معجب بها
ومن المؤكد أيضا أنها لم تختبر بعد فهي حتما لا تعلم ماذا تفعل
ولكن شخص ثالث أن يمكنه حل هذه الأزمة فكنتم ستواسون
أنفسكم فقد وجدت أنا نفسى العزاء عندما كنت شابا صغيرا
ولأنه لا يوجد شخص ثالث ولأنى لا اريد أن يطولهذا الموقف أكثر
من ذلك فلما لا تعقدان اتفاقا انتما الاثنان»

«نتفق على ماذا» سأل بيدرو مبتسما

«أى شيء جدوا طريقا لحل هذه المعضلة فكل منما يجب عليه
أن يتبع النداء فأنت يا بيدرو سوف تحاول أولا أن تحل هذه
المشكلة وإن لم يستطع ياباولو فالتقط أنت سيف الإسكندر وقم
بالضربة وعندها سوف يكون كل شيء منهيًا , وبعد ذلك الحين
سوف يأنى القدر الذى ينتظركما بمخلوقتين جميلتين ليعطى كل
منكما واحدة وحينها سيكون كل شيء فى موضعه الصحيح
أضافإيريس بعض الأشياء وعند وصوله أمام المنزل وحاملا ترجل
من العربة سألها «هل نحن متفقان؟»

أوما الاثنان برأسيهما موافقة ولم يقولا شيئا عندما أصبحا وحدهما
ولكن كانا بالطبع يفكران ويبدو أن المسافة كانت قصيرة بين

كأيت وبوتافوجو حيث وصلا سريعا للمنزل وبينما هما يصعدان
سلام الحديقة تحدثا عن الطقس الذى اعتقد بيدرو أنه رائع
بينما رأى باولو أنه سيء للغاية إلا أنهم لم يقولا شيئا بعدها تجنبنا
لأن يستفز أو يغضب أحدهما الآخر فقد حققت هذه الاتفاقية
هدوءا نسبيا دمت وتحيا المرتقبة غدا !

ووصولاً لحجرتهم المنتظرة من أجلهما ملاذ الراحة والاسترخاء
والسكينة حيث تضع أمهما لمساتها على الحجرة فى كل يوم وتهتم
بالورود وتضعها فى المزهرية الخزف وفى المساء تضعهم بنفسها
خارج النافذة حتى لا يتنفسوا عبير الأزهار اثناء نومهم وهناك
ايضا حامل الشمعدان أو الشمعدان الفضى الموضوع عند قدمي
السرائر وقد حفر على إحداهما اسم بيدرو والآخر باولو وايضا
السجاجيد والستائر قد صنعتهم بنفسها واخيرا وضعت صورة
لها ولزوجها على الحائط مابين السريرين وقد وضعت مكان
لوحة لويس السادس عشر وروبى سيرى المشتره «المحضراه»
من روادا كاريوكا وبين قدمي الشمعدانان توجد ملاحظة من
ناتيفاديد تقول فيها هل منكم من يريد القدوم إلى القديس غدا
حيث كانت الذكرى السنوية لومت الجد وكانت يربتوا تشعر
بسوء وكانت ناتيفاديد قد نسيت تماما أخبارهم بهذا من قبل وفى
الحقيقة يمكنها أن تذهب بدونهم خاصة فى وجود العربة ولكنها
ارادت ولكنها أرادت أن يكونوا معها .ضحك كل من بيدرو
وباولو من الدعوة وعزم احدهما على أن يسعد أمه وقرر الاثنان
الذهاب معها إلى القديس وقد قررا هذا فى الحال ودون تباطئ
, لم يكن هذا انسجاما «او تفاهما» بينهما ولكنه كان نوعا ما

نفس الحوار الشخصى يدور فى داخل كل منهما فيبدو أن السماء تكتب معاهدة السلام التى يجب عليهما أن يوقعوها أو يمكن القول أن الطبيعة تعدل رغبتهم وبدلا من كونها يتقاتلان فقد بدءا أن يصلحا من انفسهم داخليا من خلال مظهرهم الخارجى ، انا لا اؤكد ذلك ولكن من الممكن الاعتقاد بهذا بمجرد النظر على الأشياء

«هيا نذهب إلى القديس» قالوا مرددين

وفى صمت طويل ل منهما فكر مليا فى الاتفاقية وفى طريقة التقدم للزواج واخيرا تناقلت النقاشات من سرير لآخر حيث ناقشوا ماهو الأفضل وظلوا يقترحوا ويعدلوا ويتجادلوا واخيرا أنهوا حديثهم بدون توفيق فكانت اتفاقية كلامية مكونة من القليل من الجمل معترفين بانهم لم يستطيعوا معرفة اختيار فلورا فقد اتفقوا على أن ينتظروا لفترة من الوقت لمدة لثلاثة أشهر وما أن تختار هى أحدهما يتعهد الآخر بانه لن يحاول فعل أى شيء آخر فبمجرد تأكدهم من اختيار ستكون الاتفاقية سهلة فكل واحد ليس عليه سوى استبعاد الآخر لكن إذا انتهت المدة المحددة بدون اختيار أى منهما حينها يجب القيام بشئ نهائى وان يقوم الاثنان باقتناص فرصة وصاحب الحظ الذى سيتم اختياره سيترك المجال للآخر أو المنتصر وبعد نقاش دام ساعة تركوا انفسهم للنوم .

الفصل ٩١

ليس فقط الحقيقة التي يجب أن تعرفها الأم
في الساعة التاسعة صباحا في اليوم التالي كانت ناتيفاديد استعدت
للذهاب إلى القديس في كنيسة جلوريا الا أن ابنيها لم يظهر «لابد
وانها نائم»

وذهبت نحو خمس مرات تقف على باب حجرتهم للتحقق
من أي صوت بالداخل فلم تجد إجابة للملاحظة التي تركتها
فاستنتجت انهم وصلوا متأخر فهي بالطبع لم تكن على علم
بالاتفاقية أو بما تحتويه ولطالما انها نائم في سلام فاذا كل شيء
على مايرام وفي الحال وضعت قفازها ونزلت السلام وركبت
العربة وذهبت إلى الكنيسة كان القديس من اجل الذكرى
السنوية لموت ابياها كما فسرت في الملاحظة فهو تقليد قديم وقد
كان لابياها قديس ولامها قديس آخر وكذلك الحال بالنسبة لاختوها
واقارب آخرين . فهي لم تنس ايا من تواريخ الوفيات أو تواريخ
اعياد الميلاد كان الشخص سواء كانوا اصدقاء أو اقرباء لقد كانت
تتذكرهم جميعا عن ظهر قلب

يالها من ذاكرة جميلة ! هناك ناس لا تحتاج المساعدة فهم
يكافحون مع انفسهم ومع غيرهم عندما تهملهم . فسعداء هم
الذين تحميهم

هؤلاء الاشخاص الذين يعرفون المناسبات الخاصة السعيدة
والحزينة من ٢٤ مارس و ١٠ اغسطس و ٢ من ابريل
وال٧ وال٣ من اكتوبر وال١٠ من نوفمبر وعلى مدار عام حيث
توجد الافراح والاحزان الخاصة
عند عودتها للمنزل رأت ناتيفاديد ابياها في الجديقة ينتظرونها

وعندما راوا جروا ليفتحوا ليفتحوا باب العربة لها وبعدها
ساعداها على النزول من العربة وقبلها يدسيها فسروا سلل فشلهم
في الظهر و صباحا حيث انهم عقدوا النية على المجئ ولكن ناموا
«النوم وعدم الرغبة» قالت امهما ضاحكة
«كان مجرد النوم» قال بيدرو
«لقد استيقظنا للتو» اضاف باولو
وحاول كلاهما أن يحتضنها ولكنها ارضتهم واحتضنتهم سويا وفي
المنزل اثناء تغيير ثيابها «فكرت ناتيفاديد
لو أن فلورا التي كانت طلبت منهم المجئ لكانوا استيقظوا مبكرا
بالرغم من نومهم المتأخر كانت هذه فكرة سريعة واسترخت
نفسها بان لا يوجد وجه مقارنة وكان هذا ليس بدافع الغيرة وانما
بمثابة تحفيز لهم لبيتعدوا عن الحرب من اجل الحبيبة فلورا
حيث تصر الام على اخذ ولديها إلى بيتروبوليس سوف يذهبون
إلى الجبل في مبتدا شهر يناير حيث أن الفصل يبشر بان الجو
سيكون بديعا وبالإضافة إلى دعوالات الحفلات فقد ذكرت لهم
اسماء اسماء المضيفين منوهة عن أن بيتروبوليس هي دولة السلام
والحكومة ممكن أن تتغير وفي المقاطعات
«اية مقاطعات يا أمي؟» سأل بيدرو
ابتسم ناتيفاديد مصححة نفسها «الولايات . اعذرا عدم انتباه
امكما , فاعلم انهم ولايات الآن فلم بعدوا كالمقاطعات سابقا
فهم لا ينتظرون حاكمهم يأتي إلى المحاكمة
«أية محكمة , أيتها البارونة» ضحك الاثنان الام والابن وعندما
هذا الضحك «هدأت ضحكاتهم» أكملت ناتيفاديد بيتروبوليس

هى مدينة السلام كما قال المستشار إيريس فى ذلك اليوم ، انها
حيادية .ففى دولة كل الامم ولو كانت عاصمة الجمهورية تابعة
هناك فكانت الحكومة لم تعزل بيتروبوليس يجب أن تلاحظ
الاسم فالبرغم من اصله الا انه يبقى وسيبقى ملك لكل شخص
انهم يقولون أن الطقس سيكون رائعا
«لا زلت لا اعلم أن كنت سأذهب يامى » قال باولو
« وانا ايضا » قال بيدرو

ومرة يتفقان على الانفصال كان هذا ما فكرت فيه الام فكلامهما
سبب لها الموت الفورى فسألت عن سبب بقائهم وإلى متى فاذا
كان السبب انهم التحقا مكتب المحاماة والتدريب الطبى حسنا
فهما لم يبدأ بعد فما الذى سيفعله هنا إذا فى حين انها وزوجها
.....

«هذا لان هناك بعض الاعمال يجب أن اقوم بها فى مستشفى
سانتا كازا » قال بيدرو مجيبا
وفسر باولو نفسه ايضا بانه لن يمارس القانون ولكن يحتاج
لمناقشة بعض الوثائق المعنية فى القرن الثامن عشر فى المكتبة
القومية فسيكتب عن تاريخ «حق امتلاك الاراضى » «او حق
استرداد الاراضى »

لم يكن اية من هذا حقيقى ولكن ليست الحقيقة فقط التى تقال
للام. حيث فكرت ناتيفاديد انه يمكنهما أن يفعلا ما يريدان بين
الانطلاقتين إلى بيتروبوليس حيث يمكنهما الرحل إلى ريو ياخذون
وجبة الغذاء يقومون بعملهم وفى الساعة الرابعة يكملون الرحلة
مثل أى شخص اخر وفى الجبال سيستمعون بالزيارات والموسيقى

والحفلات والاف الأشياء الرائعة غير محتسبين ايام النهار والطقس وايام الاحاد ولكنهم دافعوا عن اسبابهم التى احتاجت إلى ساعات متواصلة «متتالية» من الاصغاء

لم تصر نتيفاديد فقد كان الاسرع أن تنتظر ابنها حتى ينتهوا من الوثائق المكتبية وفترة التخصص فى الطب فى سانتا كازا وقد جعلتها الفكرة تنتبه لأهمية تأسيس الشاب الطبيب والمحامى فهما سوف يعملان مع محترفين ذوى سمعة طيبة وسوف يتقدمون للأمام بنجاح فرما تقدمهم المهنى أو نجاحهم المهنى الذى سوف يؤدى بهم إلى النجاح الذى أعلنت عنه عرافة وليس نجاحا ياسيا بالمره فيمكن للمرء أن ينجح ويتألق فى أى مهنة وقد لامت نفسها انها تخيلت أن ابنة باتيستا يمكن أن تفتح لهم الطريق اما المجال السياسى لأحديهما غير مدركة أن والد فلورا بالكاد يمكنه الاستمرارعلى مهنته المجهولة المصير ولكن فكرة السلطة عادت لتشغل رأسها ونظرت لبيدرو اولاً ثم لباولو بعينى مليئة بهذه الأحلام«الآمال».

ولقد وصلوا إلى اتفاق انهم سوف يذهبون إلى هناك فى ايام السبت ويعود فى أيام الأحاد فى الإجازات الدينية والأعياد معتمدة نتيفاديد على رساخة الروتين

على المركب وفى بيتروبولى كان موضوع النقاش الذى يوضح الفرق بين الولدين اللذين كانا يذهبان مرة فى الأسبوع وكان الاب هو الذى يحمل كل أعباء العمل على كتفيه وكان يسافر كل مساء «مالذى يمكن أن يفعلاه هناك بينما يمكنهما أن ينجذبا هنا إلى العيون الجميلة وتشغلهم» دافعت ناتيفاديد عن التوام قائلة

أن احدهما يذهب إلى المستشفى والآخر إلى المكتبة القومية
ويذاكران كثيراً بالمساء وكان التفسير مقبول ولكن لان الموضوع
أو الكلامصادر من السنة مازحة فمن الممكن انهم اخترعوا هذا
الكلام وانهم يلاحقوا النساء ليس الا
اما عن الحقيقة فهي انهم سحروا بيتروبوليس خلال الساعات
القليلة التي قضوها هناك

لفتات معارضة

كيف يمكن لسقف واحد أن يغطي أفكاراً متنوعة؟، فسماؤنا هذا
السقف الشاسع، حتى إذا كانت صافية أو ملبدة بالغيوم، هي
لتي تغطيهم بنفس حماسة الدجاجة التي تحمي صغارها، ولا
تنسى جماجم الرجال، التي تغطيهم أيضاً، ليس فقط أفكار متنوعة
ولكنها متضادة.

فلورا في غرفتها، لم تكن مهتمة بالملحوظات أو الصناديق في
المسرح، حتى أنها لم تعر اهتماماً للصداع، فلم يكن لديها، كان
الصداع عذراً عملياً ومقبولاً، فمن الممكن أن يكون قصيراً أو طويلاً،
يتوقف على حاجة الموقف، لا تفترض أنها كانت تصلى، فعلى الرغم
من أنه لم يكن لديها صليب أو تعرف التراتيل، فلم تكن لتطلب من
المسيح أن يحرر روحها من الميل المتشابك مع بعضه البعض، كانت
تجلس على حافة سريرها، وتحقق بعيونها على الأرضية، بالتأكيد

كانت تفكر في شيئاً خطيراً، أو لا يوجد شيئاً على الإطلاق تفكر فيه، وهو ما جعل عيناً واحدة ثابتة وهناك تركيز، عضت على شفيتها بغضب، ووضعت رأسها بين يديها كأنها أرادت أن ترتب شعرها، ولكن شعرها ظل كما كان من قبل.

عندما استيقظت، كان الظلام حل تماماً، فأشعلت شمعها، لم ترد ضوء الكيروسين، أرادت ضوءاً خفيفاً يعطى الحياة قليلاً لغرفتها والأثاث الذى بها، والذى سيترك بعض جوانب الغرفة فى ظلام خافت، فلو ذهبت إلى المرأة فلن تعكس جمالها اليومى المعتاد، مع الشمعة التى تستقر بعيداً على قمة المكتب القديم، ولكن سوف تظهر لها لمحة الشحوب والحزن، كان بداخل حزنها المشوش فى هذه المناسبة لمسة صغيرة من الضجر.

كيف تجمع كل هذا بداخلها، لا أعرف كيف ولا هى أيضاً، فعلى العكس كانت فلورا تبدو لعدة مرات يسيطر عليها الرعب، ومرات أخرى يسيطر عليها أرق غامض، فعندما بحثت على مسند الكرسي الصخرى، تركته على الفور، سمعت الساعة وهى تدق الثامنة، فى خلال فترة قصيرة من المحتمل أن يصل بيدرو وباولو، فكرت فى أن تخبر أمها بأن لا تطلب منها النزول للأسفل، كانت ترقد على السرير، لم تستمر الفكرة كان عليها أن تدونها، ولكن فى الحقيقة ذهبت الفكرة، فأنا الآن على الخط الثانى، وتراجعت فى الوقت المناسب.

فقلت لنفسها«هذا غير مهذب، يكفي ألا أظهر، سوف تقول
أمى إننى مريضة، ولهذا لم نذهب إلى المسرح، وإذا سعدت للأعلى،
سوف أخبرها أنى لا يمكننى النزول...»

جاءت الكلمات الأخيرة بصوت مرتفع، وذلك لتثبيت هذا الحل،
حاولت أن تستلقى للأسفل، وأعتقدت أنه من الأفضل أن تفعل
ذلك عندما سمعت صوت خطوات أمها فى الصالة، عرضت كل
هذه البدائل نفسها بطريقة عفوية، ومع ذلك ليس مستحيلا كانت
هذه طريقة لتذكر أى ذكريات غير سارة، خافت الشابة من أن
تنزلق و تطارد تلك الذكريات.

الثالث

خافت من تلك الأفكار، ماذا كان على فلورا أن تفعل؟، فتحت
نافذة من النوافذ الموجودة فى غرفتها، والتي تطل على الشارع،
انحنت على الشرفة ونظرت للأعلى وللأسفل، وشاهدت الليلة
الخالية من النجوم، وقليل من الأشخاص يسرون فى الشارع بهدوء
أو يتحدثون، وبعض الغرف المضاءة والمفتوحة، وواحدة منهم بها
بيانو، لم تستطع أن تحدد الرجل على الجانب الآخر من الطريق
وهو ينظر على منزل باتيستا، فهى لم تر الشخص، ولم يكن الأمر
يعنى لها شيئا لتعرف من هو، فبمجرد ما رآها هذا الشخص، كان

الشخص يرتعد ولم يحول عينه من عليها، ولم يحرك قدمه من على الأرض.

هل تتذكر ذلك الزائر الصيفي الذى حضر من «بتروبوليس»، وهو أجد العاشق الثالث لصديقتنا الصغيرة؟، قالت: «واحدًا من الثلاثة»، حسنا إنه الثالث، ويمكن أن يكون له ظهور آخر، فهذا العالم ينتمى إلى العاشقين، وكل شئ آخر غير ضرورى، وسوف يأتى اليوم عندما تكون حتى الحكومات من الممكن القيام بها بعيداً، والفوضى سوف تنظم من نفسها فى الأيام الأولى للنعيم، وبقدر ما الطعام ضرورى، فسوف يأتى من بوسطن أو نيويورك من عملية عن طريقها سوف يطعم الناس أنفسهم عن طريق تنفس الهواء ببساطة، إنهم العشاق الأبديين.

فهذا الشخص كان مسئولاً فى مكتب الإدارة، ففى العموم يتزوج المسئولون مبكراً، كان جيوفيا عازباً، كان يغازل الشابات الصغار، ففى أحد أيام الأحد فى الكنيسة، لقد رأى ابنة الحاكم السابق، وغادر الكنيسة وهو يغرق فى الحب ولم يرد أن يسأل عن أذن آخر، فقد خدع العديد من الفتايات، ورافق القليل منهم، ولكن كانت هذه هى الفتاة الأولى التى جرحته، فكر فيها فى الليل و النهار، وكان روا دى ساو كليمنتى هو الطريق الذى يسكله من مكانه للذهاب والعودة من العمل، فإذا رآها كان ينظر إليها باهتمام، ويقف بعيداً على مدخل المنزل، و يبدو كأنه ينظر على

العربات المارة، ثم يحول نظراته من العربات إلى الفتاة الشابة.

عندما كان موظفاً، كان يكتب الشعر، وأصبح فجأة مسئولاً، ففقد تلك العادة، ولكن واحداً من تأثير الشغف أعادها إليه، وحيداً في منزل أمه، بدد الورق والحبر من أجل أن يضع آماله في وزن الشعر، وتوالت الأبيات واحداً تلو الآخر، متصلين مثل الرفقاء في الكتيبة، كان لقبه سيكون كولونيل، في الكتابة المنقوشة على العلامة النحاسية، فقد أمر أفكاره أن تسير فجأة، هل سيكون هذه تعزيزات كافية للغزو؟، طبع جيوفيا بعض منها في الجرائد مع هذا الأهداء» إلى شخص ما»، ولكن هذا لم يجعل المدينة تستسلم.

فبمجرد ما تأتي إلى رأسه ليرسل لها إعلاناً عن الحب، يأتي الشغف مع أفكار غريبة، كتب رسالتين، ليسوا بنفس الأسلوب، في الحقيقة كانوا على العكس من بعضهم البعض، كان في الأولى شاعراً، أستخدم الضمير «أنت» في الأبيات وكثير من الصفات، فأطلق عليها إلهة في إشارة إلى اسم فلورا، وأقتبس من موسيت و من كازميرو دي ابيرو، والرسالة الثانية كانت الرضا الرسمي نحو الموظف، خرجت على شكل تقارير ومذكرات، وجلال واحترام مع أصحاب السعادة، بمقارنة الرسالتين، ولم يختار أي منهم في النهاية، فلم تكن فقط نصوص متنوعة ومتضادة، كان أساسهما هو عدم الاعتراف الذي قاده إلى أن يزرع الدموع فوق الرسائل، لم تعرفه فلورا وهربت من معرفته، لو قابلت عيناها عيونها، كانت تلتفت بعيداً في الحال، فهذه الأشعة الضئيلة من الضوء فتحت له براعم

صغيرة لأمله» ابدأ بنفس الأسلوب مثل الرسالة الأولى»، كان محتملاً وحتى أنه حقيقى، كان حقيقياً جداً حتى أنه وصل إلى عمله متأخراً، لحسن الحظ أنه كان موظفاً ممتازاً، فأعطاه المدير ربع ساعة كفترة سماح، وتقبل الصداح الذى سببه الأرق الحزين.

فسر المسئول سبب تأخره وقال: «لقد استغرقت فى النوم فقط عند بزوغ الفجر»

«وقع!»

توفى الأب الروحي لجيوفيا وترك له ثلاثة قصور فى وصيته، أى شخص كان سيعتبر ذلك نعمة، وجد جيوفيا الأمر كنعمة مزدوجة، الميراث وفرصة أن يتدخل فى علاقات مع والد فلورا، فجرى عليه وطلب منه أن يقبل منصب مستشار إدارة الميراث، وأن يتولى مسئولية المصاريف والنفقات على الفور، بعد فترة قصيرة، خرج ليبحث عنه خارج المنزل، ولذلك سيخبر المحامي عائبته عن الزبون الجديد، استخدم العديد من التعبيرات الرقيقة والماهرة، فأخبر الحكايات عن أبيه الروحى، قدم مفاهيم فلسفية وخطة بأن يصبح أباً، ووصف أيضاً موقفه الأدارى، والإجراءات الوشيكة، وتلقيه للثناء، العمولات والمكافآت، وكل التبجيل الذى يحصل عليه من الزملاء الآخرين، بالإضافة إلى أنه لا يوجد شخص فى قسمه لدية كلمة سيئة فى حقه، وحتى هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يحسدون بسببه اعترفوا بذلك، أن أعطاء الأفضلية لجيوفيا كان مستحقاً، ليس كل هذا كان حقيقياً، فصدق هذا فى آخر الأمر، وحتى أن لم يصدق كل هذا، لم ينكر أياً من هذا، أهدر الوقت والعمل، لم تسمع فلورا قط عن المحادثة.

حتى أنها لم تسمع عنها، حتى أنها لم تلاحظ الشخص العبارة عن خيال هناك، كما قلت من قبل، وقلت أيضا أن الليلة كانت مظلمة، وأضفت أنها بدأت تمطر رزازاً وحل نسيم عليل، كان لدى جيوفيا مظلة، كان سيفتحها، ولكنه تردد بعد ذلك، ماذا يجري في روحه كان نضالا مشابها للذى يكون بين المسودات والرسالتين، أراد المسئول أن يحمى نفسه من الأمطار، وأراد الموظف أن يبلى نفسه، هذا هو فقد ولد الشاعر من جديد ضد كل العناصر، بدون خوف من أذى، مستعد للموت من أجل فتاته في أوقات الشهامة، كانت المظلة سخيصة، كانت تدفئة نفسة هي محاولة لإنكار افتنانه، كان مثل القتال نوعا ما والنتيجة، فاز الموظف بينما كانت الأمطار تنزل بغزارة، وأسرع الآخرون ومعهم المظلات، دخلت فلورا إلى الداخل وأغلقت النافذة، انتظر الموظف فترة أطول، حتى فتح المسئول المظلة كما فعل الآخرون، وفي المنزل وجد العزاء الحزين من أمه.

الانسحاب

مرت هذه الليلة بدون حادثة، حضر التوعم، لم تظهر فلورا، وفي اليوم التالي سألت عن طريق ملحوظتي دونا كلاديوس كيف هو حال ابنتها، ردت الأم إنها بخير، ولكن فلورا لم تستقبلهم

بالسعادة المعتادة، كان هناك شيئاً ما خطأ والذي جعلها هادئة، طلبوا منها أن تعزف الموسيقى، فعزفت، كان هذا جيداً لأنها كانت وسيلة للانسحاب إلى داخلها، فلم ترد مصفحاتهم التي كانت تلبّيها حتى فترة قصيرة، كان هذا في تلك الليلة، وجرت الليلة ما يليها، لأول شخص ، ووصل الثاني مبكراً، كانت هذه منافسة على البنت المتحيرة، ولكن التنافس كان لا يساوى شيئاً.

تمثال المسيح الخاص

أخذ كل هذا مجهوداً كبيراً من أجل أنت تطلب من تمثال المسيح مقابلة من أجل أبيها، ليرسله وظيفة الحاكم أو أى مهمة أخرى بعيداً عن ريو، فالمسيح لم يوزع الوظائف الحكومية في هذا العالم، والناس هنا يعطون الوظائف لمستحقيهم عن طريق نظام الاقتراع السري، حيث يتم وضعهم داخل جرة خشبية، يتم حسابهم، فتحهم، قراءتهم، وإضافتهم، ومضاعفتهم، فحقاً فالتفويض من الممكن أن يأتي، فالسؤال هل يمكن للمسيح أن يقدم المعونة لنفس الشيء، فالمفوضون يجب أن يكونوا بلا حدود متعددة أكثر من المهمات، فخرج الاعتراض من روح فلورا، لأنها طلبت من المسيح، فهو تمثال من العاج تركته لها جدتها، فالمسيح الذي لم ينكر عليها أى شيئاً وكذلك الأشخاص الآخرون الذي لم يزعجوه بالتوسل، أمها وتمثال المسيح أيضاً، والثقة في طموحها، وموساة خيبة أملها، لم تلجأ إلى ابنتها، فكان هذا اعتقاد ساذج من البنت.

بالتأكيد طلبت منه أن يحررها من تلك المشاعر المعقدة، والتي لم تثمر لشخص آخر، فهذا التردد الممل، الذي يدفع ويجذب في الجانبين، لم تكن مسموعة، فالسبب ربما لم تعط تفسيراً واضحاً لما كانت تريده، كما فعلت أنا، ربما خزي القارئ، في الحقيقة لم يكن سهلاً للسؤال في كلمات، الكلام أو حتى التفكير، لم تنظم فلورا توسلاتها، فوضعت عيونها على الصورة ونسيت كل شيء، حتى تستطيع الصورة أن تقرأ الرغبات التي سعدت بداخلها، كان كثيراً جداً أن تطلب معروفاً من السماء وأن تخمن السماء ما هو، فهذا لما لخصته فلورا، ولذلك قررت أن تغير من نهجها، لم تفعلها، لم تجرؤ على أن تخبر المسيح ما كانت تفكر فيه، فكرت في كلاهما، بدون أن تعترف للبعضهما، شعرت بالتناقض، بدون أن تجرؤ على أن تواجه ذلك لفترة طويلة.

الطبيب أيرس

في يوم من الأيام بدا للأم أن ابنتها متوترة، فسألته واكتشفت أن فلورا عندها كلمات مشوشة ولديها هفوات في الذاكرة، ظهر هذا فقط في اليوم الذي سيزورها فيه أيرس، ومعه رسالة من ناتيفيداي، تحدثت الأم له في في الأمر وأظهرت إليه مخاوفها، وطلبت منه أن يسألها بدوره، تصرف أيرس كطبيب، وعندما ظهرت الفتاة الشابة وتركتهم أمهم في الردهة سويا سألها بكل فضول.

كانت نيته غير مجدية لأنها هي من بدأت المحادثة، تشتكى من الصداع، لاحظ ايرس أن الصداع هو مرض الفتاة الشابة، واعترف أن الكلام كان تافهاً، فقد كشف القضية، لم يرد أن يضيع الفرصة ليخبرها أن كل الأشخاص يعرفون الموضوع ويتحدثون عنه، ليس فقط هنا ولكن أيضاً في بتروبوليس.

«وأنتى كلامه:» لماذا لا تذهبين إلى بتروبوليس؟
«أمنى أن أقضى رحلة أطول، وأحدة أخرى أطول....»
«إلى العالم الآخر، أنا أراهن على ذلك؟»
«أنت مُحق»

«هل لديك حقاً تذكرة؟»

«سوف أشتريها في اليوم الذى سأغادر فيه»

«ربما لن تجدى واحدة، يوجد الكثير من الزحام في هذه الرحلات، من الأفضل أن تشتري واحدة في وقت مبكر، ولو تريدين سوف أشتريها لكى، وسوف أشتري واحدة لى، وسوف نذهب معاً، عبرت بدون التفوه بكلمة، بالتأكيد كانت تشعر بالملل، أحياناً يكون الناس الذى تعرفهم مزعجين، كما يحدث في هذا العالم، فالشوق للحياة مقبول، فالناس متشابهون في الشعور بالملل، ألهم الكابتن الثقة بالنفس، لم يفتح فمه، أعطى أوامره بإيماءات، فلم يسجل له تحطيم أى سفينة من قبل.

«أنت تسخر منى، أعتقدُ أننى مصابة بالحمى»
«دعيني أرى»

أعطته فلورا معصمها، فقال بشجاعة «حمى..»

دكتور إريس

ذات يوم كان يبدو للأم أن ابنتها عصبية , فسألت الأم ابنتها واكتشفت أن فلورا تعاني من نوبات دوار وهفوات في الذاكرة. إنه اليوم الذى كان يستعد فيه إريس لزيارة من ناتيفيديد وذلك من خلال رسائله التى وضح بها ذلك. تحدثت الأم إليه أولا وكشفت إليه سر مخاوفها وطلب منه أن يطرح عليها أيضا أسئلته. اريدى إريس ملابس طبيب وعندما ظهرت السيدة الصغيرة تركتهما الأم في حجرة الاستقبال ونوى أن يطرح عليها الأسئلة بحذر.

ولكن النية كانت غير مجدية حيث بدأت فلورا بنفسها الحوار شاكية من آلام صداع. لاحظ إريس أن آلام الصداع هو مرض الفتاة الصغيرة وبعد ذلك اعترفت له أن هذه آلام تافهة .وكشف هو عن السبب حيث كان لا يرغب أن يضيع الفرصة لكي يقول لها ماذا يعرف وماذا يقول عنها , ليس فقط في هذه المدينة ولكن أيضا في بتروبوليس.

وقد استنتج «لماذا لا تذهبين إلى بتروبوليس؟»

«أتمنى أن أسافر رحلة أكثر طولاً...»

«الى العالم الاخر ,أراهنك على ذلك؟»

«أنت على صواب.»

«هل لديك بالفعل تذكرة؟»

«سأشترى واحدة في يوم السفر.»

«رہما لا تجدى تذاكر فيوجد زحمة شديدة نحو ذلك المكان. فمن الأفضل أن تشتري تذكرة في وقت مبكر قبل السفر. ولو ترحبين سوف اهتم أنا بهذا الأمر فسوف أشتري تذكرة أخرى لى ونسافر سويا.فالتجاوز بدون سابق معرفة شخصية من المؤكد شيء ممل كما يحدث في هذا العالم. والحنين إلى الحياة أمر مقبول.وكان الناس على متن السفينة متشابهين, ولكن كان يلهم قائد السفينة الثقة , فهو لا بفتح فمه حيث كان يعطى الأوامر بإيماءات ولا يوجد أى تسجيل لأى سفينة غارقة له.»

«أنت تسخر منى . أظن أنى أصبت بحمى.»

«دعيني أرى.»

أعطته فلورا معصمها ثم قال بطريقة خطيرة :«نعم , إنها حمى بسبع وأربعين درجة مئوية .فيداكي تحترقان, ولكن هذا يدل على أنه لا يوجد شيء,لأن هذا النوع من الرحلاتيجعل الأيدى باردة. فمن المؤكد أنكى تعانينمن نزلة برد,تحدثى إلى والدتك.»

«أمى لا تستطيع أن تعالج شيئاً.»

«بل تستطيع, يوجد أدوية منزلية . على أى حال, اسألها ويمكن أن تستدعى لى الطبيب.»

«الأطباء يعطوا منشطات, وأنا لا أحب المنشطات.»

«ولا أنا أيضاً, ولكنى أتحملهم. لماذا لا تجربينبعض الأدوية المثلثة,فهى لا طعم لها,على عكس الأدوية الأخرى؟»
أيهما تعتقد الأفضل؟»

«الأفضل, الله وحده هو الأعظم.»

ابتسمت فلورا ابتسامة شاحبة, ولاحظ المستشار شيئاً أنه لم يكن

حزنا عابرا أو مزاج طفل.
وتحدث مرة أخرى عن بتروبوليس ولكنه لم يصر عليها حيث تعتبر
بتروبوليس تفاقم للوضع الحالي.
وأضاف «تعانى بتروبوليس مش مشكلة الأمطار. فأنا لو مكانك
سأترك هذا المنزل وهذا الشارع واذهبى لجيران آخرين، لمنزل
صديق مع والدتك أو بدونها.»
سألت فلورا بلهفة «أين؟»
ونظرت إليه منتظرة رد على سؤالها، فلا يوجد منزل لصديق أو لا لم
تستطع أن تفكر فى منزل، وكانت تريده أن يختار لها واحدا، مهما
كان وضعه وكلما كان أبعد، كلما كان أفضل وكان ذلك ما قرأه فى
عينها الفاترتين فهو يقرأ فيهما الكثير، لكن الدبلوماسى الجيد لديه
موهبة معرفة كل شىء يقوله الناس من خلال تعبيرات وجوههم
وأىضا العكس يستطيعون معرفة ما لا يريد الناس أن يقولوه. فقد
كان إريس دبلوماسىاممتازا بالرغم من مغامرة كاراكاس، فلو هذه
المغامرة لم تحد مواهبه المغطاة وغير المغطاة فسوف يكمن جميع
الدبلوماسين فى هذين الفعلين.

باسم الهواء النقى

قال لها وهو مغادر «سوف أحضر منزلا جيدا لكى». فمئذ أن كان فى بترولبوليس لم يتناول إيرس الغداء مع أخته فى أندراى أيام الخميس , كما كان يرتب معها فى الفصل الثانى والثلاثين. ذهب الآن هناك, وبعد خمسة أيام انتقلت فلورا إلى منزلها لستنشق بعض الهواء النقى. السيدة ريتا لم تسمح للسيدة كلاوديا أن تحضر ابنتها, بل ذهبت هى بنفسها لجلبها فى ساو كلامينت واصطحب إيرس الثلاث.

شباب فلورا فى منزل السيدة ريتا كان بمثابة زهرة متفتحة عند سفح جدار العمر . وأصبح العمر أكثر شبابا والزهرة البسيطة على الرغم من شحوبها حجارة عارية . وكانت السيدة ريتا مسرورة وقامت فلورا بإكرام ضيافتها فى المنزل بشئ من البراءة والفضل للدرجة التى جعلت السيدة ريتا تود أن تسرقها من والديها حيث جعلت كلاهما يضحك.

«أنتى تعطينى هدية رائعة بهذه السيدة الصغيرة», وكتبت السيدة ريتا إلى أخيها قائلا: «هى روح نقية وجاءت فى الوقت المناسب ,لانى بدأت أتقاعد بسبب الشيخوخة .فهى منصاعة و راغبة فى التعلم وتتحدث ,تلعب وترسم جيدا وبسرور. وقامت بعمل عدة لوحات لمناظر ومشاهر محلية , وسوف أصطحبها لأبين لها مناظر جديدة بالاهتمام. ولكنى سألتها إذا كانت تفتقد ساو كلامينت, فتبسمت مشيرة بايماءات عن اللامبالاة. لم أتحدث معها عن أعصابها حتى لا أجعلها تحزن , ولكنى أومن أنها أصبحت أفضل»

كثبت أيضا فلورا إلى المستشار إيرس, ووصل الخطابان في نفس اليوم في بتروبولس . أبدت فلورا شكرا عميقا وحرارا مصحوبا بتعبيرات تدل على أنها تفتقده, وهذا أكده الخطاب الآخر, على الرغم من أنه لم يقرأه بعد . قارن إيرس الخطابين وقرأ خطاب الفتاة الصغيرة مرتين ليرى إذا كانت تخفى شيئا أكثر من الواضح على الورق. باختصار, لقد وثق بالعلاج.

وظن أن «مادام هي لم تراهما, فسوف تنساهما.» «ولو أى من الجيران انجذب إليها, ربما سيكون الزواج نهاية المطاف.»

وقد أجاب على الجوابين في نفس تلك الليلة, قائلا لهما إنه يوم الخميس سوف يتناول الغداء معهما . وكتب للسيدة كلاوديا وذلك ضمن خطابه لأخته . وذهب ليقضى الليلة بمنزل ناتيفيديد الذى أراه الخطابات الخمس . ووافق ناتيفيديد على كل شيء ولاحظت فقط أن أبناءها لم يكتبوا إليها ولذلك فمن المؤكد أنهم يشعروا باليأس.

أجاب إيرس«تعالج هذه الحالات مستشفى سانتا كازا وأيضا الناشونال لايرارى.»

يوم الخميس, ذهب لتناول الغداء في أندراى ووجدهما بالظبط كما قرأتهما في الخطابات. وسأل كل منهما على حدة لسمع من فم كل كنها الاعترافات المرسلة على الورق , وكانت الاعترافات كما هي واحدة . وإن كانت السيدة ريا تبدو أكثر سرورا. ربما كان السبب الحديث هو السر الذى كشفته إليها السيدة الصغيرة في الليلة السابقة. فمنذ أن كانا يتحدثان عن الشعر , أشارت السيدة ريتا إلى ما تم ذكره في الفصب الثانى والثلاثين, أنها قامت بقص

شعرها لتضعه في قبر زوجها عندما قاموا بدفنه، ولم تدعها فلورا
باستكمال الحديث وأخذت يديها وضغطت عليهما بشدة.
وقالت لها «لا توجد أى أرملة تفعل مثل ذلك.»
والآن أخذت السيدة ريتا يديها ووضعتهما على كتفها وعانقتها
. وقام الجميع بمدحها لتضحيتها في هذا التصرف. فهى الأولى من
نوعها التى تقوم بهذا العمل الفريد، ثم قامت بمعانقتها أطول
فأطول....

رأسان

استمر العناق طويلا حتى نهاية الفصل. هذا الفصل لا يبدأ به أو غيره، فالمصافحة الحميمية لإيرس وفلورا والتي استمرت لفترات طويلة أيضا قد انتهت. استمر الغداء أطول من المعتاد لأن إيرس ، بالإضافة لأنه متحدث استثنائي، لم يستطع سماعهما جيدا خصوصا الفتاة الصغيرة حيث وجد بها نوعا من الكسل والتعب أو ما شابه ذلك ، أو شيئا آخر ربما لم أجده في مرادفاتى.

عرضت فلورا عليه لوحاتها فبعض منها مناظر طبيعية ، لوحة لطريق تيجوكا ، نافورة قديمة ، أطلال «لبيت نصف مبنى» إنها إحدى البيوت الذى بدأ شخص ببائه منذ عدة سنوات ولم يكمل بناؤه أحد تاركا جدرانين أو ثلاثة فهو أطلال بلا تاريخ . كان يوجد لوحات أخرى كسرب من الطيور ، مزهرية على النافذة. تصفح إيرس اللوحات بفضول وصبر. نية العمل حسنت من النقص الموجود باللوحات والإخلاص قرب ذلك. وفي النهاية ربطت الفتاة الصغيرة مجلد اللوحات ولكن إيرس اشتبه أنه يوجد لوحة أخيرة مختفية وسألها أن تعرضها عليه.

«إنه مجلد لوحات، ولا يستحق كل هذا العناء.»
«كل شيء يستحق. فأنا أريد أن أتبع محاولاتك الفنية، فدعيني أراها.»
«إنها لا قيمة لها.»

أصر إيرس، فلم تستطع فلورا أن ترفض مرة أخرى، لذلك فتحت المجلد وأخرجت قطعة ورق سميكة مرسوم بها رأسا متطابقان. فهما ليس بهما الكمال الذي ترغب به. وبالرغم من ذلك كانت اللأسامى غير ذى جدوى. فتأمل إيرس العمل الفنى لعدة لحظات ورفع عيناه مرتين أو ثلاث لينظر إلى الفنانة . انتظرته فلورا بترقب، فهى تريد أن تسمع منه مدحا أو نقدا، ولكنته لم تسمع شيئا . انهى إيرس نظرتة للرأسين ووضع الرسمة مرة أخرى مع اللوحات الأخرى.

فسألته فلورا محاولا أن تخرج كلمات قليلة منه :«ألم أقل لك إنه مجرد مجلد لوحات؟»

ولكن فضل الوزير السابق ألا يقول شيئا فمحاولة كشف مدى أثر التوأم تقريبا انطفأت حيث فضل أن تكون المواساة فى غيابهم , لذلك كان أحياء تلك الذكرى كافيا وبدون حضور النماذج فكان الرأسان مرتبطتين برابط خفى. واستمر صمت إيرس وربما استوعبت فلورا جزءا ممكا يدور بروحه. وأخذت اللوحة وأعطته إياها ولم تقل أو تكتب شيئا عليها. وبغض النظر عن ما كانت عليها , وربما يكون ذلك أمر غير حكيم بالإضافة أنها الرسمة الوحيدة التى لم توقع عليها. فقامت بإعطائه إياها كما لو كانت رمز للتوبة . ثم ربطت مجلد اللوحات مرة أخرى بإحكام , بينما مزق إيرس اللوحة بصمت ووضع قطع اللوحة فى جيبه. لم تتحدث فلورا للحظة وكان فمها مفتوحا , ولكن بعد ذلك أخذت يده وشكرته. ولكنها لم تستطع أن تمنع سقوط دمعتين واللتين كانتا بمثابة شريطتين مزقا ملف الماضى للأبد.

لم تكن الصورة جيدة ولا حقيقية; إنه ما حدث لإيرس أثناء
عودته من أندراى وكتب ذلك فى مذكراته وبعد ذلك شطبها وكتب
انعكاس أقل نهائى . “ ربما تكون دمعة لكل واحد من التوأم “.
” ربما ينتهى هذا مع الوقت ” مبتهجا نحو القارب إلى بتروبوليس
قائلا لنفسه ” الأمر لا يهم , إنها حالة معقدة.“

الحالة المعقدة

اعتقد التوأم أن الحالة معقدة, فعندما ذهبا إلى ساو كلامينت
حصلا على أخبار عن فتاة بدون أى تأكيد لعودتها. والوقت يمر,
ولكنه لن يمر وقت طويل قبل أن يستشيروا العراف كما فعل
شخصان ذلك من فترة طويلة.

بطريقة فنية, لم يستطيعا عد أسابيع الانفصال نظرا لعدم لعدم
الاختيار وقد تسفر المشاورات عكس الميل الحقيقى للسيدة
الشابة. فهو انعكاس عادل على الرغم من المصلحة الشخصية . لا
يريد أى منهما أى شىء ولكن لمد المعركة ,على أمل الانتصار فيها.
ومع ذلك لم يثقوا فى بعضهم البعض مع هذا التفكير المزدوج.
فكل منهما شعر أنه مميز, وأصبحت العاطفة متواضعة وتحتاج أن
تبقى صامته. فهما لم يعدوا يتحدثان عن فلورا.

ليس فقط عن فلورا, و بمعارضتهما المتزايدة استعادة الصمت مرة
أخرى. فكل منهما يتجنب الآخر. لو يستطيعان تجنب ذلك فسوف
لا يتناولوا الطعام سويا. وإذا قاما بالفعل تناول الغداء يتحدثان
قليلا أو لا يتحدثان على الاطلاق. فأحيانا يتحدثان كي لا يثيرا الشكوك
فى أنفس الخدم, ولكنهما لم يلاحظا أنهما يتحدثان بسماجة
وبطريقة غليظة , وأن الخدم يثرثرون عن كلماتهم وتعبيراتهم
فى حجرة المؤون «حجرة إعداد الطعام». فالرضا الذى به يواصلون
اكتشافتهم واستنتاجاتهم هو واحد من الأشياء القليلة الذى يحسن
الخدمة المنزلية التى هى قاسية. ولكن الخدم لم يستطع معرفة

كل ما يجعل التوأم أكثر و أكثر خصومة والمسة من الكراهية والتي كانت تزيد في غياب والدتهما. كما تعرف الأمر أكثرمن فلورا، أن شخصيتهما التي لا يمكن التوفيق بينهما. ذات يوم كان هناك خبر مهم في حجرة المون والمطبخ فييدرو بحجة الشعور الحرارة أكثرمن باولو. قام بتغيير غرف النوم وذهب للنوم في غرفة أخرى والتي كانت أكثر حرارة من الغرفة الأولى.

الحجرة

أعرف،أعرف -كررها ثلاثا-أعرف أنه يوجد رؤى عديدة على هذه الأوراق. أعترف يوليسيس لألكينوس أنه منزعج أن يقول له أخبار كهذه. فهو مزعج أيضا لى , لكنى كنت مجبرة أن أفعل ذلك لأن بدونهما ستصبح فلورا أقل فلورا . فستصبح شخصا آخر لا أعرفه مطلقا. فأنا أعرفها بهواجسها أو كل ما تريد أن تطلقه عليها. بالرغم من أنها تعاني من بعض الاكتئاب والتوتر، لم تهمل فلورا

أن تقدم نفسها بشكل جيد جاعلة نفسها أكثر جمالا. وكان لديها أكثر من معجب محهول وكان يتنهد لها، فهي لم تفتقر أولئك الذين يعجبون بها من بعيد ويذهبوا لرؤيتها وهم جالسون على المقاعد الخضراء بالحديقة. فأمام بوابة حديقة أخت إيرس يمكن أن أقابل بعضهم مثل جوفيا-حقا يبدو وكأنها لم تقابلهم من قبل.

أحدهم كان يستحق أكثر من الآخرين بسبب عربته المجرورة بزوج جميل من الخيل وذلك في حي الرأسماليين. فمنزله كان قصرا والأثاث مصنوع في أوروبا على النمط الإمبراطورى. كان الخدم من الصين والسجاد من سيمرنا وحجرة النوم كبيرة و واسعة بسريرين: أحدهما سرير لشخص واحد ، والآخر سرير لشخصين. وكان السرير الثانى فى انتظار زوجته المستقبلية.

«من المؤكد أنها الزوجة» اعتقد ذلك ذات يوم عند رؤيته لفلورا. فهي فى منتصف العمر، وهو ذات وجه به ضربات من أوجاع الحياة على الرغم من العطر الذى يضعه. ويفتقد جسمه الرشاقة وتفتقد أخلاقه الفضل و البساطة. إنه نوبريجا الذى يمتلك ألفين بنكوت «عملة ورقية» والمدونة الخصبة والتى أخلف بعدها العديد من المدونات. بقدر ما كانت المدونات الأحداث ذات معان إلا أنها لم تذكر فيها الجدة فى ذلك الوقت.

واليوم الصباح رائع ونقى ومشرق.

عندما رأى السيدة الصغيرة وكان لديه معتقدات عنها من قبل إلا أنه اندهش عند رؤيتها. فقد رأى نوبريجا سيدات أخريات وأكثر من سيدة كانت قد أرسلت إليه رسالة بعيونها مما يشير إلى فراغ قلبها. بينما كانت فلورا هى السيدة الأولى التى استولت حقا على

مخيلته وجعلته يتوقف عن التفكير، وعاد لكي يراها.
لاحظ الجيران تكرار زيارات هذا الرأسمالي، وفي النهاية قد دعا
نوبريجا نفسه في منزل السيدة ريتا بسبب استيائه من المحطيين
به والذين يشعرون أنفسهم مهملين عن طريق الضيافة المعتادة
لهم. ولكن نوبريجا كان قد أعطى أوامر للجميع بأن يتم خدمتهم
كما لو كان حاضرا بالضبط.

غيابه لم يتسبب في أن يخسر أصدقاءه، على النقيض فالخدم يمكن
أن يدلوا بشهادتهم عما يعتقدون عن هذا «الرجل العظيم». وهذا
هو الاسم الذي أطلقه عليه السكرتير الخاص به والذي أُلصق هذا
اللقب به. فنوبريجا يستطيع بالكاد أن يستهجي الأحراف، وليس
لديه أى معرفة بالجملة ولا سيما الدراسات المفيدة. حقا هو لا
يستحق أن يضاف إلى قائمة البشر. وقال ذلك كل من خلف السكرتير
والذي كان ذا قدر كبير وأساسيا عنده. وأضاف الكاتب المخلص أنه
إذا كان من الضروري أن يخلع نوبريجا قميصه ويعطيه لمتسول،
فسوف يفعل ذلك حتى لو كان القميص به تطريز.

في الحال، كان هذا الحب في الحقيقة عملا خيرا، وبعد قليل
أصبح أشبه بعشق كبير لدرجة تجعله لا يستطيع احتوائه أو
الاعتراف به. فقد كان مترددا هل سيعلن ذلك للفتاة نفسها أو
لسيدة لديه المنزل. فهو ليس شجاع، ولكن خطاب واحد يمكن
أن يحمل كل هذا. ولكن الخطاب يتطلب أسلوبا معيناً ودفء
واحترام، إلا إذا أشارت فلورا إلى شيء ما حتى لو كانت إشارة
بسيطة. وحينئذ سيكون الخطاب ردا عليها، ولكن فلورا لم تشر إلى
شيء. فقد كانت بسيطة ومهذبة.

لاحظت السيدة ريتا ميول نوبريجا نحو فلورا وظنت أنه أفضل حل لضيقتها. فكل الشكوك والكرب والأحزان سوف تنتهى بفضل هذا الرجل الثرى المحترم صاحب القصر والعربة والتي ستكون تحت أمرها والتي قارنتها بتلك الجائزة الكبرى فى اليانصيب الأسبانية.

فى النهاية، قام سكرتير نوبريجا باحضار خطاب بأفضل لغة يستطيع كتابتها، ذلك الخطاب الذى سأل فيه هذا الرأسمالى من السيدة ريتا مقابلة مع حبيبته.

نصح نوبريجا السكرتير «لا تكتب كلمات عذبة قليلة، فأنا أحب هذه الفتاة اكثر من أى شىء لأنى أشعر بحمايتها. إنه ليس خطاب غرام. فأسلوب الخطاب لابد أن يكون جادا....»

«خطاب جاف» هكذا استنتج السكرتير.

«ليس جافا كليا» هكذا صحح له نوبريجا. «خطاب تمليق، ولكن لا تنس أنا لست طفلا.»

هكذا تم كتابة الخطاب، وفى الحقيقة كان الخطاب مبالغا فيه. فظن نوبريجا أن الأسلوب يمكن أن يكون أقل رقة. فلا يضر إذا تم وضع كلمتين أو ثلاث لكى تقرب من الهدف، مثل: جمال، قلب، مشاعر...وبالفعل تم كتابة الخطاب وتوجيهه إلى المكان المقصود. وكانت السيدة ريتا سعيدة للغاية، فكان هذا ما تريده فهى لديها خطة للتخلص من القصة الحزينة بطريقتها وتصرفاتها ويظهر ذلك فى آخر صفحة للخاتمة الرائعة. لم تفكر فى أن تقول لأخيها عن ذلك و لأنها تريده أن يستقبل الأخبار كأمر واقع، وأعدت قراءة الخطاب مرة أخرى، وكان من المفترض أن تذهب فى الحال لتلخص

كل متع الحياة , ولكن كان هناك أشخاص والذين ينطبق عليهم القول المأثور « أفضل جزء في الحفلة هو الجزء الخاص بالتوقع.» وكانت السيدة ريتا تميل إلى هذا الرأي. فهي كانت تدرك أن هذا النوع من الخطابات التي لا يحتفظ بها الشخص لفترة طويلة ولا ذاك النوع الذي يتم الاجابة عليه مصادفا . فقد انتظرت لمدة اربع وعشرين ساعة وفي الصباح التالى وبعد أن تناولوا الفطور قامت ريتا بقراءة الخطاب للفتاة ولكن الخطاب لم يدعها تضحك كثيرا ضحك صريح وعالى الصوت حيث إنها لم تضحك أبدا في أندراى.

كانت السيدة ريتا منزعة لل غاية فقد افترضت المزايا والمكانة سيكونوا لصالح هذا المرشح وغفلت عن شعرها المقدم في قبر زوجها. ونصحت الفتاة مؤكدة بشدة على المكانة الاجتماعية للخطاب سواء في الحاضر أو المستقبل. فالموقف الرائع أن هذا الزواج سيمنحها في النهاية الصفات الأخلاقية لنوبريجا. انصت الفتاة بهدوء وضحكت مرة أخرى وسألت: «هل أنتى متأكدة أننى سأكون سعيدة؟»

«أعتقد ذلك الآن , والمستقبل سوف يقول نعم أو لا .»
«دعينا ننتظر وصول المستقبل والذي يبدو أنه سيأخذ وقتا طويلا. فأنا لا أشك في صفات هذا الرجل فهو يبدو طيبا ويعاملنى بطريقة جيدة, ولكنى لا أرغب في الزواج, يا سيدة ريتا.»

«حقا ... أنتى فى سن... لكن ألا ترغبين على الأقل فى التفكير فى ذلك لأيام قليلة؟»

«أنا فكرت بالفعل فى ذلك.»

مازالت السيدة ريتا فى انتظار يوم آخر. فالرد السلبي بالرفض

سوف يكون كارثة, إذا استطاعت فلورا تغير رأيها , فاستخدام المصطلحات الخاصة بها كارثة عظمى, موقف رائع ومشاعر عميقة. فالسيدة ريتا قد ذهبت إلى أقصى الحدود , لذلك الرجل الثرى في السنوات الأخيرة من القرن.

الرد

لم ترغب السيدة ريتا في إعطاء الرد بطريقة صريحة, حيث نصحت الفتاة, والتي ردت ببساطة: «أبلغيه أنا لا أنوى الزواج». عندما استقبل نوبرجيا الخطاب والمكون من سطور قليلة والذي قامت بإرساله السيدة ريتا, انصدم فهو لم يعد الرفض بالحسبان.

وعلى النقيض فهو كان متأكدا من قبول الخطبة والتي خطط لها . فقد تخيل الفتاة الصغيرة ذات العيون الخجولة والفم المغلق والحجاب المغطى لوجهها الصغير الجميل , وكلماته الرقيقة لها والتي كان سيلقيها عليها عند خولهما المنزل . وكان قد ألف ابتهاج للأُم المقدسة لجلب السعادة لهما . وقال لنفسه بصوت عال «سأعطيكي العربة» . «سأمنحك مجوهرات , بل مجوهرات هذا العالم...». فلم يكن لديه فكرة محددة عن هذا العالم ; إنه مجرد تعبير . ” سوف أعطيكي كل شيء , حذاء صغيرا من الحرير , جوارب من الحرير والتي سأرتديكي إياها بنفسى...“ . ثم ارتعش وارتدى جواربها وقبل قدميها وركبتها.

فقد تخيل له أنها عندما تقرأ الخطاب ستندهش وتعبر عن شكرها في عدم الرد على السيدة ريتا في البداية, ولكن بعد ذلك اندفعت الكلمات من قلبها ” نعم مدام , أريد أن أتزوج , أنا موافقة. ليس لدى أى شكوك فى أى شيء آخر“. وكتبت فى الحال لوالديها لتطلب منهما السماح بذلك. وسوف يأتى والداها جريا وباندهاش. وبعد النظر إلى الخطاب وسماع ابنتهما والسيدة ريتا , سوف لن يشكوا فى الحقيقة وسيبدوان موافقتهما. وربما يسلم الأب إليه شخصيا الرد على الجواب.

ولا شيء , لا شيء , لا شيء مطلقا, فهو رفض سهل ووقح لأن بعد كل ذلك , من هى بجانب أى فتاة جميلة؟ فهى مخلوق بدون قر واحد لاسمها , فهى ذات ملابس متواضعة وبدون أقراط فى أذنيها, ولا سيما لؤلؤتين صغيرتين. إذن لماذا قاموا بثقب أذنيها إذا لم يكن لديهم أقراط ليعطوها لها؟ وأظن أن أفقر البنات فى العالم يقومون

بثقب أذنيهما حتى تتمكن الأقران من التدفق من السماء كالمطر. وجاءت هذه الفتاة ورفضت أثرا الأقران التي تتمكن السماء من إمطارها عليها.

في العشاء، لاحظ الأصدقاء بالمنزل أنه مشغول البال. وفي هذا المساء ذهب هو والسكرتير الخاص به للمشي على الأقدام. وقد بحث نوبرجيا في نفسه عن إيماءة يستطيع أن يقوم بها وتكون أكثر برودة ولا مبالاة وتقريبا تافهة ليعلن للسكرتير أن فلورا لا ترغب في الزواج. فلا أحد يستطيع أن يصف الدهشة التي كان بها السكرتير ومن ثم تركيزه وفي النهاية سخطه. فأجاب نوبرجيا براحة صدر: "إنه ليس خبثا. ربما ظنت نفسها بعيدة للغاية عن الثروة والحظ". وأضاف "صدقني إنها فتاة طيبة وربما -لمن يعرف - أن يكون ذلك ضار لقلبها؟ فالفتاة مريضة."

"مريضة؟"

"أنا لم أؤكد ذلك، أنا أقول فقط ربما يكون ذلك."

فأوما السكرتير بالموافقة.

وحده المرض هو القادر على التعبير عن نكران الجميل، لأن هذا التصرف يدل على نكران الجميل بصورة واضحة.

وهنا أصبحت نغمة الصوت بها سخط، نغمة خالصة، مثل الآخرين والتي استمتع نوبرجيا بسماعها. إنه نوع من التعاطف الطيب وهنا جلبته فكرة كانت لديه قبل أن يتزكا المنزل: هي أن يزيد مرتب هذا الرجل، ويعتبر ذلك أجر التعاطف. فالشخص المستفيد ذهب بعيدا، وقد استنتج أن ذلك ثمن الصمت ولا أحد كان أكثر منه حكمة فن أي وقت مضى.

المستشار ايرس وموفيولا

في داخلة الحقائق الداخلية، ولكنه قاوم» الفصل الحادى عشر»،
أنه المرجع الأول الذى صنعه المستشار بنفسه.

قبل أن يعلن والد التوأم عن غرضه من الزيارة، تصرف أيرس بروح جيدة: «لا، لا أنا لا أقاوم...»، وأضاف الراوى فى نفس السطر «توافقون على رجل سنة حوالى أربعين عاماً، ومد يده للوafd الجديد» الفصل الحادى عشر»، لم يتوقع أن يجد القارئ: «أنا وافقت» بدلا من «رجلا وافق»، منذ ذلك هل الراوى والشخصية هم نفس الشخص؟، حدث ذلك أنه فى أربعين صفحة من الرواية أننا استخدمنا الوجود الغائب لأيرس، فنحن اعتادنا على الاتحاد مع الراوى الذى يعيش خارج الحدث، بحيث تكشف الأحداث أن المستشار يقودنا إلى طرق ملتوية فى القصة، ويسلط الضوء على ظروفه أو ظروفنا كمراقب متميز، فنظرة العارفين ببواطن الأمور تسمح لنا بأن نؤدى رغبة سرية فى أن نرى يدون أن نكون مرثيين، أن تراقب ولا تُراقب، أن تسمع ولا يكون عليك أن تجيب، نخترق حميمية الآخرين بدون أن نشكف حميميتنا، فلقارئ هكذا تكون طوال الأمر، وبالنسبة للراوى يجب أن تكون متعلقة بوجه نظر المستشار.

فبعد أن أعلن في المشهد الى ذكر للتو، لم يوجه المستشار لنا ولكن لمستمعيه المعتادين، ولكن الممثلين الآخرين، وفي هذا التسلسل نقدم شخصاً مختلفاً عن الراوى، كما لو كان شخصاً غريباً، وفي الفصل التالى يتواصل الوصف على نفس الوتيرة، «الرجل أيرس الذى ظهر للتو لا يزال يحتفظ ببعض فضائل الأوقات، ولا واحدة من الرذائل»«الفصل الثانى عشر»، يستمر المستشار فى الحديث عن نفسه، كما لو كان يتحدث عن شخص آخر، كما لو كان يقدم شخصية جديدة، فأيرس الذى يعرفه القارئ من نقطة فى القصة هو راوى عارف ببواطن الأمور، مقنع ولكن بصوت طبيعى، كمتواطئ سوف يقود طويلاً إلى نهاية السرد، فأيرس الذى أظهر نفسه الآن فى الشخصية كغريب، من هو؟، ماذا يفعل؟، ماذا يبدو شكله؟، أين يعيش؟، مع من يعيش؟، فهذا فضولنا الطبيعى، والذى يجب أن يريحه الراوى، نبدأ مع الفصل الحادى عشر، تظهر شخصية أيرس كل مرة فى المشهد، أيرس سيقول « هو يكون» وليس «انا أكون».

لا يوجد فقط أيرس واحد، هناك اثنان، هنا بالقرب منا، يقودون خطواتنا، هو شخص لطيف بروح مرحة، وروح تمثل الراوى، أصبحنا ملمين بذلك منذ السطور الأولى، فنحن تم حسابنا فى وجوده المستمر، بدون التسرع من أجل التصفية، بأنس ومجد، ما الشئ الذى جذبنا أكثر: قصة التوأم بيدرو وباولو، وبعد مرور فترة قليلة، قابلنا شخصية أيرس، فحضوره المتقطع الذى تفاعل فى الحوارات مع الشخصيات الأخرى، ولكن ليس معناً، فراوى عيسو ويعقوب والذين أكلمو ما قدمه الشاعر البرتغالى فيرناندو

بيسو«١٨٨٨-١٩٣٥» مع التعبير«ليحول واحداً إلى الآخر»، بالتأكيد فعل هذا ولكن ليس بالأسلوب التقليدي، عندما ظهر أيرس في كتاب ملحوظات المستشار، أصبحت الرسالة بصورة متزامنة رسالة أخرى، ويشير إلى نفسه كشخصية في الشخص الثالث، قال ريموند: «j'est un autre».

هنا مرة أخرى، فالمقبول ظاهريا يعنى القليل، فنحن نقبل الخدعة بروح جيدة، فهو لا يزعجنا أن كلا الممثلين يلعبون دوراً مختلفاً وغير متوافق في الظهور، هناك الشخصية البعيدة، والتي تكون رؤيتها محدودة في المشاهد القليلة التي شارك فيها، هنا أيرس الذي يعرف ويرى الجميع، وهنا يتشارك مع القارئ مميزات الرؤية الجوهرية، جوهرية لأنها بعيدة وحرّة، في رؤية شخص لا يسمح لنفسه أن يُكدر الأحداث بالإلحاح على المطالب، قادر على أن يرتفع فوق التورط الشخصي، فهذا هو أيرس الراوي، فأيرس الشخصية ليس لديها نفس النزاهة، مغمور في الأحداث كأنه في ملابساتها، تحت رحمة اهتمام أحادي كأى شخص آخر، ففي الفصل الثاني عشر نجد أنه منذ وقت طويل كان منجذباً إلى ناتيفيداي،«ولكن بمجرد أنه رأى أن الاهتمام ليس متبادلا من الجانب الآخر، فبدل الموضوع»، فتزوج، زواج بدون حب وأصبح أرمل، وبعد ذلك فكر سانتوس في أن يجعله يتزوج مرة أخرى من أخت ناتيفيداي بريتيا، والتي هي أيضا أرملة، ولكن المحاولة كانت غير ناجحة، رفضت العروس لأن ناتيفيداي أخبرتها قصة أخرى، حيث تم تشويبه من مناصيره السابقين، فهذه الحيلة التي استطاع

من خلالها المستشار أن يفرق بين الاثنين، شارك في مناسبة في الأحداث، السرد الآخر، فالهدف هو أن يكسب وجهات النظر، ليس فقط علاقة بالناس الموجودين في الحبكة الرئيسية، ولكن أيضا في العلاقة مع شخص تحول إلى شخص آخر الآن.

فبمجرد ما تفهم الحيلة يظل لدينا اندهاش- وسوف يضيف شخصاً، خطأ- إن هناك حقا مستشارين، نفس الجانب الأساسي يشخص نفس الحقائق عن شخصيته، فغياب الرفض يجعلك تتورط شعورياً، فقط مثل أن يزيل الراوى نفسه من المشهد، ليظهر الموقف الكلى القادر على القبض على الحقيقة الأساسية، والتي ركز عليها في اختلافات منفصلة، فالشخصية ايرس يتصرف بنفس السلوك في دائه علاقاته، منتبه لكل شئ، بُحث عنه عن طريق كل شخص، فلم يفضح نفسه أبدا، لم يتورط أبدا في أى شئ، حتى لو تم مجادلة ليفعل ذلك، يرفض كشف رأيه، دائما ما يجد طريقة لغير الموضوع، بنوع من خفة الظل، باتجاه حماسية، وعن طريق الاقتباس.

دبلوماسي متقاعد، مواطن في العالم، رجل مكرر ومثقف ولديهاالتزام وطموح، وحيد ولكنه مزروع وسط العديد من الأصدقاء، مراقب محايد و فضولى لسلوك الآخرين ولسلوكه، فالمستشار يقترب بشكل مثالى من التشكيك، فمثالية شخص ما والتي ترمى الشكوك بشكل آلى على كل الحالات والتي كانت تعتبر حقيقة، ليس يبدو دائما أنه يبحث عن مثالية الحقيقة المطلقة،

فأفعال الشخصية أُعطى لمحات عنها في وضع مفترض تماماً عن طريق الراوى، وفي نفس الطريقة المعرفة التي اكتسبناها عن الرسالة، فكل صفحة تقودنا إلى فهم الشخصية بشكل أفضل، بمجرد أن يلقي الضوء على الآخرين.

لا حظ المستشار إثارة الناس من حولة، وكشف عن؟، القلق، سوء الفهم، مخاوف مختلفة، رغبات وطموحات، العديد من الشكوك، حقائق غير مستقرة، وعن أم مشغولة البال بمصير أبنائها، فكلما حبتهم أكثر، كلما كانت قلقة عليهم أكثر، غير متأكدة من مواجهة المستقبل، فالطاقة تضيع في المكسب والخوف من الخسارة، مشاريع الغزو بأى سعر، مهارة البعض، وشباب البعض، وهشاشة كل الآخرين، الإنسانية تظهر متورطة في معركة، ضد من وإلى أين ستنتهى، أيرس يتفلسف لا أحد يستطيع أن يقول "الحرب هى أم كل شئ" يقتبس من إمبيدوكليس الفصل الرابع عشر.

فالمستشار بأختصار هو راوى فريد من نوعه، لايهتم بسرد قصص منفردة ولكنه يتمرن على مهنته كفيلسوف هاوى، فالناس من حوله، وهو نفسه، يهتم بما فوق كل الظروف الإنسانية بشكل عام، أنها باتجاه هذا الهدف المخلص، فهو يقود وسائله من أجل أن يحلل ويعكس.

٤

واحدة من العلامات البارزة للمستشار في القصة هو سرعته

السردية، فالحقائق تنقل إلى القارئ بطريقة محسوبة، سلوك غير متسرع، مهما كان الأيقاع الأصلي للأحداث، يضعهم على الأوراق، فهم مركزين، ليتحدثون في موفيل، فأداة مراجعي الفيلم سمحت لهم أن يتحكموا بسرعة الفيلم الذي يشاهدونه، وبها لا يسرد أيرس ذكرياته، ومزاجه، وروح المستشار وتوحيد يحسد عليه، لا شيء يبدو يقلقه، فالتضاد مع القصة المرورية يسطع حتى الآن.

حقا في البداية أخبرنا عن تسرع وتوتر ناتيفيداي وبربتيو لأنهم جازفوا لمكان غريب والذي من المفترض أنه خطر، نلاحظ أن قلوبهم كان تضرب بشكل أسرع، نبضاتهم تسرع ولكن الراوى عبر عنها بإيقاعه الخاص، لما يسمح لنفسه بأن تتأثر بالحدث، فعبر الكاتب في العديد من المقاطع والتي بها تتشارك الحقائق وتتحرك الشخصيات بسرعة وبرشاقة، ولكن الراوى لم يغير من سرعته أبدا، فضغط الحياة اليومية فرض على الشخصيات إيقاع الحركة، من السرعة الفائقة إلى المشى البطيء، ولكن سرعة المستشار كان ثابتة، فقد جاءت من بين ترتيب روحى محدد، أن سرعة شخص وضع نفسه بعيدا عن الأحداث، فلا يغذى طموحاته، ليس لديه أحلام عظيمة ليدركها ولهذا السبب هو غريب وقلق.

متشادو يعرف أن هذه السرعة لم تجعله ميتاً عند غالبية القراء، والذين اعتادوا على أن يتحركوا بين الروايات وانتباههم متصل مع الحكمة، و لديه فضول ليعرف كيف ستتحل الصراعات، ويفضلون العمل الوفير الذى لا ينقطع، توقع متشادو أن أسلوب

المستشار سيكون محبطاً، ولكنه لم يقدم أى تنازلات، بالإضافة إلى أنه استثمرها بسخرية وحشية في بعض الأحيان، بأن يطلب من القارئ السماح لأنه لن يعطى تفسيراً» اقضى على الوقت والورق، قم بالعمل وأنهم الملل، أنه من الأفضل أن تقرأ بانتباه» الفصل الخامس».

واحد فقط عليه التفكير في مثال الأنصار، لو لم يكونوا في عجلة من العيش، في عجلة من الغزو و أن يكونوا لامعين، ربما يستمتع ناتيفيداي وسانتوس وآخرون بالحياة بشكل أكبر، في حالة إن لم يفهم القارئ الدرس، يعطى أيرس درساً آخر، إذا كان التسرع لعيش الحياة هو مرض عضال، فعلى الأقل سيتخطى الإنسان السرعة في القراءة، بسخرية معتدلة أطال الراوى الأحداث وحدد القارئ غير الصبور، ونقده:» فرانكلى لا أحب أن يخمن الناس كتابا و يكتبونه والذي يكون كُتب بشكل منهجى» «الفصل السابع والعشرون»، الكتاب الذى كُتب بشكل منهجى هذا تعريفاً مناسباً، ففى الحياة اليومية، تتصادم الأحداث، نداءات متضاعفة، وأحيانا حادثة تافهة من الممكن أن تغير اتجاه الحياة الداخلية، لا يوجد أسلوب للتمكين من الصمود أمام هذا، ويعرفها أيرس، ولكن فى الكتب الأشياء مختلفة، فى كتابه، فى مذكراته، فى ذكرياته، فى القصة التى يعرفها هو، فالحياة تشكل عن طريق رغبة سيادته الحرة، فرض على فوضى الأمر الخارجية، او حلم الأمر، الذى تمليه عليه روحه الهادئة.

بطء السرد يمكن أن يراه الشخص، يعتمد على تقنية الاستطراد، والتي يلجئ إليها الراوى بدون تردد، فكسر خيط القصة على التوالي، ويجد أيرس متعته في أن يتظاهر بأنه سيتوه في الطرق الالتفافية، ولكنه لم يتوه، ارك المشهد في تشويق، وضع في سطور وقطع قبل أن يجمع مرة أخرى وتكتمل الصورة، من الأفضل القول أنه يكتمل جزءا بجزء بسرعة منضبطة، ومتعلق بالمحفزات والمجمعات التي على الجانب من الطريق الرئيسي، حدث وأن جذبت انتباه المستشار، لم تكتمل الصورة أبداً، نعم طريق ليس بعقيم ولا مصطنع، لأنه من المعروف كيف تعيش في فوضى و بشكل غير متوقع.

فالأحداث التي ذكرت في الأعلى، و اللقاء الذي جمع أيرس مع سانتوس في منزل الدكتور بلاكديو، هو مثال رائع على هذا الإجراء، تم مقاطعتها في نهاية الفصل الحادي عشر ونسى كما يبدو، فالمحادثة بين سانتوس وبلاكديو وأيرس بدأت مرة أخرى في الفصل الرابع عشر بدون مقاطعات قال سانتوس وهو يحذب يد الدبلوماسي: «أمكث من فضلك يا أيها المستشار»، تعلم الحقيقة الأبدية»، «الحقيقة الأبدية تطلب ساعات أبدية، تأمل الرسالة و نظر في ساعته» الفصل الرابع عشر».

نستطيع أن نسمع صرير موفيولا، تحرر الأحداث، جعل الفيلم يتحرك مرة أخرى، فالصورة ليست بلا سبب، إنها تعنى السينمائية والمناخ المسرحي والذي معه والذي مشبعة به الأحداث في يد المستشار، بدلا من أن يخذعنا باقتراحات ناتيفيداي سانتوس

والتوهم وفلورا والبقية هم أناس من لحم ودم، يحتلون مساحة مثل مساحتنا، أصر الرواي على أن يوضح أنه متعلق بمساحات متميزة، متصل بالواقعية، مع حقيقة الحياة، حيث هناك المسرح أو الشاشة والممثلين يلعبون أدوارا محددة، خيال صافي، والعكس من الممكن أن يكون صحيحاً، أيرس ليس ليس مقيداً.

دعانا المستشار إلى أن ننعكس في أحداث القصة، بمنظور ومسافة، لم يطلب منا ولكن حذرنا من أن لا نتماثل مع الشخصيات، ويقترح بألا واحدة من هذه الحيوانات تستطيع أن تعوضنا عن نقص الأحلام والإنجازات، مهما كان مصير بدرو، بولو أو فلورا، فلن يغير مصيرنا الخاص، فالواقعية التي نراها تتقدم في مسارها، وهنا لا نستطيع أن نعتمد موفيو لا المستشار ليجمد الحدث ويوقف الوقت، والتي تسير لا محالة، أيرس هو شخص مخادع ولكنه يعتمد عدم الخداع.

لتوقف الوقت....«الوقت نسيج غير مرئي، حيث يمكن لشخص أن يُزخرف كل شيء، زهرة، طائر، سيده، قلعة، أو معبد، ويمكن للشخص أن لا يزخرف أي شيء، لا شيء على قمة غير المرئي، هذا أرق عمل في هذا العالم، وهذا سبباً من الأسباب»«الفصل الثاني والعشرون»، هناك يكمن الجزء الأكبر من طموح المستشار، للمماتلة في مارس ليوقف الوقت، ليعيق العملية، ليس ليكون معاقاً، بل يضع نفسه على حافة الحياة، ولكن في العكس، لذلك سيكون من المحتمل أن تستمتع بأكتمال كل دقيقة، وتقابل الموت، قلل أسلوب أيرس من الأحداث في عدة مشاهد، تتشابك

مع الاستطراد الذى ليس له غرض واضح، ولكن فى نفس الوقت يسجل عدد غير محدود من الخصاص والتفاصيل، غبى بالجوهرية والواقعية، حتى فيما يتعلق بالمساحة الجغرافية بين الشخصيات.

باختصار ولكن بالتأكيد بها ترميزات، فقد نشر الراوى قبلنا خريطة واسعة وملونة لمدينة ريو دى جانيرو، ووضح الأراضى التى انتقل إليها الانصار، وهذا الابتعاد لا يعنى الغياب، والميل إلى الاستطراد وانعكس ذلك كطابع عام لا يعنى اللجوء فى الخيال ولكن تأتى أقرب إلى الواقع، ليست واقعية سطحية والتى تُشاهد وتنسى، ولكن واقعية عميقة والتى تختفى خلف الظهور ولم تكشف على الفور.

إنها تهدف إلى أن فى حقيقة أن المستشار يحاول أن يضبط التركيز فى عدسته، فى البحث عن المعنى الحقيقى للحياة، المعنى النهائى لكل شئ، عُرِفَت فلورا عن طريقه بأنها «غامضة»، إنه نموذج مفضل للإنسان ليكون مفقودا قليلا بداخلها، مُقسم بين صراع الاهتمامات وفى البحث عن اتجاه، ولكن الصورة معاه فى الآخرين، سانتوس و ناتيفيداي باتيستا وكذلك كلوديا وفوقهم كلهم التوءم، والذى معاً رمزاً إلى الازدواجية فى الأحوال الإنسانية، الجميع يبدوون مستوعبين فى التعب من الاضطرابات التى حدثت والمهمات الحميدة، ماذا يريدون بعد كل هذا؟، فى أى اتجاه يقومون ببذل الجهد؟

بدون مسرح والتركيز المفرط، ليس حتى فى مواجه الموت،

لقد مرر المستشار إلينا صورة مفهومة وذات روح جيدة لأناس يعيشون حياتهم كردة فعل على ظرف معين، الحياة التي يجب أن يعاد صياغة معناها مع كل تغير، «انتهى النظام الملكي!، فتحيا الجمهورية»، فارغ كأنهم في معنى أعمق، من أجل هذا السبب تقاتلوا، كافحوا، أصبحوا في دائرة وبدو متقدمين، ولكنهم لم يتقدموا، منذ أنهم يعودون إلى نقطة الرحيل.

٥

«مفهوم التاريخ»، والذي شاهده هناك، فطبقا لأفريدو بوسي: «أنه وقت دورى، التاريخ منسوج من الأعمال المتكررة، وحتى لو كانوا متناظرين، تدفعها طبيعة الأنواع، فمفهوم ألين» على الأقل في خط خارجى»، استعارة تطويرية لسهم الزمان، الزمن من التقدمى الخطى الذى دعم القيم السياسية من جيل عام ١٨٧٠ والمتشادو الصغار، والذي يستطيع طويلا أن يهين سيناريو الأفكار في نهاية القرن»، نستطيع أن نوكد عليه بالمقارنة مع توءم الكتاب المقدس، نقطة الرحيل والآن نقطة الوصول.

في محتوى الكتاب المقدس، نجد الفرق بين عيسو ويعقوب واسع وعميق، وبمرافقتهم في حياتهم الكاملة، فنزاع البكورة الذي تورطوا فيه سما عن طريق المصير المنفرد لشخص آخر.

ألفريد بيسو، كو انفرو» سابولو، أتيكا ١٩٨٨ « ص ١٧.

عيسو مُحِب، بينما يعقوب لا يزال يعتقد في ما كان يعتقد به أسلافه، عيسو الصياد يتبع أسلوب حياة مبدد، مترحل ويحتمل أن يكون مُشركاً، يختار يعقوب الحياة المستقرة، السماح بثبات الرغبات في الأرض المعودة، فالمنافسة بينهم، تمثل الطراع بين أسلوبين في الحياة، وينذر باضطرابات عميقة، بعد أن انتزع الحق في البكورة، فأنجب اثني عشر ابناً، فسيغير يعقوب اسمه إلى إسرائيل، ومن هنا فسوف يأخذون أن استطاعوا على ظروف أناس مختارة.

ماذا لدينا في بيدرو وباولو؟، منافسة سطحية، لدوافع غير مجدية، كما قال المستشار: مجرد«تنافر متبادل، وثبات في الدم»، تورط عيسو ويعقوب في قتال بسبب غرض الشراكة، ما هو غرض العداء بين باولو وبيدرو؟، فبدأ أن المستشار دس قطعة من الملكية إلى الجمهورية فرمما تكون مُثلت، في مهنة التوأم كاريوكا، شئ ما يعادل العبور من حياة البدو الرحل إلى الاستقرار، من الشرك إلى التوحيد، يمثلهم أبناء ريببكا وإسحاق، ولكن المنافسة بين بيدرو وباولو لم تتخط الحدود الشخصية للغرور والحسد.

بطول تلك السطور، اقترح أيرس عنصراً مشتركاً آخر للتاريخين، التدخل الخارق، الرب يتحدث إلى إسحاق ويخبره بأن زوجته ستكون حاملاً، حضر أيضاً ليستغيث من روببكا، كاشفاً لها النبوءة عن التوأم الذي تحمله في أحشائها، ظهر مبكراً قبل يعقوب، في

أعلى السلم، عبر الملاك الرسول، وبخصوص قضية توءم بوتافنجو، والقوى الخارقة تلعب دورها أيضا في خلال كابوكلا بابر، عن طريق العراف ودكتور بلاكيديو محاضر «السعادة الأبدية»، وهذا كله، فالفرق صارخ بينهم حتى نمنع النظر فيه، دعنا نبقى مع ما هو أساسى، فى النص من الكتاب المقدس، القوى الخارقة تمثل تصميمًا كبيرًا، فالأغراض الرئيسية قادرة على أن قادر على أن يسلف معنى مشترك إلى مسار الأجيال، فى قصة بيدرو وباولو القوى الخارقة للطبيعة خفضت إلى سذاجة وتخمين، فتثير أوهام الأكثر حساسية.

فالمنافسة بين بيدرو وباولو، سيبر هذا من الهواجس التى تراود الأم بعد زيارة كابوكلا، هل تصر على أن يصبحوا أصدقاء؟، كم يبلغ من نقص الاتجاه والهدف فى هذه الحياة المكتومة، غير قادرين على توجيه مصائرهم الخاصة، قد تكون بسبب صعوبتهم مع تشخص أنفسهم، يحولون أنفسهم إلى الآخر»، ليس عدوهم ولكن مكملهم؟، وهل يرجع كل هذا إلى الإيمان بعناية الإلهية أعلى؟.

ماتشادو دى اسيس شكاك وغير ظاهر ليتحدانا ببعض الأسئلة الصريحة، ومع ذلك ها هم أمام العديد من الأسئلة، أن عيسو ويعقوب دعونا ونعتبر ذلك خطرنا الخاص.

ملحوظات

الفصل الأول

3-Dico.che quando l'anima mal nata أقول هذا عندما تكون هناك روح سيئة الميلاد، دانتي الكوميديا الألهية، انفرو الفصل الخامس.

3-Morro do Castelo الجحيم للقلعة، درج تل ريو دي جنيرو في فترة مبكرة من القرن العشرين.
Eumenides اسخيلوس، الغضب، الخط، "لو كان هناك أغريقين...." قيل ذلك في خطبة كهنة بيثيا معبد ابولو في دلفي.

الفصل الثاني

8-"الأفضل أن تذهب للأسفل من الأعلى"، لويس فاز دي كاميس "١٥٢٤،٨٠"، ذا لوساديز "١٥٧٢" الفصل الخامس في إشارة إلى تراجع أفراد طاقمها عند الساحل الأفريقي، فقط قبل لقائهم بطاقم العملاق آدمستور.

٥٠,٠٠٠ ريس حوالى ٢٥,٠٠٠ دولا أمريكي "الريس الواحد" يتم تغيرة بحوالى ٥٠ سنت في عام ١٨٧٠، كمية كبيرة كان موجوده في كونتوس "مائة ألف ريس أو مليون ريس، مايقرب من ٥٠٠ دولار أمريكي.

كوريوسوس، ملك ليديا، كان يعد مخترع العملات سجل
إنه كان يعطى هدايا سخية لبيثيا وكاهنة ابولو في ديلفى
وسجلت في هيروdot وتاريخها الكتاب الأول.

الفصل الثالث

Tostao,vintem-10 كان التاستو ١٠٠ ريس حوالى نيكل
والفينتم كان ٢٠ ريس حوالى قرش.
Ni cet exces d'honneur, ni cette indignite-10: لا
وجود فائض من الشرف ولا نوع من الإهانة، جين راكين
براتينكيوس الفصل الثانى.

12-الإنجيل، أعطاء الصدقات ،ماثيو الفصل السادس ٣-٤

الفصل الرابع

Paria de santa Luzia-12 شاطئ فى ريو دى جانىرو مشهور
للسباحة.

النهاية

كانكاستور وبولكس هما الألقاب التي يعطيها المُوَكَّل للتوأم عندما يعودان إلى مجلس النواب عقب قداساليوم السابع. يصبح ارتباطهما وثيقا جدا لدرجة أنه يبدو كصفقة. لقد دخل معا، سارا معا، غادرا معا. صوّتا مرتين أو ثلاث مرات معا، وصولا إلى الفضيحة الكبيرة لأصدقائهما السياسيين. تمانتخابهما كي يعارض كل منهما الآخر، وانتهى بهما المطاف إلى خيانة جمهور ناخبهم. سمعا كلمات جارحة، انتقادات حادة. أرادا أن يستقيلا من مناصبهم. ثم وجد بيرو وسيلة للتوصل إلى تفاهم.

قال لأخيه «واجبنا السياسي هو التصويت لصالح أصدقائنا. دعنا نصوّت لصالحهم. لقد طلبت منّا الأم ذلك فقط من أجل التوافق الشخصي. في الواقع، لن يدفعنا أحد لمهاجمة بعضنا البعض. أمّا في المناقشات، وأثناء تصويتنا، يمكننا بل وتجب علينا المعارضة.»

«أؤيدك. ولكن إذا ظننت في يوم من الأيام أنك يجب أنتأتي إلى معسكرى، افعل ذلك. فلن أخاطر أنا أو أنت بحكمنا.»
«أؤيدك.»

حتى على المستوى الشخصي، لا يستمر هذا التوافق دائما. فالتناقضات لم

تكننادرة، كما لم تكن بديهيات، ولكن ذكرى والدتهما كانت لا تزال في بدايتها - فوفاتها كانت قريبة جدا - لدرجة أنهما كانا يجمعان أي نزعة يميلان إلى تنفيذهما كان الثمنوعاشافي وئام. في مجلس النواب، جعلتهما معارضة السياسية والتحامهما الشخصيلافتين للنظر.

أنهى مجلس النواب عمل هفيديسمبر. وعندما انعقد مرة أخرى في شهر مايو، حضر بيدرو فقط. فلقد ذهبوا لوليمينا؛ قال البعض رؤية صديقة وقال البعض الآخر إنه ذهب بحثا عن الماس، ولكن يبدو أنها كانت مجرد عطفة. عاد بعد ذلك بوقت قصير ودخل مجلس النواب وحده، على عكس العام السابق، عندما صعد الأخوانالدرج معا وهما يكادان يلتصقان ببعضهما البعض، لاحظت عيوناً صديقتهما على الفور أنهما لم يعدا متآلفين، وسرعان ما كره كل منهما الآخر. ودائما ما كان يوجد هناك شخص طائش يسأل أي منهما عما حدث في الفترة بينالدورتين، ولأحد يجيب. وبناء على نصيحة الحاكم، رشحهما رئيس مجلس النواب إلى نفس اللجنة. وبدورهما، طلب بيدرو وباولو إعفاءهما.

قال الرئيس في المقهى «هما مختلفان».

أكد النواب الآخرون الحاضرون «مختلفان تماما».

علم آيرس بهذا الاستنتاج في اليوم التالي من خلال نائب صديقه، والذي كان يقطن في بنسيون في كاتيت. كان قد ذهب لتناول الغداء معه، وأثناء المحادثة، وبحكم معرفة النائب بعلاقة آيرس بزميليه، أخبره عن التغيير الجذري والمتعذر تفسيره الذي وقع في الفترة بين العام السابق والعام الحالي. كما أخبره عن رأي مجلس النواب.

لم تكن تلك الأخبار جديدة بالنسبة إلمستشار الذي كان قد شهد ترابط التوأم واختلافهما. وبينما كان الآخر يتحدث، كان يستعرض حياتهما وأوقاتها ويعيد بناء المعارك والتناقضات والنفور المتبادل المخفي بالكاد، والذي يعترضه أحيانا دافعاً قوياً، ولكنهما متمسكان بسلاتهما، كضرورة ظاهرية. لم ينستوسلات والدتهما ولا طموحها أن تراهما رجلين عظيمين.

وخلص الصديق قائلاً «وحيث إنك قريباً منهما يا سيدي، أخبرني ما السبب في التغيير الذي حلَّ بهما؟»

«التغيير؟ لم يتغيرا على الإطلاق؛ لم يتغيرا.»

«لم يتغيرا؟»

«نعم، لم يتغيرا.»

«هذا غير ممكن.»

انتهى من تناول طعام الغداء. عاد النائب إلى غرفته ليستعيد نشاطه، وانتظره آيرس عند الباب المؤدي إلى الشارع. وعندما نزل النائب، كان لديه نظرة اكتشاف في عينيه.

«والآن، انتظر، أيمكن أن يكون... من يديراً ميراثاً لهما لم

يغيرهما. فقد يكون الميراث، أسئلة حول الممتلكات...»

كان آيرس يعرف أنه لم يكن الميراث، لكنه لم يكن يرغب في تكرار قوله بأنهما لم يتغيرا منذ أن كانا في رحم والدتهما، وفضل قبول الفرضية لتجنب الجدل، وغادر، وهو يداعب عروة سترته التي تحمل نفس الزهرة الأبدية.

المستشار آيرس والموفيولا الخاصة

به

خاتمة

كارلوس فيليب مواسيس

ترجمتها من البرتغالية إليزابيث لوي

يسوع ويعقوب «١٩٠٤» هي الرواية قبل الأخيرة لماتشادودي أسيسوتشتر كمع الرواية الأخيرة، مذكرات آيرس «١٩٠٨»، في «تأليف» مشترك منسوب إلدبلوما سيمتقاعد: المستشار آيرس وهو شخصية خيالية. في وقت فراغها أثناء خدمته، كرّس نفسه لملا العديدين من المذكرات والتي تضم «يومييات الذكريات»، كما يقرأها المرء في «ملاحظة للقارئ» في رواية يسوع ويعقوب. وعندما تقاعد عقب

عودته إلريو ديجانيرو، واصل المهمة، ولكنلم تُنشر كتاباته إلا بعدوفاته. في نفس هذهاالمذكرة، يخبرنا ماتشادو «المحرر» أن كل ما تركه آيرس هو سبعة مذكرات. تشكّل أول ست منها اليوميات في حد ذاتها، والتي يكون فيها المستشار هو الراوي والشخصية الرئيسية في نفس الوقت. سيتم نشرها تحت عنوانمذكراتآيريس. أما السابعة، المذكرة السابعة غير المرقّمة، فيتم التعرف عليها من خلال العنوان «الأخيرة» وتحتوي على قصة توأم كاريوكا: بيدرو وباولوسانتوس.

فيهذهاالمذكرة السابعة، المذكر الأكبر حجما، لا يمثل آيرس الشخصية الرئيسية، ولكنه يلعب فقط دورا مساندا، ويكرسنفسه لجمعمذكريات الآخرين وليس ذكرياته. إنها«آخر» مذكراته، ولكنها غير مجدية. في بادئ الأمر، إنها الروايةالأخيرة لماتشادو وفيها تحوز القصةعلماحد الأدنى منالحرية والاستقلالية بعيدا عن تدخلات الراوي. ولكن الأمر ليس كذلك في مذكرات آيرس، حيث لا تنفصل الأحداث والأفكار عن بعضهما البعض، وتتحد تدخلات الراوي مع الجمهور المعروض والذي يعد هو نفسه بطله.

١

وبالإشارة إلى العنوان، يخبرنا ماتشادو أنه يفضل يسوع ويعقوب. في يوميات المستشار، يُعرض التناظر بين بيدرو وباولو والتوأم كنعان فقط في «الفصل الرابع عشر»، ولا يلاحظه معظم القراء. القرار الذي اتخذه ماتشادو دي أسيس - وهو وضعه في العنوان - هو ما يفرض علينا أن نقارن التوأم كاريوكا بتوائم الكتاب المقدس. في هذه اللعبة البارعة تكمن طبقات الخيال المتعاقبة الخفية

والمتراسة - خيال فوق خيال.

تقع الأحداث بين عام ١٨٧٠ والعقد الأخير من القرن التاسع عشر، وهي فترة تحتوي على تحولات كبيرة والتي تعتبر حاسمة بالنسبة إلى تاريخ البرازيل «انظر المقدمة». سُجلت الأحداث الهامة في تلك الفترة في الرواية، ولكن الأبطال قلّما يلاحظونها؛ فالأمر يبدو كما لو كانت الأحداث لا تمت لهم بصلة. وجود نظام ملكي أو جمهوري، على سبيل المثال، لهو أمر قليل الأهمية بالنسبة لهم، طالما لا يعرض ذلك صلاحياتهم الشخصية إلى الخطر. يكمن كل الخوف في الغالب أن يحد ذلك النظام الجديد من سلطاتهم، مثل تلك الخاصة بمالك المقصف المسكين كوستديو «الفصل ٦٣». تخشى ناتيفيداد أن يؤدي ذلك التغيير إلى تفاقم التنافس بين أبنائها، منذ أن يعبر أحدهما عن آرائه الجمهورية والآخر عن آرائه الملكية؛ ذلك التعبير الناجم عن الفخر أكثر من كونه ناجما عن الاقتناع. يبدو قلق سانتوس - والد التوأم وصاحب مصرف والمؤيد للنظام الرأسمالي - من التغيير السياسي، ولكن تهادأ نفسه بكلمات المستشار، التي لا تغذيها أي حجة جيدة - والتي لا يقدمها المستشار إن كانت لديه - ولكن لامبالاة صديقه. وعلى الفور، يضع سانتوس وساوسه المقاومة للتغيير جانبا، وكرجل أعمال، يحصد ربحا ممتازا من النظام المنشأ حديثا، وهو مثال الذي اقتدى به المحامي باتيستا وغيره.

أما بالنسبة للتوأم، فلقد تم بالفعل اقتراح العنصر الأساسي. باولو جمهوري وبيدرو ملكي. ومنذ ذلك اليوم حينما سارا، كمراهقان، إلى متجر يبيع إطارات اللوحات في شارع كاريوكا، ابتاع بيدرو لوحة لوليس السادس عشر، ولم يكن باولو ليُغلب: اشترى لوحة لروبسبير

«الفصل الرابع والعشرون». وفي المنزل، علق كل منهما لوحته أعلى سريره، كرمز للانتصار الحاق، والذي أجبر منافسه على التعايش معه حيث أنهما يتشاركان في نفس الغرفة.

هناك شيء ما خلف هذا الاختلاف السياسي. منذ بداية الرواية ونحن نعلم أن «باولو كان أكثر عدوانية وبيدرو أكثر خبثًا» «الفصل الثامن عشر»، وفي النهاية يؤكد آيرس أن «روحا مضطربة تكمن في باولو وطبيعة محافظة تكمن في بيدرو» «الفصل مائة وخمسة عشر»، بحيث أن التوأم يتبادلان الأدوار بعد سنوات، ويكون الدافع الذي يحفزهم، باختصار، هو الحاجة إلى استعداد بعضهما البعض. والباقي ليس ذا أهمية.

لهذا السبب تلعب فلورا، ابنة باتيستا وكلوديا، دورا بارزا في حبكة الرواية. يدع بيدرو وباولو نفسيهما بأن يكونا مفتونين بجمال امرأة شابة، يغازلانها في وقت واحد، ولكن ينتظران بسلبية حيث يديم الطريق المسدود. لا يتقاتلان من أجلها، لا يستعدان لامتلاك قلبها «سيتذكر القارئ حكاية الكتاب المقدس عن الزوجات المتعددات وخليلات يسوع ويعقوب»، وفي نهاية الأمر يشكلان اتفاقا سريا والذي بموجبه سينتظران حتى تختار أحدهما، وعلى المهزوم مغادرة المشهد. معضلة فلورا الآن هي بالضبط التردد في الاختيار بينهما. الاثنان منجذبان إليها وهي متحيرة، غير قادرة على اختيار: «في الشجاعة والاندفاع يمكن للمرء أن يقارن قلبها إلى التوأم باولو؛ وروحها، في دهائها ومكرها، إلى التوأم بيدرو» «الفصل الثالث والتسعون».

وفي لحظة معينة، تكون فلورا هي محور العاطفة في قلب زميل

آخر وهو جوفيا، كما تجذب أيضا انتباه الأعزب العجوز الثري نوبريجا. وبدلا من تسلية نفسها بهذا التشابك من الخاطبين، بدلا من الشعور، من يدري، بالإطراء بسبب السعي المستمر من ثلاثة شبان شجعان أو عرض الزواج المربح من المقاول الثرى، أصاب فلورا الضيق وتألمت من حالها. التوأم لا يفارق عقلها، ويستمر التردد، وتحلم بالاثنين، وتدمجهما في شخص واحد فقط. أسفرت هلاوسها عن بضع صفحات متحركة، مثل صفحات هذا الفصل الذي يحمل عنوان «الليلة الطويلة» «الفصل الثالث والثمانون». نُصحت بتغيير البيئة المحيطة وقضت موسما في أندراي في رعاية ريتا، شقيقة المستشار «الفصل مائة وتسع». ولكن ذلك لم يجد. يزداد بها المرض وتموت.

يشعر التوأم بمدى خسارتهم بإخلاصهم. يتصافحان عند قبرها ويقسمان على الصداقة الأبدية. يقول بيدرو «لقد فرقتنا. الآن رحلت، دعها توحدها» «الفصل مائة وتسع». ولكن سرعان ما يتحوّل كل شيء إلى الذريعة لإثارة التنافس القديم. فأملباولو، أمام نفس القبر، بعد شهر واحد، يُحجب بالانزعاج الذي يشعر به عندما يعلم أن بيدرو قد زار قبرها قبله. ومن جانبه، يشعر بيدرو بالفخر لأنه وصل أولا، ولكنه لم يمكنه تقبُّل حقيقة أن شقيقه مكث لفترة أطول منه. وبعد أقل من عام، نُسيت المصالحة عمليا.

يتخرج بيدرو في الطب وباولو في القانون، ويبدأان في ممارسة مهنتهما. وسرعان ما يلهثان وراء مقاعد في الهيئة التشريعية ويتم انتخابهما. تحضر ناتيفيداد تنصيبهما وتبتهج بتأكيد نبوءة الكابوكلا. كان لديها نية لديها العودة إلى تل مورو دو كاستيلو كي تنقل هذا الخبر السار،

لكنها تعدل عندك «الفصل مائة وثمان عشر». ثم تحلم برئاسة كل منهما للجمهورية.

في وقت لاحق، وعندما تعاني من مرض خطير، تتوسل قائلة: «هيا يا بيدرو، هيا يا باولو، أقسما بأنكما ستكونان أصدقاء.» بعدها كل منهما بذلك، وتصر: «أصدقاء إلى الأبد؟» ويعيد الشقيقتان أكيد وعدهما ثم تختتم كلامها قائلة: «يمكنني الموتفي سلام» «الفصل مائة وعشرون». ولكن سرعان ما يتم خيانة هذا الوعد. يعود التوأمة بعدئها المعتاد. فيالفصل الأخير، يشخصهما آيرس ب«النفور المتبادل، المخفي بالكاد، والذي يعترضه أحيانا دافعا أقوى، ولكنهما متمسكان بسلاتهما.» ويخلص إلى «أنهما لم يتغيرا منذ أن كانا في رحم والدتهما.» «الفصل مائة وواحد وعشرون».

٢

بمجرد أن تنتهي الرواية، يمكن أن يتسائل قارئ جذب انتباهه العنوان، لماذا «يسوع ويعقوب»؟ كيف نقرن هاتين الحياتين الشاحبتين، هاتين الإرادتين الضعيفتين والمصائر العادية ببطولة توأم كنعان؟ فيمقاطعة ريو ديو جانيرو المساملة في نهاية القرن، والتي تغفو كمملكة وتستيقظ كجمهورية، ما يعادل الجهد الهائل لتوحيد الشعب اليهودي حول الإيمان بالله؟ أو الصراع يعقوب اللامتهدى، الذي سخر من أخيه وخذع والده واعتمد على ذلكاء والدته للفوز بالبكورة وتغيير مصير شعبه بأكمله؟ ماهي الدوافع الأكبر لتوأمة بوتافوجو وراء الخصومة الشخصية؟

المواجهة التي اقترحها العنوان ستحبط القارئ الذي يقبله بشكل لا لبس فيه. وعندما اختاره، ربما قصد ما تشاد وأن مقطع

الكتاب المقدس سيظل حاضرا في أذهاننا، ليس فقط لتذكيرنا بالمصادفة القصصية في أصولهما، ولكن أيضا لتأكيد التناقض بين القصتين. في عالم القيم والمصالح الصغيرة، هذا هو نوع يسوع ويعقوب الذي نراه. وبدلا من تقديم رواية ملحمية لنا، على غرار قصص الكتاب المقدس، ماتشاد ويضع مرة أخرى سخريته وتشكيكه جنبا إلى جنبا مع فطنته المشهور بها موضع التنفيذ. ولكي نكون صادقين، لا يعد العنوان بأن حياة باولو وبيدرو وطموحاتهما ستكون مماثلة لحياة وطموحات يسوع ويعقوب. فالتناظر مستمد منتوقعات القارئ الذي يضطر في النهاية لقبول فكرة أن العنوان يمكن أن يكون مجرد علم أحمر: انظر كيف لا يشبه بيدرو وباولو أبناء ريببكا. تعرّف على حال حضارتنا في بداياتها، وما آلت إليه.

٣

ربما يكون كل هذا مجرد مسألة وجهة نظر. إذا قالها بيدرو، ستكون قصة، وإذا قالها باولو، ستكون أخرى. سيكون لفلورا روايتها، والتي لتتكون نفس رواية ناتيفيداد. كم من القصص يمكن أن تضاف إلى الحكاية؟ ولكن هذه مجرد تكهنات. فالشخص الذي يروينا حقا القصة هو الدبلوماسي المتقاعد الذي يرسم، في مذكراته المصاغة بطريقة جيدة، حياة الناس من حياة من ربطها أو يربطها بهم، بالإضافة إلى حياته.

يسوع ويعقوب هو رواية معقدة حب، تركت علامات التي يتألف منفلورا وباولو وبيدرو. إنها أيضا قصة طموحات امرأتين مغرورتين ولكن لا يقهران وهما ناتيفيداد وكلوديا، ورواية بضع رجال طموحين بنفس القدر ولكن جنبا، ومحبين للسلطة. كما أنها رواية تحتوي

على ثنائية مستعصية تفصل بين شقيقين توأم. وفي النهاية، إنها رواية من الأدب ذات ملاحظات ثمينة حول ريو دي جانيرو في نهاية القرن، وكذلك رواية سياسية نظرا للاستمرار الذي تُسجل به الصفحات الأحداث الخطيرة لتلك الفترة. ولكن يمكن للمرء أيضا أن يؤكد أن يسوع ويعقوب قد يكون ببساطة رواية المستشار آيرس، فهو البطل الحقيقي للرواية، نقطة التقاء جميع الشخصيات الأخرى. وحيث إنه معتاد على سخرية ماتشادو، لن يفاجأ القارئ بهذه المناورة الصغيرة وسيكون على استعداد لإعادة النظر في القصة كلها وفقا للمنظور المفروض من قبل عيون المستشار المتشككة والمتملقة.

استخدم ماتشادو بالفعل تقنية ذات الراوي في روايات أخرى، ولكن ما هو فريد من نوعه في يسوع ويعقوب في هذا الصدد هو أن الكاتب يعهد بمهمة سرد القصة إلى شخصية ثانوية. في دوم كازمورو، على سبيل المثال، الراوي هو بينتو سانتياجو، بطل الرواية والمتواجد دائما في مركز الأحداث. ومع ذلك، آيرس هو مجرد إضافة، على هامش الأحداث. وباستثناء واقعة أو أخرى، فلا شيء قاطع، فرواياته للقصة رواها لا تجذب انتباهه إلا بعد الأحداث. آيرس ليس مشتركا أو حتى مراقبا مباشرا للحدث الرئيسي. وهذا يدعونا للتفكير في مسألة تركيز السرد، أو وجهة نظر التي اعتمدها الراوي.

يبدأ آيرس بالكشف عن أنه في صباح يوم معين في عام ١٨٧١، سافرت شقيقتان، ناتيفيداد وبيربيتوا، من ضاحية بوتافوجو إلى تل مورو دو كاستيلو، وهدفهما استشارة عرّافة هندية هجينة شهيرة

تُدعى باربرا. الفصل قصير، لكنه يصف بالتفصيل التل صعب التسلق والمسكن الذي تم استقبالهما فيه والخصائص الفيزيائية والنفسية للكابوكلا والحالة الذهنية للأختين التي تتجلى من خلال إشارتهما «العصبية والمرتبكة» «الفصل الأول» وجزء كبير من الحوار الذي دار بين العرّافة وعميلها حول مستقبل التوأم، إلى آخره. علم آيرس هذا فقط من خلال أسرار ناتيفيداد. هل هذا الأسرار مشروطة بالكثير من التفاصيل؟ دعونا نفترض أنها أعطته النقاط الأساسية. وأثناء نقلها إلى الورق، يجب أن يكون الخيال قد ترك بصمته على الجزء المتبقي.

وتتكرر حالات مماثلة خلال الكتاب. يروي آيرس الأحداث التي لا يمكن أن يكون قد شهدها، ويقوم بذلك مع ثروة من التفاصيل الواقعية والنفسية. هناك دائما شخص ما يكشف الأسرار والخفايا، وهو دائما منتبه لكل شيء، دائما ميّال إلى الاستماع. وبالتالي، يفهم المرء أنه على علم بكل ما يحدث. ومع بعض النية الحسنة، فالسيناريو جدير ظاهريا بالتصديق، ويمكن أن يبرر وجهة النظر المعتمدة في يسوع ويعقوب.

يحدث أنه، إذا غامرنا هناك، سنكون سائرين في الطريق الخطأ، أي معقولية وجهة النظر. الحجة السابقة لن تنطبق إلا على حالة محددة وهي الشخصية الراوية، أي الشخصية التي تروي ما عاشته بنفسها أو شهدته، والتي تتراجع في بعض الأحيان إلى شهادة غير مباشرة. هذا هو حال راوي دوم كازمورو. هناك يمكننا أن نتساءل بشكل صحيح كيف نجح بينتو سانتياجو في وصف ما يحدث خارج نطاق رؤيته؟ ولكن ليس هذا هو الحال بالنسبة للمستشار، ذات

الراوي الفريدة من نوعها.

ومن خلال العهد إليه بالرواية، يترك ماتشادو لآيرس منظور الراوي العالم بكل شيء وكل الوجود، الراوي الذي لا يحتاج إلى أن يكون شاهد عيان أو أحد المقربين المتميزين ليتم إخباره بكل شيء. وبواسطة نوع من الترخيص الأدبي، يؤدي مثل هذا الراوي وظيفته كما لو كان حاضرا دائما، مع إمكانية الوصول إلى أخطر الأسرار الخاصة بالشخصيات الأخرى. يسهل قبول تركيز السرد كلي العلم، على الرغم من عدم معقوليته على الإطلاق من حيث واقعنا خارج نطاق الخيال، من قبل القارئ. ما يسعدنا، ونحن نبدأ قراءة الرواية، هو الفكرة أو الوهم بأننا أيضا سنصبح مشاهدين متميزين. سنعلم كل شيء، حتى نوايا الشخصيات الأكثر سرية، لن يفوتنا شيء. هذا هو الوعد التي يكفله تدخُّل الراوي كلي العلم. وفي النهاية، لن نتمكن من الوصول إلى الحقائق من خلال الشهادة الأحادية الجانب من هذا أو ذاك المشارك، ولكن من خلال شهادة دامغة من شخص يرى ويعلم كل شيء. لا يمكن أن يكون هذا هو الحال مع آيرس، ولكن من الصفحة الأولى نقبل ذلك كما لو كان حقيقة.

ولتأكيد ذلك، يقدم ماتشادو تقنية أخرى بدءا من الفصل الحادي عشر «حالة فريدة!»، عندما يظهر المستشار آيرس لأول مرة كشخصية. وحتى ذلك الحين، تكون شخصيات مختلفة قد دخلت المشهد لكن آيرس لم يقدم أي إشارة لنفسه. عندما يزور صديقه الدكتور بلاسيدو، يلتقي سانتوس بشخصية معروفة. بلاسيدو هو شخص روحاني؛ يشاوره سانتوس بشأن التوأم لتأكيد أو دحض

النبوءة التي قالتها الكابوكلا لنا تيفيداد. وبمجرد أن دخل، رحّب به بلاسيديو على الفور: قال «تعال، تعال، تعال، تعال ساعدني في هداية صديقنا آيرس. ففي خلال نصف الساعة الأخيرة حاولت غرس الحقائق الأبدية فيه، لكنه يقاوم» «الفصل الحادي عشر». إنها الإشارة الأولى أن المستشار يظهر بشخصه.

قبل أن يعلن والد التوأم عن الغرض من زيارته، يجيب آيرس بوينس مداعبا: «كلا، كلا، كلا، لا أقاوم...» ويضيف الراوي في نفس السطر: «وافقه رجل في حوالي الأربعين من العمر، وهو يمد يده إلى الزائر الجديد» «الفصل الحادي عشر». أُلن يتوقع القارئ أن يجد «توافقت مع» بدلا من «وافقه رجل» حيث إن الراوي وتلك الشخصية هما نفس الشخص؟ يحدث أن مع مرور أربعين صفحة في الرواية، نعتاد بالفعل على الوجود الغائب لآيرس، نعتاد على الربط براوي يعيش خارج نطاق الأحداث. ومع تجلي الأحداث، يقودنا المستشار من خلال طرق غير مباشرة من القصة، ويسلط الضوء على حالته/حالتنا كمرقب متميز. يسمح لنا التركيز كليّ العلم بتحقيق رغبة سرية بالمشاهدة دون أن نُشاهد، بالملاحظة دون أن نُلاحظ، بالاستماع دون الاضطرار للرد. نخترق أسرار الآخرين دون أن نكشف عن أسرارنا. هذا هو الحال دائما بالنسبة للقارئ. أما بالنسبة للراوي، يجب أن يكون الأمر مسألة تبني لوجهة نظر المستشار.

بعد الإعلان عن وجوده في المشهد المذكور للتو، لا يخاطبنا المستشار، نحن سامعوه المعتادون، ولكن الفاعلين الآخرين، وفي هذا التسلسل نجد أنفسنا أمام شخص مختلف عن الراوي، كما لو

شخصا غريبا. في الفصل التالي، يتواصل الوصف بنفس النبذة: «هذا المدعو آيرس الذي ظهر للتو لا يزال يحتفظ ببعض من فضائل الأوقات، ولا شيء تقريبا من الرذائل» «الفصل الثاني عشر». يواصل المستشار الحديث عن نفسه كما لو كان يتحدث عن شخص آخر، كما لو كان يقدم شخصية جديدة. ووفقا لنمط معين، فهذا هو ما يحدث. فأيرس الذي يعرفه القارئ عند هذه النقطة من القصة هو الراوي كليّ العلم، صوت مقنع ولكن محايد، نوع من الشريك الذي سيقوده إلى نهاية السرد. آيرس الذي يكشف عن نفسه الآن هو الشخصية، شخص غريب. من هو؟ ماذا يفعل؟ كيف يبدو؟ أين يعيش؟ مع من يعيش؟ هذه الأسئلة هي محور فضولنا الطبيعي الذي يجب أن يشبعه الراوي. بدءا من الفصل الحادي عشر، في كل مرة تظهر شخصية آيرس في مسرح الأحداث، سيقول الراوي آيرس «إنه هو»، وليس «أنا».

ليس هناك آيرس واحد فقط، هناك اثنان. هنا، بالقرب منّا، يوجّه خطواتنا، شخصية الراوي النبيل النشط منشرح الصدر، والذي تتألف معه منذ الأسطر الأولى. نعتمد على وجوده المستمر الذي يصفى بشكل متأني وبمودة وتناسق أكثر ما يهمنا: قصة التوأم بيدرو وباولو. وفي وقت لاحق، نلتقي بآيرس الشخصية، وجود متشتت يتفاعل ويحاور الشخصيات الأخرى، ولكن لا يتحاور معنا. وهكذا يحقق راوي يسوع ويعقوب ما يصفه الشاعر البرتغالي فيرناندو بيسوا «١٨٨٨-١٩٣٥» بالتعبير الجديد «تحويل الذات إلى أخرى». سيقوم بذلك بالتأكيد، ولكن ليس بالطريقة الكلاسيكية عن طريق مضاعفة الشخصية، وإنما على طريقة كيركيجارد. عندما

يظهر آيرس في مذكرات المستشار، يصبح هذا الأخير بالتبعية شخصا آخر ويشير إلى نفسه كشخص باستخدام صيغة الغائب. «أنا آخر» كما سيقول ريمباود.

ومرة أخرى، لا تعني المعقولية الكثير. نقبل حيلة جيدة باستحسان، لا يهمنا أن نفس الفاعل يلعب دورين مختلفين وغير متوافقين ظاهريا: هناك، الشخصية العرضية والتي تقتصر رؤيتها على المشاهد القليلة التي تشارك فيها؛ هنا، آيرس الذي يعرف ويرى كل شيء، ويشارك القارئ في ميزة الرؤية الأساسية، أساسية لأنها بعيدة وحررة، رؤية شخص ما لا يسمح لنفسه أن تزعجه المطالب الملحة وقادر على التسامي عن المشاركة الشخصية. هذا هو آيرس الراوي. أما آيرس الشخصية فليس لديه نفس الموضوعية؛ فهو منغمس في الوقائع ويقع تحت رحمة المصالح الأحادية الجانب شأنه شأن أي شخص آخر. في الفصل الثاني عشر، نجد أنه منجذب إلى ناتيفيداد منذ زمن طويل، «ولكن بمجرد أن رأى أن المصلحة ليس متبادلة، غير الموضوع.» كان متزوجا، زيجة لا تنطوي على الحب، وأصبح أرملًا. وفي وقت لاحق، فكر سانتوس في تزويجه مرة أخرى، إلى شقيقة ناتيفيداد، وهي أرملة أيضا، ولكن المحاولة لم تنجح. فمن المحتمل أن يروي الأرملة رواية أخرى، مشوهة بتورطه السابق مع أبطال الرواية. هذه هي الحيلة التي ينقسم من خلالها المستشار إلى اثنين: واحد يشارك أحيانا في الأحداث، والآخر يروي. فالهدف هو كسب المنظور، ليس فقط فيما يتعلق بالأشخاص المشتركين في الحكمة الأساسية للرواية، ولكن أيضا فيما يتعلق بالذات، والتي تحولت الآن إلى أخرى.

وہمجرد فہم الحیلۃ یظل لدینا الانطباع - خطأ، ینبغی للمرء أن
یضیف علی الفور-أن هناك بالفعل اثنین من المستشارین. الأمر
لیس كذلك. فنفس الجانب الأساس یمیز جانبی شخصیتہ: الغیاب،
رفض التورط عاطفیا.

